

في خيرة المعاد
بشرح راتب القطب الحداد

تأليف الشيخ الإمام العارف بالله

عبد الله بن أحمد باسودان

الكندي الدواعي

الطهرمي

رحمه الله

٢

مطبعة دار الكتاب العربي

طرابلس - ليبيا - ١٩٧٩

الطبعة الأولى

١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م

بالقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين (وبعد) فإن الذكر المشهور بالراتب للإمام محمد القرن الحادى عشر المجمع على جلالته وفضله الحبيب عبد الله بن علوى بن محمد الحداد العلوى الحسينى الحضرمى يقرأ فى كثير من البلدان الإسلامية وعليه شروح ممتعة لأجلاء أعلام ، يعرف منها شرح السيد العلامة المؤرخ الشلبى صاحب كتاب المشرع الروى ، وشرح العلامة الفقيه أحمد بن الحسن الحداد ، وشرح العلامة المحقق علوى بن أحمد الحداد ، وشرح لبعض فضلاء الأحساء لا يحضر فى اسمه ، وشرح الشيخ العلامة الفقيه الصوفى عبد الله بن أحمد باسودان الدوعنّى الحضرمى وهو هذا الذى نرفقه لقراء الراتب هدية ثمينة ينتفعون بها فيتم لهم به مع قراءة الراتب فهم معانيه أثاب الله الساعى والناشر ومن عليهم برضاه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

قال الشارح رحمه الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى ألهم خاصته وأوليائه حقيقة الذكر والتذكر والدكرى ، وجعل لهم فيه وبه ومنه وجدان التأثير والتأثير وأورثهم الهجران لما سوى المذكور مما أظلمته الطباق العلى وأقلمته البسيطة الغبراء ، فأعاضهم عن ذلك قرّة العين بالرفق لديه والبشرى ، وحلول رضوانه عليهم فى الدنيا وفى الأخرى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أزلا وأبدا مستمرا

شهادة أعدّها للقاءه ذخراً ، ولنعمائه شكراً ، ومن بلائه حصناً وظهراً ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي رفع له في الملاء الأعلى ذكراً ، وشرح
له بئيل الوسيطة والفضيلة قلباً وصدرأ ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله اللاحقين .
به شرفاً وظهراً ، وعلى أصحابه معالم الدين وأوليائه حفظاً ونصراً (أما بعد)
فإن الله تعالى وله الحمد قد أظهر في العالمين من أوليائه آية كبرى ، وأنهم
بذكره في كل الأحوال سرّاً وجهرأ ، وفتح لهم باب التعرّف إليه بملازمة
الأذكار والأوراد تفضلاً منه وبرأ ، ليؤصلّهم إلى ذوق سرّها حذاً ومطالعاً .
وبطناً وظهراً ، وليفيض عليهم من أنوار وارداتها ما لا يحاط به وصفاً ولا
حصراً .

هذا وقد طالما تعلّقت المهمة بخدمة شيء من مؤلفات سيدنا القطب الجامع
السلطنة السكين خاتمة المجددين الحبيب عبد الله بن علوى بن محمد الحداد .
نفع الله بعلومه وأسراره الحاضر والباد ، غير أنى تأملت ما كان منها موضوعاً
لتحقيق السلوك جامعا للطرائق الشرعية والرفائق الصوفية وأنواع العاوم
الدينية الحقيقية التي هي قمة القلوب ومستضاء أنوار الغيوب وغير ذلك .
نما يدعو إلى تطهير النفوس وتجليتها بحميد الأخلاق وذواكي العمل ، وحفظ
الأفعال عما يفسدها من الشوائب والعلل ، وما يدخل عليها من النقص والخلل .
فأريت ما هو بهذه المثابة وما جمعت منه من الحسن في تلك الرياض المستطابة .
لا يحتاج إلى شرح وبيان بل من أراد أن يمزجها بغيرها مما ليس من جواهر
السنة والقرآن فكأنما ينظم البهرجان (١) مع الياقوت والعقيان ويُعَيَّر
بذلك في الوجوه الحسان .

(١) في اللغة: البهرج: الباطل والردى . أما البهرجان فلم أطلع عليه . والعقيان: الذهب

بوأما ما كان من كلامه رضى الله عنه متضمنا لبعض الحقائق التى هى من
كلمات الله التى تنفد البحار لو كانت مدادا لها دون نفاذها ، وتعجز العقول
والألباب عن فهم مرادها ، والوصول إلى شئ من مفادها ، اللهم إلا بعض
ذوى العناية من أهلها السالكين بالرياضات لسبيلها وذلك كمواضع فى الديوان
وبعض حقائق فى المكاتبات وما يلتحق بها من الرموز والإشارات فقد رأيت
فى شأنه إلجام القلم واللسان لثلى أولى ، والاحجام عن الإقدام عليه مع تقصيرى
فى أليق وأحرى .

فلما كان أواخر شهر شوال من سنة خمس وأربعين بعد المائتين والألف —
وقد اشتدت الأزمة بالعباد ، وتقطعت بهم أسباب المعاش والمعاد ، وظهر فى
الأرض الفساد ، وذلك بما كسبت أيدي الناس من شمول العصيان ، واستيلاء الغفلة
على الأفتدة والأركان ، وعموم الجهل وتقليد الأمر غير أهله ، وغلبة نسيان
الرءوس لتسلط الهوى على النفوس ، وإيثار العاجلة على العقبى ، وإتفاق الأموال
على غير الفقراء والمساكين وذوى القربى ، وغير ذلك مما تراكم به الصدى والران
على القلوب . من أنواع الآثام والذنوب ، ومع ذلك لم يشعروا بما منه أثوا ليتوبوا
ويستعتبوا ولا بالوا بما به مُقْتُوا فلم يرجعوا ولم يتوبوا ، وطال عليهم الحال ،
وشق على ذوى العيال ، معاناه الفاقات والأثقال ، ولحقهم الغي والإعياء والكلال
وبهذه الآصار تسلط الأشرار على الأخيار وقل الناصر للدين . بدفع المفسد
والمضار وسَحَلَ الحق وأهله واختاروا الاختفاء والاستتار إلى غير ذلك
مما لا يحصره التعداد ولا تقوم له القوى البشرية من الإنكال والأنكاد —
فعند ذلك — سنح للبال أن أصرف الهمة إلى شرح الرائب الذى وضه
هذا القطب الامام . لنفع الخواص والعوام ، وانتشر العمل به فى كل ناحية

وإقليم . وحصل به للناس النفع العظيم . لا سيما وقد كان أصل وضعه ووروده
لكشف الشدائد والمهمات ودفع البلايا والملمات والحفظ من الأشرار والشر
وتحصين الدين والأبدان والعقائد وغير ذلك مما سيأتي فيه التفصيل بالدليل
والتعليق فابتدأت في ذلك سائلا من الله تعالى الإعانة والقبول ، وتحصيل المراد
وبلوغ الأمول ، وقصدى بذلك — وقد شاع هذا الراتب وذاع صيته في الآفاق
واتسع العمل به وقرأته في أوقات السعة والإملاق والحرص عليه من أكثر المسلمين
إلا من صد عن خيره الكثير من المحرومين — أن تعظم رغبة قارئه ويزيد
في ترتيبه حرصه عليه إذا وقف على ما فيه من الفضائل العظيمة والتحصينات
الجسيمة والفوائد الباطنة والظاهرة والمصالح العائدة على ملازمه في الدنيا والآخرة
كما يأتي ذكر بعض ذلك في آخر المقدمات التي في أول هذا الشرح ،
وقد استطردت فيه بذكر كثير من الأذكار والدعوات مع ذكر ما فيها من
الفضائل والخصوصيات وتقييد فوائد شاردة ومهمات نادرة لتتسع للمادة للراغب
وتتم الفائدة لطالب هذه الرغائب .
وأقدم على المقصود ثلاث مقدمات .

(الأولى) في بيان معنى الذكر ، وفضله وعموم نفعه مع فوائد جلييلة والفائدة
ضالة المؤمن وموارد العلم عذبة هيينة ومشاربها غضة طرية لكن لمن ذاق
أرواقها واستشرف حقائقها فإن غايتها التمتع في حضرة الوصال والشهود لمعنى
ذلك الجمال كما قال صاحب الراتب مشيرا إلى تلك المراتب نفعا الله به
يارفيق ساعد وسر بنى حق عسى نشاهد
ورى المعاهد ونظر الأعلام والمشاهد
منهى المقاصد يوم انتهاضك للربوع قاصد
شمر وخلف المال والأهل خلف الظهر لا تسكن ذال

(الثامنة) في خاصية الاجتماع للذكر بالجمهور وما ينبغي للذاكرين من الآداب ويترتب على الاجتماع من الجدوى حسبما يقتضيه حال الذاكر والوقت والمكان

(التاسعة) في ذكر سبب وضع هذا الراتب والحث على ترتيبه من جامعه وغيره من أئمة ذلك الزمان وغيرهم ممن جاء بعدهم من الأعيان ، وفي خاصيته وعموم نفعه وتاريخ ترتيبه ووضعه ، وفي ذكر ما اختاره الأولياء العارفون والعلماء الراسخون من وضع الأحزاب والأوراد والدعوات النافعة في المعاش والمعاد ، وقد سميت هذا الشرح

« ذخيرة المعاد بشرح راتب القطب الحداد »

وأسأل الله تعالى أن ينفعني به في الدنيا والآخرة وأن ينظمني وأولادي وأحبائي وخاصتي في سلك أصحاب تلك الدائرة آمين .

واعلم أيها الواقف على مافي هذا الشرح من العبارات التي تشير إلى الدوق والوجدان الحاصل لدوى الإشارات أني إنما أثبتها وأنقلها وأنا معترف بالقصور عن العثور على ذوقها والوصول إلى حقيقتها لأنني لم أسلك منهج سبيلها وطريقها وإنما نقلتها تبركا وتعرضا لعلها يصادفها بعض ذوى الهمم العالية فيشتاق إلى تلك المعارف الإلهية والعطايا الوهبية وذلك حين يشيم بروقها ويستطلع مشارقها من أفق قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا) ، ومن قوله ﷺ « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم »

المقدمة الأولى

في معنى الذكر وحقيقته وسر تأثيره وكثرة فوائده وذكر بعض آدابه والأحكام المتعلقة به والغاية التي يوصل إليها وهي معرفة الله تعالى و [عظيم] الأنس به ورضائه والبلوغ إلى غاية الأمنية بل الفرح والسرور ببقائه ، ومجاورته مع رسله وأنبيائه وأوليائه في دار السكرامة والأمان وغير ذلك من الثمرات ، هذا من حيث بيان هذه الموارد على الإجمال .

وأما فضل الأذكار الواردة في الراتب وما ينقل معها فسيأتى في محله إن شاء الله تعالى .

فاعلم — أولاً — أن الغاية التي شرع لها الذكر والنهاية التي لأجلها قام النهي والأمر هي معرفة الله تعالى ، ولها كان هذا العالم وما فيه من الأنوار والظلم ومن عليه وما عليه من جنود الطاعة والعناد ، وما شرعه تعالى من الأحكام لا تنظام أمر المعاش والمعاد ، كل ذلك كان للقيام بطاعته والعكوف على باب حضرته وامتنال أمره ودوام ذكره وشكره وقد حصر الله تعالى غاية خلق المكلفين وما أوجده من خلق السموات والأرضين في آيتين : « الأولى » قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) « والثانية » قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما) لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، فغاية الإيجاد والتكليف معرفة الله تعالى والعمل بطاعته (قال بعضهم : في الدنيا جنة ، من دخلها لم يشتق إلى جنة الآخرة ولا إلى شيء ولم يستوحش من شيء قيل : وما هي ؟ قال

معرفة الله عز وجل (وقال) مالك بن دينار رضي الله عنه خرج الناس من الدنيا ولم يدوقوا أطيب الأشياء قيل وما هو ؟ قال : المعرفة ثم قال :
 إن عرفان ذى الجلال كعزّ وضياء وبهجة وسرور
 وعلى العارفين أيضاً بهاء وعليهم من المحبة نور
 فهنيئاً لمن عرفك انتهى هو والله دهره سرور
 وقال آخر :

من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي
 ما ضرّ ذا الطاعة ما ناله من طاعة الله وماذا لقي ؟
 ما يفعل العبد بعزّ الفنى ؟ العزّ كلّ العزّ للمُتَّقِي
 وطريق هذه المعرفة الموصل إليها والذالّ عليها هو الانقطاع إلى الله تعالى
 والاستغراق في طاعته بوسيلتي العلم والعمل فإنهما طريقان موصّلان إليه وهما
 متلازمان بل متحدان لأن مسمى كل واحد منهما ومعناه يطلق على الآخر
 لاسيما إذا كان المتصف بهما من الأئمة المحاصيين والسادة العارفين فإن علومهم
 تتجلى في أعمالهم وأعمالهم تتشكل بعلومهم فعلمهم تدل على الله تعالى وأعمالهم
 تنهض إلى اقتفاء طريق السير إلى الله تعالى ، ومن عناية الله تعالى بهم إذا أراد
 أن يستخلصهم إليه ويصطفيهم له أن يبتليهم بأعوجاج العامة في البداية بل
 وفي النهاية فيولعوا بأبائهم وتنقيصهم لتصفوهم طريقة العلم والعمل ويدوم
 لهم الإقبال على الله عز وجل (ففى) لواقع الأنوار للإمام عبد الوهاب
 الشمراني « قدس الله روحه » .

(قال) الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه جرت سنة الله تعالى
 في أنبيائه وأصفياه أن يسلط عليهم الخلق في ابتداء أمرهم وفي نهايتهم كما

مالَت قلوبهم لغير الله تعالى ثم تكون الدَّوْلَةُ والنصرة آخر الأمر لهم إذا أقبلوا على الله كل الإقبال — ثم قال — قلت وذلك لأن المريد السالك يتعذر عليه الخلوص والسير إلى حضرة الله تعالى مع ميله إلى الخلق والركون إلى اعتقادهم فيه فإذا آذاه الناس وذموه ونَقَصَوْهُ ورَمَوْهُ بالبهتان والزور نفرت نفسه منهم ولم يصر عنده ركون إليهم ألبتة وهناك يصقو له الوقت مع ربه ويصح له الإقبال عليه لذهاب التفاته إلى وراء فافهم . اه .

والقالات في ذلك كثيرة وهو أمر معلوم من أحوال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم والأكمل من وارثهم .

وأعلم — ثانياً — أن الذكر « كما في فتح الإله » في أصل وضعه هو ما تمبّد الشارع بلفظه مما يتعلق بتعظيم الحق أو الشاء عليه ، ويطلق على كل مطلوب قولي اه . وقريب منه في تعريفه ما يأتي عن التحفة ، والكلام في الذكر اللساني ، أما الذكر القلبى وهو الذكر الحقيقى فهو أرفع الأذكار وذلك لأنه إرسال الفكرة في عظمة الله وجلاله وجبروته وآياته في أرضه وسمواته ، وأن الذكر لا ينحصر في التهليل والتسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ ونحوها بل هو عام في كل طاعة لله تعالى وكل عمل يقصد به فاعله وجه الله تعالى فهو ذكر لله .

قال الإمام النووى رحمه الله — في أذكاره : اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها بل كلُّ عامل لله تعالى بطاعته ، فهو ذا ذكر لله تعالى كذا قاله سعيد بن جبير رضى الله عنه وغيره . وقال عطاء رحمه الله تعالى مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام . كيف تشتري وتبييع وتصلى وتصوم وتنكح وتطلق اه .

وقال الشيخ أحمد بن حجر في شرح خطبة المنهاج : الذكر لغةً هو كل مذكور ، وشرعاً قول سيق لثناء أو دعاء ، وقد يستعمل شرعاً أيضاً لكل قول يثاب فأنله اه .

وقال ابن علان في شرح الرياض بعد نقله ما في التحفه : وفي فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني ويطلق الذكر ويراد به المواظبة على العمل بما أوجب الله تعالى أو ندب إليه ، وقال الرازي المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسييح والتحميد والتجيد ، والذكر بالقلب هو التفكير في أدلة الذات والصفات وأدلة التكليف من الأمر والنهي حتى يطلع الناكر على أحكامها وفي أسرار المخلوقات ، والذكر بالجوارح : هو أن تصير مستغرة في الطاعات اه .

وقد ذكر صاحب الراتب رضى الله عنه في نصائحه ما يدل على أن الاشتغال بالعلم من أعظم أنواع الذكر فإنه قال : الاتساع في العلوم الدينية النافعة والاستكثار منها والزيادة على قدر الحاجة من أعظم الوسائل إلى الله وأفضل الفضائل عند الله ولكن مع الإخلاص لوجه الله وتلك المرتبة هي التي تلي مرتبة النبوة ، وجميع مراتب المؤمنين أنزل منها فإن العلماء العاملين هم الواسطة بين رسول الله ﷺ وبين المسلمين إلى آخر ما ذكره وهو يؤيد ما مر من أن الذكر استحضار عظمة المذكور عند العمل بطاعته ، وقال سيدي الامام عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوى في كتابه الدوائر في الكلام على الفقه : وأما من ذكر الله وذكر الله فيه وأكثر من ذكر الله في خلاله وتحفظ من آفاته ومرائه وجداله وقصد به وجه الله تعالى فإنه له من أفضل الطاعات وأولى ما انفقت فيه نفائس الأوقات فإنه من الذكر لله تعالى فإن ذكر أحكام الله من ذكر الله وقد جاء ذكره ليسع والنكاح والطلاق وغيرها من الأحكام في الآيات في كتاب الله ويُقرأ جميعها في الصلاة .

وما علة البعد إلا الغفلة عن الله وإن كان في معظم أبواب الدين فانظر إلى
 برّ الوالدين لعدم النية الصادقة لغلبة العادة فيه على العبادة وقلة الحضور مع الله
 تعالى قلّ أن يظهر أثره على القائم به ويحصل له السعادة كما حصلت لأويس
 القرني سيد التابعين وبالله التوفيق اهـ ، وهذا السيد الإمام من الآخذين عن
 الإمام صاحب الراتب والمقررين للراتب والعاملين به وسيأتي ذكر جواب له
 عمن سأل عن قوله الآتي ياربنا واعف عنا وقوله في ياذا الجلال والاكرام
 أمثنا على دين الاسلام (فإذا علمت) أن كل عامل بطاعة الله ذا كرم لله بجمعيته
 على الله بما توجه إليه من أمر الله من أنواع الطاعات وفنون القربات
 والعبادات (فاعلم) أن ذلك الحال وأثر ما فيه من صدق المقال والأفعال يظهر
 على ذوى الإحبات ^(١) والحضور فيظهر أثر ذلك النور من وراء الستور
 في أى عمل كانوا عليه وإن كان ظاهره الدنيا كالصناعات والحرف والمعاملات،
 وإنما للذكر باللسان مع القلب ومع الاخلاص والحضور خاصية وسر عظيم
 في استئثار القلب وطهارة السر وانفتاح عين البصيرة فإنه إذا كان من أسبغ
 الوضوء مستشعرا نظافة الظاهر يجد انشراحاً وصفاً في باطنه كان لا يصادف قلبه
 قبل ذلك [فهذا أولى] ^(٢) (قال) الإمام الغزالي رضى الله عنه : وذلك لسر العلاقة
 التي بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فإن ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من
 عالم الملكوت بأصل فطرته وإنما هبوطه إلى عالم الشهادة كالغريب عن
 حليته ^(٣) وكما تنحدر من معارف القلب أنوار وآثار إلى الجوارح فكذلك
 قد يرتفع من أفعال الجوارح أنوار إلى القلب اهـ .

(٢) زدنا ما بين القوسين تنميماً للكلام .

(١) الخوض لله تعالى .

(٣) جهته .

وإذا كان هذا في عمل الطهارة فكيف في الذكر الذي هو منشور
 الولاية وسلطان القرب وله النفع العظيم عند الموت وفي جميع المواقف التي
 آخرها مقرّ المقربين الأبرار وهي الجنة ومقرّ الكفار الفجار وهي النار
 فقد ورد « من قال لا اله الا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة » وفي حديث
 الشفاعة ، « أخرجوا من النار من قال لا اله الا الله » فما ظنك بمن كان ملازماً
 للذكر آناء الليل والنهار كيف يتجلى عليه الوهاب بسواطع الأنوار ويفيض
 عليه من لونه فائضات الأسرار ويصير مطالماً للحقائق الإلهية جامعاً للطرائق
 الحميدة متمسكاً بالحقائق الحقیّة والحقائق الصّدقيّة إلى أن صار كما قال
 سيدي عبد الرحمن قد أسلم شيطاناً وصار له على الحق كالمعين فهو بعين عناية
 الله ملحوظ ، وبزين رعايته محفوظ كلما زادت نعمة الله عليه بتوفيقه لطاعته
 وذكره ومعرفته وجلاله وعظمته وعلوّ جبروته وقهره عرف قصوره وتقصيره
 في شكره واعترف بعجزه وفقره وتلاشى أمره فهو يستغفر الله في اليوم أكثر
 من مائة مرة ويخاف الله أكثر من خوف العصاة لما عرف الله تعالى وأمره
 خفوفه واستكانته لجلال الجبار أعظم من خوفه من النكال ومن عذاب
 النار اه من كتاب الدوائر ، فيأذن دوام الذكر من أعظم الرتب وهو
 لشدة تأثيره كالسلطان في القرب ولهذا خصه عليه الصلاة والسلام بقوله
 « ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله » كما سيأتي ماله
 من الفضائل العظيمة والخصوصيات الكريمة ، قال صاحب الراتب رضى الله عنه
 في البائبة المسماة بالوصية .

واذكر إلهك ذكراً لا تفارقه فإنما الذكر كالسلطان في القرب

وقال في الرائية :

وإن رمت أن تحظى بقلب منورٍ
وثابر عليه في الظلام وفي الضياء
فإنك إن لازمته يتوجه به
ولكنه نور من الله واردة
نقى عن الأغيار فاعكف على الذكر
وفي كل حال باللسان وبالسر
بدا لك نور ليس كالشمس والبدر
أتى ذكره في سورة النور فاستقر

وكلامه رضى الله عنه في هذه الآيات متضمن للبحث على رفع الصدا وكشف
الران والغين التي تحجب البصائر عن إدراك الشهود والوقوف على العين، فقوله
« وإن رمت أن تحظى بقلب منور » أى محبوب بالنور الذى هو عند أهل
الحق كل وارد إلى السهى يطرد الكون عن القلب وإليه الإشارة بقوله « نقى عن
الأغيار » أى خلى عن وجود غير الحق فيه الذى هو نور النور وبنوره ظهر
كل شئ ولولا ظهور نوره لما ظهر شئ « وثابر عليه » أى لازم عليه « في
الظلام » أى الليل « وفي الضياء » أى النهار « وفي كل حال » من قيام وعود
واضطجاع كما فى الآية « باللسان وبالسر » أى وبالقلب « فإنك إن لازمته
بتوجه » أى لازمت الذكر بتوجه تام وأعطيته كليتك ومنه إدامة كل
ما منك إلى مولاك من عبادات ومعاملات ومجاهدات ومكابدات فكلها من
الله لهم ومنهم له أنوار توجه ومواجهة وتعريف وتقرب وتودد وتحجب فينبغ
يبدو للذاكر ما ذكره بقوله « بدا لك نور ليس كالشمس والبدر ولكن
نور من الله وارد » وهو النور الذى يخرج به من سجن رؤية الأغيار إلى
فضاء التوحيد وكال الاستبصار فتتسع مسافة نظر بصائرهم إلى العوالم الغيبية
ويتصرفون فى العوالم الملكية والملكوية فيصلون إلى حق اليقين وهو
الوصول إلى حقيقة الكشف والشهود ويفنى لديهم ما سوى الآله المعبود .

واعلم ، أنه لا بد مع ذلك من التخلية والتخليّة وهما الخروج عن الأخلاق

المذمومة الرديّة والإتصافُ بالأخلاق الممدوحة السنيّة كما قال رضى الله عنه ،
وصف من الأكداد سرّك إنه إذا ما صفا أولاك معنى من الفكر
تطوف به غيب العوالم كلها وتسرى به فى ظلمة الليل إذ يسرى
أى أنه إذا صفا السر عن الأغيار وشهود الآثار وانفتحت عين البصيرة
الرؤية الأنوار بارتفاع ججب النفس والأكداد طاف العارف غيب العوالم
وصارت عنده أكوام الشهادة فى جميع الأطوار من غير أن يحجبه فى تطويفه
ذلك، ظلمة الليل ولا أشعة النهار .

وقد حقق هذا المقام الشيخ عبد الخالق بن على الزجاجى الزبيدى رحمه
الله تعالى ، فإذا صار نوره بهذه المثابة سجد لله سجود الأبد ، وشهد تسخير العالم
له كما قال تعالى (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه) وعرف معنى
«لولاك ما خلقت الأفلاك» وقوله «ما وسعنى أرضى ولا سماءى ولكن وسعنى قلب
عبدى المؤمن» وقوله «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف خلقت الخلق وتعرفت
إليهم فى عرفونى» أى بمظهرى الأكمل عرفونى فمن حصل له هذا التجلى فهو
قبلة الوجود انتهى (قال) بعض العارفين فى معنى قوله تعالى «ما وسعنى أرضى
ولا سماءى الخ أى وسع قلب المؤمن ما يليق فيه تعالى من الواردات الربانية
والعلوم الصمدانية فإن قلب العبد المؤمن وسع معرفة الله تعالى الممكنة له
اللائقة بالحق ولذلك أبت السموات والأرض مع وسعهن أن تسع معرفة الله
وادّعت العجز عن ذلك وادّعى المؤمن أن قلبه يسعها وذلك أن العبد لما انخلع
عن صفاته الفانية خلع عليه تعالى صفاته الباقية بقوله «كنت له سمعاً وبصراً
وفؤاداً» انتهى .

وفي كتاب « سفينة النجاة إلى طريق معرفة الآله » ما يبين ما استنباه الشيخ عبد الله ونفاه في قوله كالشمس والبدر فإنه قال : وليس ذلك النور عبارة عن شعاع ينسبط على أشباحهم وصدورهم إنما هو عبارة عن نور الهداية انتهى أى وهو الذى يغيب عن الأكوان بشهود المكوّن في النهاية فيرى أنه قائم في جميع الأفعال والأعمال وحاكم في جميع الأحوال بحول الله وقوته وطفه وتوفيقه وقدرته ، ولا يشهد له فعلا ولا وجوداً بل هو فان في وجود الحق لكأله معرفة وشهوداً .

وقال الشيخ الدميرى في كتابه المذكور في المعنى المشار إليه في سورة النور : فمعرفة العبد لربه نور الله الذى يقذفه في قلب عبده المؤمن فيدرك بذلك النور أسرار ملكه ويشاهد غيب ملكوته ويلاحظ صفات جبروته ثم تنزل قوة إدراكه على مقدار ما أفيض عليه من ذلك النور (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة) الآية . فالمشكاة بمنزلة بشرتك لما في البشرية من الكثافة فهي محل ظل وسواد ، والمصباح كما كان في الظل والسواد كان أشد في الإشغال والإبعاد ، فشبه نور التوحيد بنور المصباح يستضيء به كل ما يحاوره ويحاذيه ، وشبه القلب بالزجاجة لما فيها من اللطافة فإنها شفاقة تطرح الأنوار على ما يقابلها ويحاذيها من الأجرام ، والقلب شفاف تنفذ إليه أشعة أنوار التوحيد إلى ما وراءه من الجوارح ، وشبه الزجاج بالكوكب إشارة إلى إشراقها واستنارتها ، والدرى منسوب إلى الدر مبالغة في استنارته وصفاء جوهره ، وإما سمى الله تعالى نفسه نوراً لأن النور هو الضياء المظهر للأشياء فإذا سُمي ما يُظهر غيره بالإضافة إلى الإدراك نوراً فلأن سُمي من يظهر الأشياء من كتم العدم نوراً أولى بل هو نور النور لأنه مُظهر المظهر انتهى .

وقد ألف الإمام الغزالي في تفسير هذه الآية (الله نور السموات والأرض...) كتاباً حافلاً سماه مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار أبدى فيه معاني ولطائف خرجت من معدنها لأهلها .

وقال الشيخ الدميري عند ذكر الأوراد والأذكار ومددها : فالفقيه إذا لم يُحْيِ نفسه بالأوراد ويمنعها عن الشهوات وكثرة ميلها إلى أبناء الدنيا فليس بفقيه ، فالورد ما هو مطلوب منك لسيدك فهو حقه عليك ، والوارد ما تطلبه منه فهو حظك منه ، فشروق الأنوار اليقينية الإيمانية على حسب صفاء الأسرار القلبية الصمدانية ، وصفاء الأسرار على قدر البعد عن الأغيار بحسب الأوراد والأذكار فالذكر مانذب الشارح إلى التبعيد بلفظه ويكون بالقلب واللسان وهو طريق وُصِّلَ الحب بالحبوب (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) ، إن أردت أن تكون عنده منه كورا فكن له من الداكرين إذ جعل تعالى جزاء ذكرك إياه وجود ذكره لك حيث قال عز وجل (فاذكروني أذكركم) ، وقد سئل صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ فقال «أن تموت ولسانك رطب بذكر الله» وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : إن الذين ألسنتهم رطبة من ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك ، قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى : والمراد بالرطبة عدم الغفلة لعدم يبس اللسان ، وقيل أوحى الله تعالى إلى داود : أن أسرع الناس مروراً على الصراط الذين يَرَوْنَهُمْ بحكمي وألسنتهم رطبة بذكرى ، وكان أبو محمد الفتح الموصلى رحمه الله يقول : القلب إذا منع الذكر مات كما أن الإنسان إذا منع الطعام والشراب مات ولو على طول ، وقيل : أقرب الطرق إلى حضرة الله تعالى كثرة ذكره لأن الاسم لا يفارق مسماه فلا يزال

(٢ م — ذخيرة المعاد)

العبد يذكر ربه والحجبُ تَمَزَّقُ شيئاً بعد شيء حتى يبلغ الشهود القلبي
فإذا حصل الشهود استغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور انتهى
فإذا استغنى عن هذه الجملة أتمودجاً من سرٍّ مذاقه أهل الله وخاصته
من مشارب الذكر وكرُّ عودٍ من صافي مناهله بالكأس الذي لم تذكره
خواطر الظنون والشكوك الواردة على الخيال والفكر علمت أن هذه المشارب
والأذواق هي الغاية القصوى إذ الذكر والفكر هما الموصِّلان إلى المعرفة بالله
والحب لله والأنس به في حضرة الوصال والمتَّعِد المتعال المشار إليه بقول صاحب
الراتب رضى الله عنه :

في مقعد الصدق الذي قد أشرقت أنواره بالعند يالك من سنا
وهذا جال من كان قلبه معموراً بذكر الله صافياً من كدورات الشهوات
مستغرقاً بحب الله ليس فيه سوى الله تعالى فهذا هو حقيقة العندية وهذه
هي المشارب المشار إليها بقول الإمام ابن بنت الملق الشاذلي رضى الله عنه
من ذاق طعم شراب القوم يدرية ومن دراه غدا بالروح يشريه
ولو تعوض أرواحاً وجاد بها في كل طرفة عين لا يساويه
إلى آخر ما ذكره فيها من أحوال أهل الله الواصلين إلى حضرة الله تعالى
بذكر الله .

آداب الذكر

واعلم — أن الذكر الذي هو غذاء القلوب والدواء لأعراضها الناشئة عن
الدنوب والعيوب له آداب منها أن يكون على أحسن الهيئات وأن يكون مع الطهارة

الباطنة والظاهرة ومع استقبال القبلة ومع الحضور والإخلاص ، وأكمله أن يكون بالقلب واللسان وإن اقتصر على ذكر القلب فهو نافع مؤثر ، وذكر اللسان بلا حضور القلب قليل الجدوى والتأثير والفائدة ولكنه خير من الإعراض والغفلة لأن إشغال اللسان بالذكر قد يستدعى حضور القلب .

الإسرار بالذكر والجهر به

وأما الكلام في الإسرار بالذكر والجهر به ففيه للعلماء أقوال وللصوفية طرائق فمنهم من يرجح الجهر بالذكر ومنهم من يرجح الإسرار عليه السلام ، وورد في كل ما يرجحه فقد ورد في الإسرار قوله عليه السلام « خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي » وورد أيضاً « إن فضل الإسرار بقراءة القرآن كفضل الإسرار بالصدقة » والإسرار بالذكر كذلك .

وفي حاشية الأذكار لابن علان قال : أخرج أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لفضل الذكر الذي لا يسمعه الحفظة سبعون ضعفاً ، إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لحسابهم وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال لهم انظروا هل بقي له من شيء فيقولون ما تركنا من شيء مما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه فيقول الله إن لك عندي حسناً لا تعلمه وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفي » وأورده السيوطي في البدور السافرة في أحوال الآخرة .

وورد في الجهر أيضاً أخبار وآثار (قال) صلى الله عليه وسلم « إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فإن الملائكة وعمّار الدار يستمعون لقراءته ويصلون بصلاته » ومرو عليه السلام على عمر رضي الله عنه وهو يجهر فسأله

عن ذلك فقال أوقف الوسنان وأزجر الشيطان » ومرّ على أبي بكر وهو يخافت فسأله فقال الذى أنا فيه يسمعى .

(وقال) الإمام الغزالى ما حاصله ، والوجه فى الجمع بين الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والسمعة والتصنع فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك . فإن لم يخف ولم يكن فى الجهر ما يشوش الوقت على مصل أى أو نائم فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتعلق بغيره والخير المتعدى أفضل من اللازم ، ولأنه يوقظ قلب القارئ أى والذاكر ويجمع همته إلى الفكر فيه ويصرفه إليه سمياً ، ولأنه يطرد النوم برفع الصوت ، ولأنه يزيد فى النشاط ويقلل من كسله ، ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ، ولأنه قد يراه بطل غافل فينشط ويشتاق إلى الخدمة فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات يتركو عمل الأبرار وتضاعف أجورهم اه .

(تنبيه)

ضابط الإسرار أن يُسمع نفسه حيث كان صحيح السمع ولا مانع ككسب ونحوه فإن لم يسمع نفسه بالشرط المذكور فلا يحصل له ثواب الذكر إن كان مسنوناً ولا يستقط عنه الفرض إذا كان واجباً سواء كان فى صلاة أو غيرها ويسمى ذا كرا بالقلب له ثواب إن حضر معه ، وأما الجهر فهو بأن يُسمع نفسه وغيره ، والحد الذى ذكروا أنه سُنة فى التلاوة هو أن يتوسط بين الجهر والإسرار ، وقيل يُسرُّ تارة ويجهر أخرى .

(فضل الذكر)

اعلم أن الذكر عظيم الشأن والقدر وما ورد فيه من الفضائل والخواص والفوائد لا يدخل تحت الحصر فلنكتف بذكر شيء مما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار، قال الله تعالى (وأقم الصلاة لذكري). (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً) (واذكروا كما هداكم) (واذكروا اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً). (فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم)، قال ابن عباس رضي الله عنهما أي في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والمرض والسر والعلاية وقال تعالى (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة) إلى قوله (ولا تكن من الغافلين) (واذكر الله أكبر) قال ابن عباس أي ذكر الله لكم أكبر من ذكركم إياه، أو ذكر الله أكبر من كل عبادة، وقيل أكثر تأثيراً في دفع المذموم وجلب الممدوح وقال تعالى (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) إلى غير ذلك من الآيات، (وقال ﷺ «ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال: ذكر الله» (وقال ﷺ «مثل البيت الذي يذكر الله فيه والذي لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت» [ومن الآثار] قال أنس بن مالك رضي الله عنه ما من بقعة يذكر الله عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت على ماحولها من البقاع واستبشرت بذكر الله تعالى إلى منتهاها من سبع أرضين، وما من عبد يقوم يصلى إلا تزخرت له الأرض، وما من منزل ينزله قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلغهم.

وفي كتاب الصلاة من الإحياء : روى أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام
 قل لعصاة أمتك لا تذكروني فأني آليت على نفسي أن من ذكرتي ذكرته فإنهم
 إذا ذكروني ذكرتهم بالعنة ، قال الإمام الغزالي هذا في عاص غير غافل في ذكره
 فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان » وفيه أيضاً أن الله تعالى أوحى إلى
 موسى عليه السلام يا موسى إذا ذكرتي فأذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك وكن
 عند ذكرى خاشعاً مطمئناً وإذا ذكرتي فأجعل لسانك من وراء قلبك وإذا
 قت بين يدي فقم قيام العبد الدليل وناجى بقلب وجِلُّ لسان صادق انتهى ،
 [وروى] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق فقال مالي أراكم
 هاهنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد فذهب الناس
 إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً يقسم فرجعوا وقالوا ما رأينا ميراثاً
 يقسم قال فإذا رأيتم قالوا رأينا قوماً يذكرون الله تعالى ويقرءون القرآن
 قال فذلك ميراث رسول الله ﷺ ، [وقال] سفيان بن عيينة
 رحمه الله : إذا اجتمع قوم يذكرون الله اعزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان
 للدنيا ألا تيرين ما يصنعون ؟ فتقول الدنيا دعهم فإنهم إذا انصرفوا أخذت
 بتواصيهم إليك [وقال] داود عليه السلام إلهي إذا رأيته أجاوز مجالس
 الداكرين إلى مجالس العاقلين فأكسر رجلي دونهم ، فإنها نعمة تنعم بها علي ، وروى
 أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا إذا ذكر الله تعالى ، وفي أخبار داود عليه
 السلام أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى بعض أنبيائه إنما اتخذت لخلي من
 لا يفتر عن ذكرى ولم يكن له همٌّ غيري ولا يؤثر على شيء من خلقي .

(قال) العارف بالله تعالى علي بن عبد الله باراس في رسالة له في الذكر
 في معنى قوله تعالى « فأذكرني أذكركم » أي اذكروني بعبادتي أذكركم برحمتي

وبرى ومغفرتي، فكلُّ في الحقيقة ذا كرم ومذكور، فإذا كرم بالشكر مذكور
بالفضل، وإذا كرم بالكفر مذكور بالعدل، فأهل الشكر ذا كرون بالطوع والفرح
والإغباط والشوق، وأهل العدل ذا كرون بالكفر والاحتياج والسوق،
وذكر الله لكل أكبر جزاء أهل الشكر الثناء والهدى والبشارة والخلد
في جواره ولطائف آلائه ومشرفات تجليات أنواره ومعاطف جنانه
ومشاهدات جماله وتلطفات أسراره إلى غير ذلك، وذكره لأعدائه بسطوة
قهره وقواصف عواصف تجليات بأسه أكبر وقد طبع عليه بطابع الشقاء وأبعد
عن الإيمان والتقى فإنه يشمئز من ذكر الله ويستبشر بالسَّوَى قال الله تعالى
(وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر
الذين من دونه إذا هم يستبشرون) انتهى . فالذكر لله تعالى لا يكمل ثوابه
ويظهر نوره ويتحقق تأثيره إلا مع طاعة الله تعالى واجتناب معاصيه وسيئاته
لذلك قريباً زيادة بيان (وقال) ﷺ « ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له
من عذاب الله من ذكر الله قالوا يارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال
ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع ثم يضرب به حتى
ينقطع ثم يضرب به حتى ينقطع » (وقال) ﷺ « ذاكر الله تعالى في الغافلين
كالصابر بين الفارين » وفي حديث آخر « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة
الخضراء في وسط المحشيم » (وقال) عليه الصلاة والسلام « من أحب أن يرتع
في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله » وقال ﷺ « إن الذين لا تزال
ألسنتهم رطبة من ذكر الله يدخلون الجنة وهم يضحكون » وفي خبر آخر
« أحب الأعمال إلى الله تعالى أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله » وفي آخر
« أمس وأصبح ولسانك رطب من ذكر الله تصبح وتمس وليس عليك خطيئة »
(وقال) ﷺ « لذكر الله بالعبادة والعشى أفضل من خطم السيوف

في سبيل الله ومن إعطاء المال سَعًا» (وقال صلى الله عليه وسلم) «لو أن رجلاً
 في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكّر الله لكان الذكر لله أفضل» وقال
صلى الله عليه وسلم «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها»
 (وقال عليه الصلاة والسلام) «سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله
 قال المفترّون في ذكر (١) الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة
 خفافاً»، المفردون بتشديد الراء المكسورة وروى بتشخيف الراء وإسكان الفاء
 مع كسرها وحكي مع فتحها — هذا حاصل ما ذكره ابن علان في حاشية الإذكار
 من خلاف طويل — قال وقال ابن الأعرابي: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل الناس
 وخلا مراعاة الأمر والنهي، وقال الأزهري هم المتحلّون من الناس بذكر الله
 وقيل هم المهرى الذين هلك أقرانهم من الناس وبَقُوا هم يذكرون الله، وفي كشف
 المشكل لابن الجوزي وقال بعضهم استولى عليهم الذكر فافردهم عن كل شيء
 إلا عن الله عز وجل فهم يقدرونه بالذكر ولا يضمون إليه سواء انتهى .
 (والحاصل) أن الذكر ونوره شامل لجميع العبادات ومهيمن عليها فبا كان منها
 وقع مع الحضور من كل ما يدخل تحت العلم والعمل فهو الذكر حقيقة ، وكذلك
 مجالس العلم ومذاكراته من أقسام الذكر بل هي من أعلاها وكل طاعة تدعو
 إلى الحضور مع الله والإخلاص له والحشية منه فهي من الذكر بخلاف ما إذا
 كانت مع غير ذلك، (قال ابن علان) أخرج الواحدى في التفسير الوسيط بسنده إلى
 خالد بن عمران رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أطاع الله
 فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وصنعه للخير ومن عصى الله فقد نسيه وإن
 كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن وصنعه للخير» ، وقال البخارى الاسكاف
 في فوائد الأخبار الغفلة نوم القلب والنائم لا يذكر ، وذكر الله تعالى أن تشهد
 (١) يقال أهتر بالضم فهو مهتر أولع بالقول في الشيء .

حافظاً لك رقيباً عليك قائماً بمصالحك فمن غفل عن هذه الأحوال فليس بذاك
وإن سبّح بلسانه وهلل وكبر، ومن كان متيقظاً في هذه الأوصاف فهو ذا كر
وإن سكت انتهى ما نقله ابن علان، ففهم منه أن المحترف إذا كان قاصداً بحرفته
التعفف والكفاية وصلاة الرحم والقيام بحق العيال والتصدق بالفضل على
المحتاجين وذوى الضرورات كان في كل ذلك عاملاً بطاعة الله بل هو أفضل
من المتنفل بأنواع العبادات لما هو قائم به من النفع المتعدى وإن اقترن عمله
بالذكر كان أكمل كما ذكره في حق المجاهد أنه يذكر الله في الجهاد.

(قال) الإمام صاحب الراتب رضى الله عنه وقد عد العلماء رحمهم الله
تعالى من فضائل الذكر وأرجحيته على غيره من الأعمال الصالحة أنه يمكن
المدائمة عليه في جميع الأوقات والأحوال لأنه غير مؤقت بوقت بل هو مأمور
به على الدوام ويتعاطاه المحدث والجنب والمشغول والفارغ ولا هكذا غيره من
الصلاة والصوم والتلاوة فإن لها شرائط تتوقف عليها وأوقاتها لا تصح إلا فيها
ثم بعد أن ذكر بعض الأوقات والأحوال التي تمتنع فيها تلك العبادات قال وإن
كان لبعضها فضل عليه من حيثيات أخرى، فمن خصوصيات الذكر خفة المؤنة فيه
مع فضله وأنه يمكن المدائمة عليه حتى إنه ينبغي لمن يكون على حالة يكره
الله فيها ذكر الله تعالى بلسانه مثل الخلاء والجماع أن لا يغفل عن ذكر
الله بقلبه كذلك قال العلماء بالله، فلا تزل رحمك الله ذاكراً، وإن كنت ضائعاً
ومحترقاً وملابساً لشيء من أشغال الدنيا فلازم الذكر مع ذلك بقلبك وبلسانك
حسب الإمكان ثم أشار إلى ما مر من الاشتغال بالذكر بالسر والظهر ومع الجمع
بشرطه المار.

وفي مجموع الإمام النووي بعد ذكره الاكثار من الذكر وحضور محالسه
قال ويندب كون الذكر على أكمل الصفات متخشعاً متطهراً مستقبلاً القبلة

خاليا نظيف الفهم مع حضور قلبه وتدبر الذكر، ومن كان له وظيفة من الذكر ففاته نذب له تداركها، وإذا سلم عليه مسلم رد السلام وعاد إلى الذكر، وكذا إذا عطس عنده إنسان فليشمته أو سمع مؤذنا فليجبه أو رأى منكرا فليزله أو مسترشدا فلينبهه ثم يرجع إلى الذكر، وكذا يقطعه إذا غلب عليه نعاس ونحوه اهـ . وقيل الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر أعطى المنشور ومن سلب الذكر عزل، وقال أبو القاسم القشيري رضى الله عنه: الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الإرادة وعلامة صحة الولاية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شيء وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر ومنشؤها عن الذكر اهـ .

وفي الإحياء : أصل العبادات ونحها وسرها ذكر الله تعالى والتفكير في جلاله وذلك يستدعى قلبا فارغا وتحصيل الدين في الدنيا وتحصيل معرفة الله تعالى وتحصيل الأنس بذكر الله عز وجل ، فالأنس يحصل بدوام الذكر والمعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكر ، وثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محبا لله عارفا بالله ، فبدوام الذكر يحصل الأنس والمحبة ، وبدوام الفكر تحصل المعرفة . لا يبقى مع العبد بعد الموت إلا ثلاث صفات القلب وهى طهارته عن أدناس الدنيا وأنسه بذكر الله وحبه لله تعالى ، وطهارة القلب لا تحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا، والآنس لا يحصل إلا بالمعرفة فهذه الصفات الثلاث هى المنجيات المسعدات بعد الموت وهى الباقيات الصالحات ، وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فإذا غفل القلب فى نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بحبة الله فهو مغبون بل من غفل عن ذكر الله ولو فى لحظة فليس له فى تلك اللحظة قرين إلا

الشيطان قال تعالى (ومن يعيش عن ذكر الرحمن يُقيِّض له شيطانا فهو له قرين) وقال رضى الله عنه في موضع آخر .

فإن قلت فما بال ذكر الله تعالى مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أنفع وأفضل من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها ، فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة والقدر الذى تسمح بذكره في علم العاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب وأما الذكر وهو لاه قليل الجدوى ، وفي الأخبار ما يدل عليه أيضاً وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عنه سبحانه مع الاشتغال بالدنيا أيضاً ، قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله سبحانه على الدوام أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرات العبادات العملية ، ولذا ذكر أول وآخر فأوله يوجب الأنس والحب وآخره يوجب الأنس والحب ويصدر عنه والمطلوب هو ذلك الأنس والحب فإن المريد أولاً قد يكون متكلفاً بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله تعالى فإن وفق للمداومة أنس به وانعرس في قلبه حب المذكور إلى أن قال فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الأنس بالمذكور والحب له ثم يتمتع الصبر عنه آخره فيصير الموجب موجباً والمثمر مثمراً ، وهذا معنى قول ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع عن غير ذكر الله سبحانه وما سوى الله هو الذى يفارقه عند الموت فلا يبقى معه أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله تعالى وإن كان قد أنس به وتلذذ بانقطاع الغوايق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات فى الحياة تصدُّ عن ذكر الله تعالى ولا يبقى بعد الموت عائق فسكانه خلّى بينه وبين محبوبه فعظمت غيبته وتحلّص من السجن الذى كان ممنوعاً فيه عما به أنسه .

ولذلك قال ﷺ « إن روح القدس نفث في روعي أحب ما أحببت فإنك مفارقة » أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فإن ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من عليها فإن ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وهذا الأنس يتلذذ به العابد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله تعالى ويرقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يبعثر ما في القبور، ولأجل شرف ذكر الله تعالى عظم رتبة الشهادة لأن المطلوب الخاتمة ومعنى الخاتمة وداع الدنيا والقدم على الله عز وجل والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره ومر ذكر فضل الشهادة وما يكون الشهيد عليه من قصد إعلاء كلمة الله وبذل الروح الذي هو أعز ما عند العبد في سبيل الله وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وأهم يسألون ويتجنون الرجعة إلى الدنيا ليقتلوا ثانياً في سبيل الله عندما يشاهدون ما أعد الله لهم والذاكر لله تعالى شهوده وادكاره وحضوره وحقائقه في جميع حالاته كحالة الشهيد عند استعداده للقاء ربه عندما يبايع ربه كما حكي الله تعالى ذلك عنهم بقوله (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله) قال ومثل هذا الشخص هو الذي باع الدنيا بالآخرة وحالة الشهادة توافق معنى قول لا إله إلا الله فإنه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود إلاه فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا إله إلا الله إذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره إلى مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار انتهى كلام الغزالي ملخصاً ، وإنما ذكر في بعض المواضع الترتيب والمبالغة في كثرة فضيلة هذه الكلمة الشريفة مطلقاً لأن ذكر اللسان يجر إلى ذكر القلب وحضوره الذي هو المقصود كما مر في كلام الغزالي وغيره وورد

في بعض المواضع مقيداً بالصدق والإخلاص ومع اجتناب الغفلة عن المذكور وعدم الوقوع فيما لا يرضاه تعالى فيحمل المطلق على المقيد وذلك كقوله ﷺ « من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة » وفي رواية « صادقاً (وفي الأحياء) أيضاً قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم وفي رواية « ما لم ينالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فإذا لم يفعلوا ذلك فقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها مؤمنين » فنسأل الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حلالاً ومقالاً وباطناً وظاهراً حتى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها بل متبرمين منها ومحبين لقاء الله عز وجل فمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .

المقدمة الثانية

في فضيلة مجالس الذكر وما ورد فيه من الدلائل الصحيحة الصريحة وفي عقد مجالس الذكر وعمل المشايخ عليه من لدن زمانه ﷺ إلى الآن وفي الجهر به وما يلتحق بذلك فمن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن لله ملائكة سيارة فضلاء يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضاً بأجنتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال فيسألهم الله تعالى وهو أعلم بهم من أين جئتم ؟ فيقولون جئنا من عند عبادك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألوني ؟ قالوا يسألونك جنتك قال وهل رأو جنتي ؟ قالوا لا يارب قال فكيف لو رأو جنتي ؟ قالوا ويستجيرونك قال ومم

يستجيرونني؟ قالوا من نارك يارب فال فهل رأوا ناري؟ قالوا لا قال فكيف
لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم وأعطيتهم مأسألو
وأجرتهم بما استجاروا قال يقولون رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مررت بجلوس معهم، قال
فيقول وله قد غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» رواه مسلم رحمه الله في صحيحه
وفي صحيح البخاري رحمه الله تعالى إن الله عز وجل ملائكة يطوفون في الطرق
يلتمسون أهل الله كرفاذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم
فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء» ثم ساق باقيها كرواية مسلم مع زيادات وفي آخره قال
«فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس
منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم» (وقال) رسول الله
ﷺ «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفَّتْهم الملائكة وغشيتهم الرحمة
ونزلت عليهم السكينة وذكروهم الله فيمن عنده» وعن معاوية رضى الله عنه
قال خرج رسول الله ﷺ على حنقة من أصحابه فقال ما أجلسكم
قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام قال آله ما أجلسكم
إلا ذلك! قالوا ما أجلسنا إلا ذلك قال أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكن
أثنائي جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة» (وقال)
ﷺ «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يارسول الله وما رياض الجنة
قال حلق الذكرك» وفي رواية الترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه «قلت
يارسول الله وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع يارسول الله قال
مبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وقال رسول الله ﷺ
«سيعلم أهل الجمع اليوم من أهل الكرم قيل من أهل الكرم يارسول الله؟
قال أهل مجالس الذكرك في المساجد» وقال رسول الله ﷺ «ما من
قوم جلسوا مجلساً وتفرقوا منه ولم يذكروا الله فيه إلا كأنما تفرقوا عن جيفة

حمار وكان عليهم حسرةً إلى يوم القيامة وما مشى أحد مشى لم يذكر الله تعالى فيه إلا كان عليه ترة (١) ، وما آوى أحد إلى فراشه ولم يذكر الله تعالى فيه إلا كان عليه ترة » ، (وقال) ﷺ « لأن أقعد مع قوم يذكر الله من صلاة العداة حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن أعشق أربعة من ولد إسماعيل ولأن أقعد مع قوم يذكر الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلى من أن أعشق أربعة » (وقال) عليه الصلاة والسلام « (من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستر ببعض من العري وقارىء يقرأ علينا إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا فقام رسول الله ﷺ سكت القاريء فسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا يارسول الله كان قارىء يقرأ علينا القرآن فكنا نستمع إلى كتاب الله تعالى فقال رسول الله ﷺ الحمد لله الذى جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم قال فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه الكريمة فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم له فثار رأيت رسول الله عرف منهم أحداً غيرى فقال « رسول الله ﷺ أبشروا صعايلك (٢) المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف عام وذلك خمسمائة سنة » رواه أبو داود رحمه الله تعالى « وروى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادى بعضها بعضاً هل مرّ بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك فمن قائلة نعم ومن قائلة لا فإذا قالت نعم علمت أن لها عليها

فضلاً ، وما من عبد ذكر الله تعالى على بقعة من الأرض أو صلى عليها إلا وشهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه يوم يموت » قيل في قوله تعالى (فما بكت عليهم السماء والأرض) تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لأن الأرض تبكي عليهم ولا تبكي على من ركن إلى الدنيا ، وقال بعض الحكماء ارتفاع الأصوات في بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات يحل ما عقدته الأفلاك الدائرات ، قال العلامة الغريفي في كتابه بهجة الأنوار في مطلب فضيلة مجالس الذكر « واعلم أن مستضاء الأنوار أى أنوار الغيوب التى لا تقتبس الأنوار إلا منها هى حضرة الربوبية فيقدر الإقبال عليها تشرق أنوارها فى القلوب لقوله ﷺ « إن لديكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » وقوله يخلو يوم عن نفحة من النفحات ، فعلى العبد أن يفرغ المحل لانتظار نزول الرحمة ويتعرض لمهاب رياح الرحمة ويستدر أمطار اللطائف والمعارف من خزان الملكوت وكما يقوى انتظار الأمطار فى أوقات الربيع يقوى انتظار تلك النفحات فى الأوقات الشريفة ، وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كفى يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فإن الهمم بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته ، ثم ذكر أن الحجاب المانع من استدرار أمطار المكاشفات ولطائف المعارف هو ما للنفس من العلائق الدنيوية والشهوات وإلا فالرب أقرب إلى العبد من حبل الوريد وما حجابها إلا شغله بنفسه فهذه الدلائل دالة على الاجتماع للذكر وفعله فى بعض الأحيان برفع الصوت والجهر ومشايخ الطريق على ذلك .

قال السيوطى فى فتاوى طويلة له قال سيدى يوسف العجمى وقد اعترض بعضهم على الذكر بالجهر بقوله تعالى (واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة) وقوله ﷺ خير الذكر الخفى والجواب أن ذلك خاص به ﷺ ومن له به أسوة فيقد روى عن جابر رضى

الله عنه أن رجلاً كان يرفع صوته بالدكر فقال رجل لو أن هذا خفض من صوته فقال ﷺ دعه فإنه أواه [وروى] أن الناس كانوا يذكرون الله عند غروب الشمس فإذا خفيت أصواتهم أرسل إليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن نوروا الدكر أي ارفعوا أصواتكم به، والأولى في حق المجتمعين رفع الصوت اهـ. وفي فتاوى ابن حجر رحمه الله ما اعتاده الصوفية من عقد حلق الدكر بالجهر به في المساجد لا كراهة فيه، وحديث «إن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم» لا يكون إلا عند جهره فيلغى لا كراهة في الجهر بالدكر البتة حيث لا معارض، على أن فيه ما يدل على الاستحباب إما صريحاً وإما التزاماً، وقوله تعالى [واذكر ربك في نفسك] الآية أجيب عنه بأنها مكية نزلت حين كان ﷺ يجهر بالقرآن فيسمعهم المشركون فيسببون القرآن ومن أنزله فأمر بترك الجهر سداً للذريعة وقد زال هذا المعنى، وأشار لذلك ابن كثير في تفسيره، والأمر في الآية خاص بالنبي ﷺ الكامل المكمل، وأما غيره ممن هو محل الوسواس والخواطر الرديئة فأمور بالجهر لأنه أشد تأثيراً في دفعها.

وقال الشيخ علي بن عبد الله باراس الحريبي ناصاً على أرجحية الجهر بالدكر بشرط تأديته على الوجه المشروع.

ومن حقوق الدكر حسن تأديته لأن لا إله إلا الله آية من كتاب الله مشتملة على حروف تستدعي مروراً في النطق من مخارج كل منها على التعظيم وعدم إبدال شيء من حروفها خصوصاً ما يقرب منها في اللفظ ويبعد في الحظ كالمهمز من إله ومن إلا الله بآلاء حال التراخي والتساهل في التأدية، وكالد على الهاء من إله مدة تستلزم ظهور ألف، وكتسكينها فإنه يشبه أن يكون وقفاً على كل قبل تمام معناه فالمقصود حركة بغير مد وسكون. وقال إبراهيم الشاذلي رحمه الله اختاروا أن يكون الدكر ساذجاً عن النغمات بتجريد الألفاظ لئلا يبتعد في العالم

الحسى عن الاستغراق فى حضرات الغيب المطلوب من الذكر ، ولا أعون للذاكر
المبتدىء فى الطريق من الجهر به فإنه أبعدُ عن الغفلة وأبعثُ على اليقظة وأطرد
الجيش اللعين أهـ . ومرة عن الغزالى وغيره أن ذلك مشروطٌ فى الجهر بشروط
مذكورة هنالك .

وإما أطلتُ النقل فى دلائل الاجتماع للذكر والجهر به لكون هذا الراتب
وغيره من الرواتب للسادة الأشراف آل علوى وغيرهم من السادة الصوفية
لا تؤدى غالباً إلا بالجهر ولا يزال الإنكار عليهم فى كل زمن ووقت ، وهذا
الراتب مما جرى فيه الإنكار من بعض العلماء وردَّ ذلك الإنكار بما لا مزيد
عليه شيخنا الإمام الحبيب أحمد بن الحسن بن عبد الله صاحب الراتب فى شرحه
وأكثر ما بسطه فيه فى ذلك وفى بعض خواصه وتاريخه وفى ذكر من عمل به
وقرره وأثنى عليه وسيأتى نقل بعض منه فى ذلك .

اتخاذ السبحة

ومن آلات الذكر ومتعلقاته اتخاذ السبحة وأكثر ما يكون عدد حباتها
مائة وقد يكون خمسمائة أو ألفاً ، قيل اختص اسم المعداد به الذكر بالسبحة دون
بقية الأذكار لأن ورود الأعداد الآتية فى قوله سبحان الله وبحمده عدد خلقه
إلى آخره بالتسبيح أهـ ، وحاصل ما استدلل به الإمام السيوطى خبر أبى داود
والترمذى وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : رأيت النبی ﷺ يعقد
التسبيح بيده ، وأخرج الترمذى والحاكم عن صفية رضى الله تعالى عنها قالت
دخل على رسول الله ﷺ وبين يدي أربعة آلاف حصاة أسبَّح بهن فقال
ما هذا يا بنت حُيٍّ ؛ قالت أسبَّح بهن فقال « قد سبَّحت منذ قمتُ على رأسك

أكثر من ههنا» قالت علمي يارسول الله قال قولي «سبحان الله عدد ما خلق من شيء» قال وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد بسنده أن أبا هريرة رضي الله عنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح أى بعددها، وقد رأيت في كتاب تحفة العباد «ومصنفه متأخر عاصر الجلال البلقينى» فصلاً حسناً في السبحة قال فيه مانعه . قال بعض العلماء عقد التسبيح بالأنامل أفضل من السبحة لحديث ابن عمر رضى الله عنهما لكن يقال إن المسبح إن أمن من الغلط كان عقده بالأنامل أفضل وإلا فالسبحة أولى ، وقد اتخذ المسيحية ساداته يشار إليهم ويؤخذ عنهم ويعتمد عليهم كأبي هريرة رضى الله عنه كان له خيط فيه ألفا عقدة وكان لا ينام حتى يسبح به اثنى عشرة ألف تسبيحة قاله عكرمة ، وفي سنن أبي داود من حديث أبي بصرة الغفارى قال رضى الله عنه حدثني شيخ من طفاوة قال ثويت أبا هريرة رضى الله عنه بالمدينة فلم أر رجلاً أشد تشمراً ولا أقوم على ضيف منه قال فيمينا أنا عنده يوماً وهو على سرير له ومعه كيس فيه حصى أو نوى وأسفل منه جارية سوداء وهو يسبح بها حتى إذا نفذ ما في الكيس ألقاه إليها فأعادته في الكيس قدفعته إليه ليسبح ، قوله ثويت أى ثويت عنده وتصفيته ونزلت في منزله ، وقيل كان أبو هريرة رضى الله عنه يسبح بالنوى المجزع يعنى الذى حك بعضه حتى ابيض شيء منه وترك الباقي على لونه وكل ما فيه سواد وبياض فهو مجزع قاله أهل اللغة ، وذكر الحافظ عبد الغنى في ترجمة أبى البرداء عويم رضى الله عنه أنه كان يسبح في اليوم مائة ألف تسبيحة ومن المعلوم المحقق أن المائة ألف والأربعين ألفاً وأقل من ذلك لا ينحصر بالأنامل فقد صح وثبت أنهما كانا يعدان بآلة .

وفي حاشية الأذكار لابن علان نقلا عن شرح المشكاة لابن حجر : ويستفاد من الأمر بالعقد المذكور في الحديث نذب اتخاذ السبحة وزعم أنها بدعة غير صحيح إلا أن يحمل على تلك الكيفيات التي اخترعها بعض السفهاء مما يحضنها للزينة أو الرياء أو اللعب أو ونوزع بأن أخذ الشيخ بظاهره مناف لهذا الحديث لأنه يفيد العدد بالأصابع على وجه تفضيله كما أشير إليه بتعليقه ، وجرى في الحرز على كونها بدعة قال لكنها بدعة مستحبة لما سيأتي من حديث جويرية أنها كانت تسبح بنوى أو حصى . وقد قررهما عليه صلى الله عليه وسلم والسبحة في معناها إذ لا فرق بين المنظومة والنثورة فيما يعد به اه . وقوله حديث جويرية وهم لأن الحديث جرى مع صفة . وقوله بدعة غير مسلم لأن البدعة إحداث ما لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم والأمر هنا ليس كذلك لنقله إقرار الرسول عليها فلا يعتد بقول من عدّها بدعة ، وقد قال المشايخ إنها سوط الشيطان ، وروى أنه رأى مع الجنيد بن محمد رضى الله عنه سبحة في يده حال انتهائه فسئل عن ذلك فقال : شيء وصلنا به إلى الله تعالى كيف تركه ولعل هذا أحد معاني قولهم النهاية الرجوع إلى البداية اه كلام السيوطى .

وقال ابن علان وقد افردت المسبحة بجزء لطيف سمّيته «إيقاد المصاييح لشروعية اتخاذ المصاييح» وأوردت فيه ما يتعلق بها من الأخبار والآثار والاختلاف في تفضيل الاشتغال بها أو بعقد الأصابع في الأذكار ، وقال الشيخ أحمد زورق في قواعد الصوفية عند ذكره هذا المبحث ما نصه : إن أباه رضى الله عنه كان له خيط ربط فيه خمسمائة عقدة يسبح به ، قيل . والسبحة أعون على الذكر وأدعى للدوام وأجمع للفكر وأقرب للحضور وأعظم للثواب إذ له ثواب أعدادها اه .

وحاصل ذلك أن استعمالها في أعداد الأذكار الكثيرة التي يلهى الاشتغال

يمنها عن التوجه للذكر أفضل من العقد بالأنامل ، ونحوه والعقد بالأنامل فيما لا يحصل له فيه ذلك سيما الأذكار عقب الصلوات ونحوها أفضل .

وهنا إشارة ذوقية ، قال بعضهم لمن يذكر الله تعالى بالعدد تذكر الله بالحساب وتذنب بالجزاف وتعصيه بلا كتاب ، وقال ابن علان أيضاً في حديث (سبحان الله وبحمده عدد خلقه) إلى آخره وحديث (سبحان الله ملء الميزان) إنه أفضل لأن ما تعدّه بالنوى أو الحصى قليل تافه بالنسبة إلى ذلك الكثير الذي لا يعلم كنهه إلا اللطيف الخبير ، وقال ابن مالك تبعاً للطبي لأنه إعراف بالقصور وأنه لا يقدر أن يحصى ثنائه وفي العدد إقدام على أنه قادر على الاحصاء ، وتعب ابن مالك والطبي بأنه لا يلزم من هذا العد هذا الإقدام ولا يقدم على هذا المعنى إلا العوام كالهوام بل المراد أنه ﷺ أراد أن يرقبها من عالم كثرة الألفاظ والمباني إلى وحدة الحقائق والمعاني وهو خارج عن الأعداد بل متوقف على مداد الامداد والعد في الأذكار يجعل لها شأنًا في البال ويخطر بها في كل حال وهذا معيب عند أهل الكمال أي والسبب مطرح عندهم بكل حال لما مر عن بعضهم في التسميم والله واسع عليم انتهى . ما ذكره ابن علان من مواضع من كتابه المذكور .

قلت وكان لصاحب الراتب قدس الله روحه مسبحة ألقبها بآية إلى الآن يقال أنها من نوى المدينة وأخرى حباتها كبار لراتب ليلقى الخميس والاثنين يهمل مع الحاضرين للراتب بعد صلاة العشاء وبعد قراءة الراتب ألف مرة وكفى به في هذا الباب أسوة ، قال العلامة الفاكهي في شرح البداية عند قول الإمام الغزالي وتكررها أي الأذكار والدعوات في مسبحة أي ونحوها من حصص الحديث المشهور « يا نساء المؤمنين عليكن بالتهليل والتسبيح والتقديس ولا تغفلن فتنسين الرحمة

واعقدن بالأنامل فإنكن مسئولات مستنطقات» رواه أحمد وغيره، اسكن المسبحة أولى من حيثة لأن الصوفية يسمونها حبائل الوصل ووردت فيها آثار وأفردھا الجلال السيوطي بتأليف وكلام الجنيد سيد الطائفة فيها مشهور، وحسبك تنصيص حجة الإسلام عليها هنا وهو إمام الفقهاء والصوفية فلا شبهة ولا وقفة بعد كلامه رحمه الله، على أن أثر بركتها وتذكارها مشاهد محسوس لمن جرب به من المتعبدين بفربه تجده انتهى كلام الناكهي .

فتية

« في ذكر أسماء الأعداد من غير استقصاء للعدد »

اعلم أنه اختلف في مجرد ذكر أسماء الأعداد باللسان من غير استقصاء للعدد هل يحصل به ثواب مثل الثواب المترتب على العدد المكرر فيكون ثواب من قال بلفظ واحد سبحان الله ألف مرة مثلاً كثواب من كرر سبعان الله ألفاً أم لا ، قال ابن الطيب في شرحه على حزب الإمام النووي: الذي مال إليه الشيخ زورق في قواعده أنه يحصل له ذلك ورجح كثيرون أنه لا يحصل له واختار ابن عرفة أنه تحصل له درجة متوسطة وتبعه على ذلك تلميذه وغيره اهـ وقد بنوا على ذلك الاستغفارات الواردة والصلوات المشهورة وغيرها من الأذكار، فأما القول بحصول الثواب مع اجمال العدد فاعتمده ابن حجر وغيره من أئمة الشافعية وقد صنف في ترجيحه من المتأخرين العلامة يوسف بن حسين البطاح الأهدل رسالة وأطال في الاستدلال له والرد على من لم يوافقهم من فقهاء عصره وغيرهم ، وأجل المسئلة الجاري الخلاف فيها إذا قال المصلي في سجوده أو ركوعه «سبحان ربّي الأعلى» أو «سبحان ربّي العظيم وبحمده ثلاثاً» بلفظ ثلاثاً

مضموماً إلى التسبيح استغناء به عن تكريره ثلاثاً هل تبطل الصلاة بذلك أولاً وهل يحصل له ثواب من كررها ثلاثاً أولاً . فأجاب بأنه لا تبطل الصلاة ويحصل له ثواب من كرر هذا الذكر ثلاثاً قال وهو الذي يظهر من قواعدنا معشر الشافعية وأخذنا من قوله ﷺ في حديث التسبيح «سبحان الله عدد خلقه» ثم نقل بعده نصوصاً عديدة في الاستدلال إرادته من اعتماد ترجيح حصول الثواب ، وقد وافق على ذلك كثير من أئمة الشافعية كما مر ، وفي حاشية الأذكار لابن علان على قول المصنف «لوزنهن» ما لفظه وفي حواشي سنن أبي داود للسيوطي «سئل» الشيخ عن الدين بن عبد السلام عمن يأتي في التسبيح بلفظ يفيد عدداً كثيراً كقوله : سبحان الله عدد خلقه أو عدد هذا الحصى وهو ألقب مثلاً هل يستوى أجره في ذلك وأجر من كرر التسبيح قدر ذلك العدد «فأجاب» قد يكون بعض الأذكار أفضل من بعض لعمومها وشمولها واشتمالها على جميع الأوصاف السلبية والذاتية والفعلية فتكون القليلة من هذا النوع أفضل من الكثيرة من غيره كما جاء في قوله ﷺ سبحان الله عدد خلقه اهـ . وصرح أنه أجر التكرار إذا اتحد النوع أفضل ولا إشكال فيه بل غيره لا يظهر لئلا يانزم مساواة العمل القليل للعمل الأكثر مع التساوي في سائر الأوصاف وذلك مما تأباه قواعد الشرع الشريف والله أعلم .

وفي فتاوى الحافظ ابن حجر «سأل» المحقق الجلال الحلبي عما ورد من نحو هذا الخبر من حديث صفية رضي الله عنها فقال ما المراد منه حتى يرتفع فضل التسبيح الأقل زمناً على الأكثر زمناً «فأجاب» قد قيل في الجواب إن لالفاظ الخبر سرّاً يفضل به على لفظ غيره فمن ثم أطلق على اللفظ القليل أنه أفضل

من اللفظ الكثير ، ويحتمل أن يكون سببه أن معنى اللفظ القليل يشتمل على عدد لا يمكن حصره فما كان منها من الذكر بالنسبة إلى عدد ما ذكر في الخبر قليل جداً فكان أفضل من هذه الحثية والله أعلم .

وفي شرح الحصن الحصين لابن الحنفى واعلم أن قول سبحان الله وبحمده إذا كان مطلقاً محمول على أول مرتبة وهى الوحدة ، وإذا قيد بقولنا عدد خلقه كان هذا الحمل قائماً مقام الفصل فيقاربه ويساويه وكذا الحال فى باقى الأحاديث اهـ .

وسئل الإمام أحمد بن عبدالعزيز النويرى بما صورته «هل الأفضل» الإتيان بسبحان الله عشر مرات أو بسبحان الله عدد خلقه مرة «فأجاب» الظاهر أن قوله سبحان الله عدد خلقه مرة أفضل وقد يكون القليل أفضل من العمل الكثير كقصر الصلاة فى السفر أى إذا زاد على ثلاث مراحل أفضل من الإتمام مع كون الإتمام أكثر عملاً اهـ . وقال ابن حجر فى فتاويه من قال اللهم صل على محمد ألف مرة أو عدد خلقه يكتب له بهذا اللفظ الواحد صلاة عدد الألف أو عدد الخلق كما قال عليه السلام لبعض نسائه لما رآها تسبّح بالخصى لقد قلت كلمة عدلت ما قلته سبحان الله وبحمده عدد خلقه الحديث ، وفى الفتاوى الكبرى له : هل من قال سبحان الله وبحمده عدد خلقه إلى آخره يعدل فى الفضل من يقول ذلك ويعده ألفاً مثلاً ؟ «فأجاب» نعم ذلك أفضل من ألوف مؤلفة كما دل عليه الحديث الصحيح انتهى . وفى فتاوى الشيخ محمد بن سليمان السكردى المدنى سئل عن نحو ذلك ، فأجاب بقوله جاء فى الأحاديث النبوية ما يعدل حصول ذلك الثواب المرتب على العدد المذكور ، وقد أورد جملة من ذلك الحافظ الجزرى فى عدة الحصن الحصين ، وكذا العلامة ابن

حجر في باب الصلاة من فتاويه فإنه صرح بذلك وإن تردد في ذلك الجمال
 الرمل في علم الحديث من فتاويه وليس هذا من باب لك من الأجر على
 قدر نصيبك بل هو من باب زيادة الفضل الواسع والجود العظيم اهـ ،
 وفي تاج العروس لابن عطاء الله مالفظة : ومن قارب فراغ عمره ويريد أن
 يستدرك ما فاتته فليذكر بالأذكار الجامعة فإنه إذا فعل ذلك صار العمر
 القصير طويلا اهـ . ونقل الشيخ على الوفاي الحسني رحمه الله تعالى عن
 السخاوي في القول البديع عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال من
 حج حجة وغزا بعدها غزوة كتبت غزوته بأربعمائة حجة فأنكسرت قلوب
 قوم لا يقدر على الجهاد فأوحى الله تعالى إليه ماصلي عليك أحد إلا كتبت
 صلاته بأربعمائة غزوة كل غزوة بأربعمائة حجة وهذا من باب فضلي أوليه
 من أشياء لا من باب أجرك على قدر نصيبك فإن للجواد أثـ يجعل الثواب
 الجزيل على العمل القليل كما في بعض سور القرآن فقد ورد أن آية الكرسي
 تعدل ألف آية وذلك نحو سبعة عشر جزءاً ، وكذلك آخر الحشر والتبكار
 وورد من قرأ آخر الحشر بعد الاستعاذة ثلاثاً صباحاً ومساءً بعث الله تعالى له
 سبعين ألف ملك يطردون عنه شياطين الإنس والجن إلى المساء والصباح ومن
 قرأ الإخلاص عقب صلاة الغداة قبل أن يتكلم إحدى عشرة مرة لم يدركه
 ذلك اليوم ذنب وأجير من الشيطان وورد أن سورة الكافرون تعدل ربع
 القرآن وكذا النصر وأن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن وأب الفاتحة
 تعدل ثلث القرآن وهي آية الكرسي يمنعان عين الجن والإنس قراءة وأن
 الزلزلة تعدل نصف القرآن والله تعالى ما أعلمنا بذلك إلا لنتدارك التقصير في الزمن
 اليسير فإن العمر وإن طال لا يساوي طول السفر الذي بعده وكلما طال السفر
 احتاج للمسافر فيه إلى زيادة الزاد والله ذو فضل عظيم اهـ .

القول الثاني : في ذكر دلائل من قال إن مجرد ذكر أسماء الأعداد

باللسان من غير استقصاء وتكرير للعدد لا يحصل منه الغرض المطلوب ولا الثواب على العدد المكرر وقد علمت بما مرَّ أن كلام ابن علان والرملي ومن وافقهما دليل لاعتماد هذا القول وأن ابن عرفة توسط فقال يحصل بالإجمال في الأعداد ثواب أكثر لاثواب من سبِّح أو صلى مثلاً مكرراً لذلك العدد وقال يشهد لما ذكر حديث «من قال سبحان الله وبحمده عدد خلقه» من حيث أن التسبيح بهذا اللفظ مزية وإلا لم تكن فائدة وأقوى بقريب من قول ابن عرفة صاحب الراتب رضى الله عنه فإنه سئل بما ينصه قوله عليه الصلاة والسلام «سبحان الله وبحمده عدد خلقه» إلى آخر الكلمات هل يحصل من الثواب لمن قال في التكبير والتهيل كذلك فأجاب المنصوص عنه عليه الصلاة والسلام لا يقاس بغيره ولكن إن فعل ذلك عبد مخلص على وجه الرجاء ففضل الله واسع ولا بأس بذلك إن حصل للثواب الموعود على الأول وإلا فلا يخلو ما قيس عليه من ثواب وأجر وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً انتهى من الفتاوى الصوفية .

فقد تقرر من هذين القولين تقرير طريقين يشبهان طريق الكسب والوهب والسلوك والجذب وهما متلازمان إذ لا بد للسلوك من جذب وللجذب من سلوك بعده بحسب أحوال المتوجهين وتوجه العاملين فأما العلماء العاملون المقررون لأحكام الله المرشدون لعباد الله والطلبة المحصلون لفنون العلوم مع إخلاص الجميع فالذي ينبغي لهم مشاركة أرباب الأذكار فيما يعظم فضله ويضاعف ثوابه منها وكذا من قارب فراغ عمره كما مر عن تاج العروس إذ العالم المشتغل بالتدريس ونشر العلم بتعليم أو تصنيف معدود من الداكرين الله العاملين بطاعة

الله بل هو أفضلهم كما هو مقرر ومردت الإشارة إليه في المقدمة الأولى ومثله الطالب المتجرد لذلك كما ذكر الإمام الغزالي رضى الله عنه في كتاب ترتيب الأوراد من الأحياء وأما ذوو التبتل والإقطاع والتجرد للعبادة وسلك طريق الإرادة فشأنهم الاستغراق في الذكر والمذكور وليس لهم عنه مناص لا في الغيبة ولا في الحضور وقد مر في المقدمة الأولى تفصيل ذلك وإجماله ، وذكر الشيخ على الونائى رحمه الله في رسالة له في التوحيد للذكر أربعين فائدة عشرون في الدنيا وعشرون في الآخرة وعد قريباً مما عد الإمام الغزالي في منهاج العابدين ما يكرم الله به الأولياء المتقين فاتنظر فيه بل لا تنحصر فوائد الذكر فيما ذكره الشيخ على إنما هو على وجه التقريب للتشويق والترغيب والله سبحانه أعلم .

المقدمة الثالثة

« في وضع الأئمة العارفين والعلماء الراسخين في طرائق الذكر وأنواعه المجاميع العديدة من الأحزاب والأوراد والرواتب وغير ذلك من وظائف الطاعات وفي خاصية هذا الراتب ونفعه وسبب جمعه وتاريخه ومن قرره ولازمه وأثنى عليه »
أما وضع الأئمة العارفين والعلماء العاملين للأوراد والأحزاب والرواتب وغيرها فقد ذكر الشيخ زروق وغيره من شراح أحزاب الشيخ أبى الحسن الشاذلى والإمام النووى وغيرها أن تقرير ذلك والعمل به صحيح صريح من السنة وشواهد كثيرة وذلك بتقريره عليه الصلاة والسلام لأذكار وأدعية سمعها من كثير من أصحابه مختلفة بألفاظ متباينة ومعان واضحة بلا تقدم تعليم ولا تعلم منه ﷺ في ألفاظها ، فمن ذلك حديث عبد الله بن بريدة رضى

الله عنه أنه ﷺ سمع رجلاً يقول اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى »
رواه أبو داود والترمذي وحسنه وصححه ابن حبان والحاكم وقال على شرط مسلم ، ومنها حديث أبي هريرة وأبي أيوب رضي الله عنه في حفظ تمر مال الصدقة في حبسهما الجنى وحلفه لهما أنه لا يعود فيرسالنه حتى قال له في المرة الأخيرة ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى رسول الله ﷺ فقال إني ذاكر لك شيئاً إذا ذكرت في بيتك لا يقربك شيطان ولا غيره قال وكنا أحرص شيء على الخير فذكر له آية الكرسي فأطلقه وأخبر النبي ﷺ فقال له لقد صدق وهو كذوب ، وحديث أبي سعيد رضي الله عنه في رقيقته المسلدوغ بالفتاحة فاعطوا النفر الذين معه قطيع غنم فأخبره ﷺ فقال وما يدريك أنها رقيقه حق ، والحديث بطوله في الصحيحين وفيه أنه قال اضربوا إلى معكم بسهم ، وحديث رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال كنا يوماً نصلى وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده فقال رجل وراءه ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه فلما انصرف قال من المتكلم ، قال أنا قال لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول ، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى الصلاة ورسول الله ﷺ يصلي فقال حين انتهى إلى الصف اللهم آتني أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال من المتكلم آتفا قال أنا يا رسول الله قال إذا يعقر جوادك وتستشهد في سبيل الله تعالى ، فهذه الأحاديث كلها مذكورة ثابتة أوردها الإمام النووي في كتاب الأذكار وهي شواهد في الباب وهو عليه الصلاة والسلام معوث بالحق مقرر له وأمر به وداع إليه فقد روى أنه سمع يهودية تستعيز من عذاب

القبر فاستعاذ صلوات الله عليه منه فلا يقال أنه ائتمى في ذلك بها بل إنها لما قالت شيئاً من الحق واقفها عليه .

قال ابن علان في الكلام على المأثور هل هو ما أئتم عنه صلوات الله عليه أو ما أثر عن صحابي أو تابعي ؟ ذكر في ذلك خلافاً وقال بعده : وقد قال الشيخ الإمام أبو الحسن البكري رحمه الله في شرح مختصر الإيضاح ويتلخص من كلام النووي أن الوارثين من الأولياء إذا خضّشوا ذكراً بوقت أو حال كان سنة فيه وفي مسامحة الفقهاء بذلك نظر أى فيقال في ذلك لا بأس بكذا لأن في ثبوت السنة بذلك نظراً غير أن موافقة النووي في ذلك عندى ، أحسن .

وأما حقيقة الحزب والورد والراتب فهو المعمول به تعبداً ونحوه وفي الإصطلاح مجموع أذكار وأدعية وتوجهات وضعت للذكر والتذكر والتعوّذ من الشرّ وطلب الخير واستفتاح المعارف وحصول العلم مع جمع القلب والهم على الله تعالى ولم يكن في الصدر الأوّل ولا من بعدهم وضع شيء من ذلك لكن جرت على أيدي الصوفية وصالحى الأمة بحكم التعريف والنقل السيد شغلا للبطالين وإعانة للمريدين وتقوية للمحبين وحرمة للمنتسبين وترقية للمتوجهين من العباد والزهاد ذوى الجد والاجتهاد والطاعة والسداد وفتحاً للباب حتى يدخله عوالم المؤمنين ثم أن منهم من اقتصر على الوارد ومنهم من زاد عليه من لطائف رقائق المعاني ، والطيبات الموارد والمباني ، هذا حاصل ما ذكره شرح أحزاب الإمام النووي والشاذلى وغيرها من الأوراد .

وأعلم أنهم قالوا أحزاب المشايخ صفة أحوالهم وصفة منازلهم وميراث علومهم وأعمالهم وبذلك جروا في كل أمورهم لا بالهوى فلذلك قول كلامهم بالقبول وربما جاء بعدهم من أراد محاولة ذلك بنفسه لنفسه فعاد ما توجه به عليه بعكسه

وكان كما يحكى أن النحلة علمت الزنبور طرق النسيج فنسج على منوالها وصنع بيتاً على مثالها ثم أدعى أن له من الفضيلة ما لها فقالت له هذا البيت وأين العسل، وإنما السر في السكان لا في المكان، وقال بعضهم أحزاب أهل المكان وأورادهم عزوجة بأحوالهم مؤيدة بعلومهم مسددة بإلهامهم مصحوبة بكراماتهم فلا يسمع أحد من كلامهم شيئاً إلا وجد له أثراً في نفسه ما لم يكن مشغولاً يباوى أو مشغولاً بدنياه أو مصروفاً بدعوى.

قالوا وليوضع الأحزاب والأوراد شروط: منها— أن يجري وضع الحزب بحكم الحال لا بالهوى والإختيار الصناعي، وأن يكون سالم اللفظ من الإيهام والإيهام والإشكال لموافقته ألفاظ الشارع ومعانيه ورجوعه لأصوله ومبانيه، وإنما اشترط أن يكون بحكم الحال لا بالإختيار الصناعي والهوى إلى آخره لأن أرباب صناعة الكلام قد يفتخرون كلاماً يضاهاى كلام الأولياء العارفين والعلماء الراسخين لكنه لم تكن حقيقته إلا كما مر في كلام النحلة للزنبور ولهذا قال الإمام الشريف محمد بن الحسن الحسيني الواسطي رحمه الله تعالى « في مقدمة كتابه المسمى مجمع الأحزاب في مبحث الكلام على أن من لم تثبت ولايته لا يعتد بقوله » وشبب ذلك أن الأقوال لا تدل على الولاية في تغير ولا قطمير فإن الفلاسفة والملاحدة قد تسكلموا بأزين تصوف وأحسنه كابن سينا وغيره فلا تخرج على كلام أحد حتى تثبت ولايته عند من له قدم راسخة في العلم والولاية وقد قال شيخ الإسلام شهاب الدين السهروروى أن بعضهم يتكلم بالطامات عن قوة نفس وذكاء قريحه وقد قال لابن حمويه وقد دخل عليه بكراس في كفتيه صنفه في علم الحروف وكان الشينخ في سبحة الضحى وسلم على ركعتين هاتان الركعتان خير مما في يدك فدل على أنه لا اعتبار بالكلام وأن الإعتماد في أمر

الولاية إنما هو على العمل على وجه السنة الشريفة على أنها عناية محضة ربانية ولكن الكلام إنما يرد على الأسباب اهـ .

ومن شروط واضع الحزب كونه ممن يقتدى به لقيامه بحرمة الله تعالى ورسوله ﷺ وصحة أعماله بالسنة والتقوى وتكميل ذلك لشهود المنة وركب الدعوى والرحمة لعباد الله وإحكام أمره بالبصيرة النافذة والعلم الصحيح فكل ذلك شرط للقبول وقد قيل أحزاب المشايخ جامعة بين إفادة العلم وأدب التوجه وتعريف الطريقة وبلوغ الحقيقة وذكر جلال الله وعظمته .

ومن آداب المرتين لها أن يقدّموا الأهم فالأهم والمحافظة على الفرائض والرواتب المؤكدة والفروض العينية من علم العقائد وعلم الباطن والعبادات والمعاملات عند الحاجة إليها وروح ذلك كله وخاصيته هو في الحضور والإخلاص ، قال صاحب الراتب مقصود الأوراد وروحها إنما هو الحضور مع الله تعالى فيها فإذا واظبت على ذلك غشيتهك أنوار القرب وفاضت عليك أنوار المعرفة فعند ذلك يقبل قلبك على الله بكائته ويصير الحضور مع الله تعالى سجدة له ومخلّقا راسخاً فيه فيصير يتكاف الحضور مع الخلق عند الحاجة إليه وربما لم يقدر عليه وعن هذه تنشأ الغيبة والإستغراق والفناء عما سوى الله تعالى إلى غير ذلك من مواجيد أهل الله وأصل ذلك كله المواظبة على الأعمال الظاهرة والمحافظة عليها اهـ .

وأعلم أن من المشايخ الذين جمعوا الأحزاب والأوراد من اقتصر على الوارد النبوي ومنهم من زاد عليه من جوامع الدعوات وحقائق التوحيد فالقسم الأول كورد الإمام النووي المشهور وورد الشيخ عبد الله الذي في أذكار الصباح والمساء الصغير وأما الكبير المسمى بمفتاح السعادة والفلاح فهو

مشمتمل على الوارد وغيره وكذا الورد الجامع الذي أوله يا الله يا واحد يا أحد يا جواد انفجني منك بنفحة خير إلى آخره فأكثره من الوارد وشيء فيه من الاحياء كما ذكر ذاك ، وله دعوات مطلقة مشهورة وكلها مستعملة معمول بها منتشرة مرغوب فيها لاسيما من المنتسبين إلى الطريقة الحدادية العلوية وقد قيل إن الكلام صفة المتكلم وإن ما فيك ظهر على فيك وفي حسيك ابن عطاء الله كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز ، والكلام في هذا الباب طويل وفيما ذكرناه كفاية وغنية .

ما يتعلق بهذا الراتب

(وأما ما يتعلق بهذا الراتب) الشاملة بركاته الكثيرة خيراته وما جاء في فضله وعموم نفعه وخواصه وانتشار العمل به وترتيبه وما في بعض أذكاره من رفع الدرجات ومضاعفة الحسنات وتكفير السيئات فقد (قال) شيخنا الإمام أحمد بن الحسن بن الشيخ عبد الله في شرحه على الراتب المذكور : وأعلم ، أن إنشاء هذا الراتب المبارك كان سنة إحدى وسبعين وألف ، وسببه أن بعض الفضلاء من أهل حضر موت لما سمع بخروج الزيدية إلى الجهة الحضرمية في تلك السنة طلب من القطب الحداد نفع الله به أن يعي شيئاً من الأذكار النبوية يلهج بها أهل الجهة ويجمعون عليها ويجعل فيها شيئاً من العقائد الأيمانية ليحصنوا بذلك معتقدتهم خوفاً عليهم من تلبيس تلك الفرقة ، ولا سيما على العوام فأملى القطب هذا الراتب واشتهر عند الخاص والعام وكان ابتداء ترتيبه بالحواي في مسجده سنة اثنين وسبعين وألف ؛ حتى قيل له رضى الله عنه أن في هذه السنة مزية على غيرها فيها رتبتم الراتب وأقيم الذكر ليلة الجمعة فقال نعم ومنذ اشتهر وهو يُقرأ ويُرتب في مساجد الجهة الحضرمية وفي

الحرمين الشريفين وفي غالب مساجد أهل الإسلام من اليمن والهند والشام
 (قال) العارف بالله تعالى محمد بن زين بن سميطة باعلاوى فى كتابه المسمى «غاية
 القصد والمراد فى مناقب شيخ البلاد والعباد القطب عبد الله بن علوى الحداد»
 نفع الله به فى الباب التاسع فى ذكر ما اشتهر عنه من أو راد الصبح والمساء :
 الورد الرابع من الراتب المشهور كثير الخير والبركة والنور يقرأ بعد صلاة العشاء
 فى الجمّمع وبالجره . كان رضى الله عنه يثنى عليه ويوصى به ويقول راتبنا
 هذا يحرس البلدة التى يقرأ فيها ، وقال رضى الله عنه من أعرض بظاهره أو باطنه
 عن أن يقام راتبنا بعد صلاة العشاء لاقى جزاء عمله وناله ما ينال المعرضين عن
 الذكر الذين أغفل الله قلوبهم ، ووجدت مكتوباً عليه ما صورته هذا راتب
 مبارك مما فتح الله به على عبده الملتجئ إلى حمى عزته وخرم حضرة عبد الله
 ابن علوى الحداد ورده فى بعض ليالى رمضان سنة إحدى وسبعين بعد الألف
 وينبغى أن يرتبه كل مرید صادق سيما إن كان صاحب الراتب واسطة له إلى
 الله تعالى فإن رتبته بعد صلاة العشاء والصبح فذلك هو الاكمل ويكفى ترتيبه
 فى اليوم والليلة مرة وأوله أن يحضر قلبه ويستشعر أنه يرى ربه ويقرأ الفاتحة
 إلى آخر الراتب المذكور (وقال) رضى الله عنه الذى سأل منا الراتب رجل
 كان يقرأ علينا من بنى سعد يقال له عامر وأقامه بقرية موشح المعروفة
 من نواحي شبام بإذن منا ولم نقمه نحن إلا فى الحرم من السنة التى
 انشئ فيها ودركننا به رجلاً يقيمه عندنا وأقمناه سنة حجنا فى الحرمين
 الشريفين وحضره جمع كثير فبقى من ذلك الحين قلت وإقيم بالحرم المكي
 كل ليلة عند باب الصفا وفى الحرم النبوى عند باب الرحمة انتهى ملخصاً من
 المناقب المذكورة [وقال] الإمام أحمد بن زين بن علوى الحبشى باعلاوى فى
 شرح قصيدة صاحب الراتب المسماة الموارد الروية الهنية عند قوله .

وأذكر الهك ذكراً لا تفارقه

فإنما الذكر كسلطان في القرب

وقد سمعت بعض أهل الصلاح يقول إن من فرأ اسم الجلالة بأدب وحضور ويقين ونية وأتم الجلالة ألفاً لا بد أن يظهر له شيء من الأنوار والفتوح « قال الراوى » وقد عمل بذلك أخ لى فظهر له شيء من أنوار الله تعالى اه قلت وسمعت شيخنا الإمام عمر بن عبد الرحمن البار بأعلوى الأخير يحكى عن الشيخ العارف محمد بن أبى بكر بانافع وكان من أصحاب سيدنا الشيخ الحسن بن عبد الله الحداد وشيخنا الحامد بن عمر حامد نفعنا الله بهم أنه لما بلغه أن من قرأ الراتب كذلك ظهر له شيء من عالم الملكوت رتبة كذلك مع جماعة من أصحابه فلما كانوا فى أثناء الجلالة جعل المكان الذى هم فيه يدور بهم فكيفوا عن ذلك يعنى ختموا الراتب على مامعهم من الجلالة ثم قال الشارح قال الشيخ العلامة عبد الله بن محمد شراحيل الاشرم فى مؤلف له فى مناقب القطب الحداد عند ذكره الراتب وبلغنى أن صاحب الراتب يقول من واطب عليه رزق حسن الخاتمة أه ، ووجدت بخط بعض الفضلاء قيل أن ورود هذا الراتب كان ليلة القدر ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم من سنة التاريسخ المتقدمة ، وقال العلامة أحمد بن عبد الكريم الاحسائى وكان قد ورد هذا الراتب على مؤلفه فى إحدى ليالى رمضان وكانت ليلة القدر وكان لا يقام بحضرة مؤلفه إلا بعد الفراغ من صلاة العشاء ورواتها البعدية وأذكارها المرتبة بعد الصلوات وفى شهر رمضان يقدم قراءته قبل صلاة العشاء انتهى هذا حاصل ما ذكره ، وقد وقعت على وصية وأجازة لسيدي العلامة سليمان بن يحيى

بن عمر مقبول الإهدل نفع الله بهم أوصى بها العلامة الأمين بن الطاهر الحكفي
يقول وأجزتك في جميع الأذكار والدعوات والأحزاب والأوراد والصلوات
ودلائل الخيرات وحزب النووى وراتب الشيخ السيد القطب الشهير سيدى عبد
الله بن علوى الحداد انتهى فتتبعه بعد التعميم على هذه الثلاثة ومن جملتها
الراتب المذكور فيه إشارة وإشارة ، ونقل عن صاحب الراتب أنه
اذن في قراءة الراتب على غير الصفة التى تقرأ فى مساجده بالحدرد وبأن يقرأه
الجمع معاً وأن من أراد قراءة راتب الشيخ عمر بن عبد الرحمن العطاس
يقدمه على راتبه .

وقد مرَّ أن أذكار الراتب المذكور خمسة وعشرون ذكراً (وهذا
أو ان الشروع فى شرحها) والله المستعان وعليه التكلان .

الذكر الأول

فاتحة الكتاب

ومن أسمائها أم القرآن لأنها جامعة لأسرارها ومتضمنة لما فيه ، والكلام
عليها من وجهين الأول فى معناها والثانى فيما يتعلق بفضائلها وخواصها وأسرارها .

معنى الفاتحة

فأما معناها فهو سرٌّ لا يتناهى والمقصود هنا الإشارة إلى ما يستحضره
قارئها فى صلاته أو غيرها وكفى بفضلها شرفاً أنه لا تصح صلاة بدون قراءتها
فى كل ركعة ومرَّ فى أول الخطبة أن فضل الذكر وثوابه لا يحصى إلا بفهم

معناه وأما تلاوة القرآن فلشرفه والتعبد بتلاوته يحصل ثوابها بفهمه وبغير فهمه وإعما السكال وتحصيل التأثير لا يحصل إلا بالتدبر والتهنم .

قال الإمام الغزالي في كتاب الأربعين الثالث أن تجنى في تدبرك ثمار المعرفة من أغصانها وتقتبس منها من أوطانها ولا تطلب الترياق من حيث تطلب منه الجواهر ولا الجواهر من حيث تطلب منه المسك والعود فان لكل ثمرة غصنا ولكل جوهراً معدنا وإعما يتيسر هذا لك بأن تعرف الأصناف العشرة التي حصرنا فيها أقسام القرآن فهي عشرة معادن فما كان يتعلق من القرآن بالله تعالى وصفاته وأفعاله فاقتبس منه معرفة الجلال والعظمة والوحدانية والكبرياء ، وما يتعلق منه بالإرشاد إلى الصراط المستقيم فاقتبس منه معرفة الرحمة والعطف والحكمة ، وما يتعلق منه باهلاك الأعداء فاقتبس منه معرفة العزة والإستغناء والقهر والتعجب وما يتعلق بأحوال الأنبياء فاقتبس منه معرفة اللطف والنعمة والفضل والكرم وكذلك تقتبس من كل صنف ما يليق به ولا تنظرنَّ إليها بعين واحدة وشرح ذلك يطول اهـ ، ومن تأمل الفاتحة اقتبس هذه الأنواع منها .

وقال أيضاً في كتاب الصلاة من الأحياء : وأعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها ، وأما القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهذه درجة أصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولاً ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو أن يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان القلب ولا يتبعه القلب اهـ .

ثم قال في معنى الفاتحة بعد أن صدر بذلك التعوذ والتحصن بحسن الله

تعالى عن شر الشيطان وحصنه لا إله إلا الله إذ قال الله تعالى فيما أخبر عنه نبينا ﷺ لا إله إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي والمتحصن به من لا معبود له سوى الله عز وجل فاما من اتخذ الله هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله تعالى .

ثم قال وتفصيل ترجمة المعاني أنك إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم ، فانوبه التبرك لا ابتداء القراءة لكلام الله عز وجل وافهم أن معناها أن الأمور كلها بالله تعالى وأن المراد ههنا بالاسم هو المسمى فإذا كانت الأمور بالله تعالى فلا حرم كان (الحمد لله) ومعناه أن الشكر لله تعالى إذ النعم من الله عز وجل ومن يرى من غير الله عز وجل نعمة أو يقصد غير الله تعالى بشكره لا من حيث إنه مسخر من الله تعالى ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى فإذا قلت (الرحمن الرحيم) ، فأحضر في قلبك أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك (مالك يوم الدين) أما العظمة فلا أنه لا ملك إلا له وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو ما لك ثم جدّد الإخلاص بقولك (أياك نعبد) ثم جدّد العجز والإحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك (وإياك نستعين) وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا باعانته وأن له المنّة إذ وقفك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلاً لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان الرجيم اللعين ثم إذا فرغت من التعوذ ومن التفويض بقولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقاً فعين مسؤولك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل (أهدنا الصراط المستقيم) الذي يسوقنا إلى جوارك ويقضي بنا إلى مرضاتك وزده شرحاً وتفصيلاً وتأكيذاً وقل (صراط الذين أنعمت عليهم) واستشهد بالذين أفاض عليهم نعمه من

التبيين والصديقين والشهداء والصالحين [غير المغضوب عليهم] من اليهود
[والضالين] من النصارى والصابئين ثم التمس الإجابة وقل « آمين » اه ما ذكره
الإمام الغزالي بتصرف .

ومعاني الفاتحة وهى السبع المثاني لا تتناهى من أوجه التفسير والتعبير
كما مر لأنه تعالى خص أولى العلم من البشر من الأنبياء والعلماء والأولياء
من أهل الظاهر والباطن كلاً بعلم خاص به وعلوم المكاشفة والأسرار المتعلقة
بعلوم القرآن وغيره لا يجوز إفشاؤها عندهم إلا بإذن أو مع الغلبة كما قيل -
من اطعموه على سر فباح به لم يطلعوه على الأسرار ما عاشا
وقيل .

سَقُونِ وَقَالُوا لَا تَنْغِي وَلَوْ سَقُوا جِبَالُ حُنَيْنٍ مَاسِقُونِ لَسَقْنَتْ
ولا تظن أن ما ذكره الغزالي غاية ما عنده بل ذلك إنما جعله تبصرة وهداية
لعوام المسلمين ليستحضروا عند قراءة الفاتحة وجها من معانيها العظيمة ليثابروا
على قراءتها وهى جامعة لخامع العبارات والإشارات الدالات على الإله المعبود
الحقيق والوجود الواجب الوجود والإشارة إلى صفة من اختاره نسخة للوجود
الذى سميت باسمه الأعلام وجرت بمعارفه الأقلام فقوله تعالى (بسم الله الرحمن
الرحيم) من معانيه بي كان ما كان وبى يكون ما يكون واسم علم على الذات العلية
مشتق من الألوهية ومتصف بالرحمانية والرحيمية للذين هما مادة الإيجاد
والإمداد وبهما أدامة النعم واستمرارها فى المعاش والمعاد وأردفا باسم الربوبية
الدال على الإيجاد أيضا وعلى التربية والتدبير لعاجل النعم وآجلها ومفضولها
وفاضلها قليلها وكثيرها جليلها وحقيقها وفى تصوير الإنسان وغيره من الحيوان
وابداع الأكوان على ما فيها من عجائب الصنع وأفنان الصور واختلاف الألوان
والألوان المشار إلى ما أحمله فيها بقوله تعالى « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها »

فَمَنْ هَذَا شَأْنُهُ الْعَظِيمُ وَوَصَفُهُ الْقَدِيمُ مُسْتَحَقُّ أَوَّلًا لِلْحَمْدِ لِدَانِهِ وَقَدْ
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْحَمْدُ رَأْسُ الشُّكْرِ مَا شَكَرَ اللَّهُ عَبْدٌ لَمْ يَحْمَدِهِ
وَمُسْتَحَقُّ أَيْضًا لِلشُّكْرِ الَّذِي هُوَ اعْتِقَادُ الْجَنَانِ وَعَمَلُ الْأَرْكَانِ وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ
وَمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ الَّتِي هِيَ فَرْعٌ عَنِ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ فَعَلَّمْ عِبَادَهُ أَنْ يَقُولُوا
فِي أَفْضَلِ عِبَادَاتِهِمْ وَأَجْمَعَ تَوَجُّهَاتِهِمْ إِيَّاكَ نَعْبُدُ أَيُّ إِيَّاكَ تَسْتَحِقُّ عِبَادَتَنَا لِأَلُوْهِتِكَ
وَاسْتِحْقَاقِكَ الْحَمْدَ وَالرَّبُّوبِيَّةَ وَالرَّحْمَةَ الْمُقْتَضِيَةَ لِأَفْضَلِ النِّعَمِ مِنْ تِيَارِ بَحْرِ الْجُودِ
وَالْكَرَمِ بِلَا وَجُوبٍ عَلَيْكَ بِحَالٍ ، وَكَرَّرَ الْإِسْمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ الدَّالِّينِ
عَلَى مَا مَرَّ لَشُمُولِ دَلَالَتِهِمَا عَلَى النِّعَمِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ ، وَخَصَّ بِأَنَّهُ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ وَمَلِكُهُ لِكَوْنِهِ يَوْمَ الْجَزَاءِ الْقَائِلُ فِيهِ لِمَنْ
الْمَلِكُ الْيَوْمَ وَلِيَتَذَكَّرَ عِبَادُهُ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَوَضَعَ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطَ وَالْحِسَابَ عَلَى النَّقِيرِ وَالْقَطْمِيرِ وَعَلَى الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ لِيُخْلَصُوا الْعِبَادَةُ
وَالْعِبَادِيَّةُ لَهُ تَعَالَى وَيَرْجُوا رَحْمَتَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَيَخَافُوا عَذَابَهُ فَإِنَّ لِمَنْ خَافَ
مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَيْنِ وَإِنَّهُ تَعَالَى لَا يَجْمَعُ لِلْمُؤْمِنِ أَمْنَيْنِ وَلَا خَوْفَيْنِ بَلْ مَنْ خَافَهُ
فِي الدُّنْيَا أَمِنَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَمَنْ أَمِنَهُ فِي الدُّنْيَا أَخَافَهُ فِي الْآخِرَةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ
ثُمَّ لِمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْعَارِفِ الْاسْتِغْرَاقِ فِي شَأْنِ الْإِلَهِ الْعَظِيمِ وَإِدْرَارِ رَحْمَاتِهِ
وَسَوَائِغِ نِعَمِهِ وَفِي التَّأَمُّلِ فِي أَسْمَائِهِ وَالنَّظَرِ فِي آيَاتِهِ وَالِاسْتِدْلَالِ بِصُنَائِعِهِ عَلَى
عَظَمِ شَأْنِهِ وَبَاهِرِ سُلْطَانِهِ وَالِاسْتِغْثَالِ بِمَحَامِدِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ فَكَأَنَّهُ بَعْدَ مَا عَادَ
مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْحُضُورِ وَمِنَ الذِّكْرِ إِلَى الْمَذْكُورِ وَمِنَ الْبُرْهَانِ إِلَى الْغِيَابِ
وَالشُّهُودِ وَالْقَرَبِ مِنْ حُضْرَةِ الدُّنُوِّ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ قَالَ حِينَئِذٍ (إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فَالْعِبَادَةُ أَقْصَى غَايَاتِ الْخُضُوعِ ، وَطَلَبُ الْإِعَانَةِ عَلَيْهِمَا مَعَ الْوَحْدَةِ
وَالْجُمُوعِ أَقْصَى مَرَاتِبِ الْاعْتِرَافِ بِالْعِزِّ إِذْ لَا قُدْرَةَ لِلْعَبْدِ عَلَى مَا نَدَبَهُ مَوْلَاهُ
إِلَيْهِ إِلَّا بِإِعَانَتِهِ عَلَيْهِ وَتَوْفِيقِهِ لَهُ وَتَقْرِيبِهِ لَدَيْهِ ، وَقِيلَ : إِيَّاكَ نَعْبُدُ شَرِيعَةً وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

حقيقة ، ولذلك كان الموحد العارف يقول حالا ومقالا — في أول مباديه صلى الله
ثم عند نظره إلى قيامه بربه وبما أفاده به من أياديه يقول أصلى بالله ثم عند
فنائمه به يقول صلى الله لي ولكل وجهة هو موليها ولكل درجات مما عملوا ،
ومعنى الأخيرة نستعين بك في العبادات وغيرها من جميع المهمات ، وقدم ضمير
الفصل في الأول والثاني للتعظيم والدلالة على قصر العبادة عليه واختصاصها
به وكذا في الاستعانة لأنه تعالى يعبد ولا يُعبد غيره ويُستعان به ولا يُستعان
بسواه (قال الإمام) القاضى ناصر الدين في تفسيره : وتقديم ما هو مقدم
في الوجود أى الضمير العائد إليه تعالى للتنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون
نظره إلى المعبود ، أولا وبالذات ومنه إلى العبادة لا من حيث أنها عبادة صدرت
عنه بل من حيث أنها نسبة شريفة إليه ووصلة بينه وبين الحق فإن العارف
إنما يتمحق نظره إلى وصوله إذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما
عداه حتى أنه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من أحوالها إلا من حيث إنها ملاحظة
له ومنسوبة إليه ، ولذلك فُضِّل ما حكى الله عن حبيبه حين قال (لا تحزن إن
الله معنا) على ما حكاه عن كلمته حيث قال (إن معى ربى سيهدين) ، وقال
أيضا في التعبير بنون الجمع في قوله إياك نعبد وإياك نستعين ، والضمير المستكن
في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضرى صلاة الجماعة أو له ولسائر
الموحدين إنه أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم في إياك نعبد واخلط حاجته بحاجتهم
في إياك نستعين لعل أن تقبل ببركتها ويحجب إليها ولهذا شرعت الجماعة انتهى .
وقدمت العبادة على الاستعانة ليعلم أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة
أدعى إلى الإجابة ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمر فزع إلى
الصلاة (ومن أعظم المطالب ومهمات الرغائب) طلب الإعانة على الهداية
إلى الصراط المستقيم من الله الهادى إلى الحق بأنه تعالى فقالوا (إهدنا الصراط

المستقيم) أى دلنا وأرشدنا إلى طريق الحق والعمل بالخير والمصالح الدينية الموصلة إلى الفوز والنجاة عند لقاءك في الدار الآخرة وثبتنا عنده — بواسطة الثبات على صراط الشريعة ومعالم الدين التى هى أشق على النفس من معاناة غيرها من أمور الدنيا — على الصراط الممدود على متن جهنم الذى هو أدق من الشعر وأحد من السيف فإن من استقام على صراط الشريعة الاستقامة المشجوعة فى الكتاب والسنة عبر ذلك الصراط كالبرق أو كالجواد المسرع أو كعدو الرجل أو مشيه أو جبهه بحسب استقامته على هذا الصراط صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض .

وهذا ينقسم إلى صراط عام وإلى صراط خاص فأما الصراط العام فهو اتباع سبيل المؤمنين من أصحاب اليمين الذين لهم من معنى البر والتقوى نصيب بامتثال الأوامر واجتناب المناهى من الصغائر والكبائر، وأما صراط الخواص وهم المقربون الأبرار والصفوة الأخيار فهو ماساروا عليه لحق ظلمات النفوس وبذلوا فى ذاته كل نفيس ومنفوس فعبادتهم عبادة تعظيم وإجلال وتعلق بذلك الجمال كما فى حديث «نعم العبد صيب لو لم يخف الله لم يعصه» وهم الذين قال لهم «أنتم عبيدى حقاً» ثم بين هذا الصراط المطلوب الهداية إليه فقال على لسان حال أهله الذين غمرهم بعل الهدى ونهله (صراط الذين أنعمت عليهم) أى بالنعم الوهية والكسبية والدينية والآخروية والسمائية والأرضية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا إلى الارتقاء إلى عليين ثم استثنى مستعينا به تعالى أن يسلك به صراط المغضوب عليهم وهم اليهود والضالين وهم النصارى فقال (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وفسر بما هو أعم من ذلك وهو مناسب لحال الطالب للسلامة من سلوك طريق كل فريق مخالف وهو أن المغضوب عليهم — العصاة من مسامين وكفار

والضالين - الجاهلون بالله تعالى من فجار وأغمار - آمين - ومعنى آمين استجب يا الله ورد أنه عليه الصلاة والسلام إذا قرأ ولا الضالين قال «آمين» ورفع بها صوته وهو محمول على القراءة الجهرية في الصلاة وغيرها ، وقال على رضى الله تعالى عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده وهو مأخوذ من قوله ﷺ علمنى جبريل عليه السلام آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة وقال أنه كالتختم على الكتاب وأنفقوا على أنها ليست من الفاتحة .

فضل الفاتحة

وأما فضلها وفضل البسملة فمن مجموع أخبار أوردها الجلال السيوطي في كتابه الدر المنثور فهي الفاتحة وأم القرآن وأم الكتاب وهي السبع المثاني وهي القرآن العظيم ، وكان سيفيان بن عيينة يسميها الواقعة ، وسئل عبد الله بن يحيى ابن أبي كثير عن قراءتها خلف الإمام فقال هي الكافية قيل وما الكافية؟ قال أما علمت أنها تكفي عن سواها ولا يكفي سواها عنها ، وأخرج الشعبي عن الشعبي أن رجلا شكى إليه وجع الحاصرة فقال عليك بأساس القرآن قال وما أساس القرآن؟ قال فاتحة الكتاب ، وعنه ﷺ أنه قال لرجل لأعلمتك أعظم سورة في القرآن فسأله عنها فقال « الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذى أوتيته » وأنه قال لأبي بن كعب فى حديثه الذى ناداه وهو يصلى فلم يحبه فقال « ما منمك إذ دعوتك أن تجيبني فقال يا رسول الله كنت فى الصلاة قال ألم تجد فيما أوحى الله إلى أن استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا أعود إن شاء الله قال أحب أن أعلمك سورة لم ينزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها ؟ قال نعم يا رسول الله فقال

رسول الله ﷺ كيف تقرأ في الصلاة؟ فقلت بأمر القرآن فقال والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها وإنما السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته» وفي رواية عن أبي هريرة «وإنها مقسومة بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل» وقال في حديث السرية لما رقوا بها الملائكة وأعطوهم قطيعاً من الغنم ثلاثين شاة «إنها رقية حق اقتسموها واضربوا لي معكم بسهم وإنها شفاء من كل داء» وفي أخرى من السم، وعن أنس رضى الله عنه أنه قال له ﷺ «إذا وضعت جنبك على الفرش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد فقد أمنت من كل شيء إلا الموت» وفي أخرى «من قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن» وعن أنس رضى الله عنه أنه ﷺ قال «إن الله تعالى فيما من به على قال إني أعطيتك فاتحة الكتاب وهى من كنوز عرشى ثم قسمتها بيني وبينك نصفين» قال وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن قال أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة منها التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ثم أودع التوراة المفصل ثم أودع الفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة وفي حديث آخر إن الملائكة لا تقرأ من القرآن إلا الفاتحة وأن قراءة القرآن خاصة بالبشر دون الملائكة وأنهم حريصون على سماعه من الإنس، وأما فضل البسملة فعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال من أراد أن ينجي به الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ليجعل الله تعالى له بكل حرف منها جنة من كل واحد، وعن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً أن المعلم إذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم كتب للمعلم وللصبي ولأبويه براءة من النار اهـ. ملخصاً وفي كتاب نزهة المجالس — للعلامة مفتي الأنام أبى هريرة عبد الرحمن ابن زين الدين عبد السلام بن بهان الصفورى الشافعى رحمه الله — فى كتاب

عظة الألباب الباء من بسم الله بابه والسين سلامه والميم إنعامه وقيل الباء بركته والسين ستره والميم معرفته وفي غيره الله علام الغيوب الرحمن كشاف الكروب الرحيم غفار الذنوب وقيل الله مجيب الدعوات الرحمن منزل البركات الرحيم يعفو عن السيئات (لطيفة) افتتح الله كتابه بثلاثة أسماء والخلق ثلاثة أقسام ظالم ومقتصد وسابق فالله للسابقين والرحمن للمقتصدين والرحيم للظالمين ، وعن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا نزعوا ثيابهم أن يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم . قال الفخر الرازى والإشارة في ذلك أنه إذ صار هذا الاسم حجاباً لك من أعدائك في الدنيا أفلا يصير حجاباً بينك وبين الزبانية وقال الشعبي لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم على آدم عليه السلام قال الآن أمنت على ذريتي من العذاب فلما مات ارتفعت فلما نزلت على نوح عليه السلام نجاهها من الغرق ثم ارتفعت بعد موته ثم نزلت على إبراهيم عليه السلام فصارت النار عليه برداً وسلاماً ثم نزلت على سليمان عليه السلام فاستقام به ملكه ثم ارتفعت ثم نزلت على موسى عليه السلام فسلم من البحر ثم ارتفعت ثم نزلت على عيسى عليه السلام فأوحى الله تعالى إليه قد أنزلت عليك آية الأمان فلما رفعه الله ارتفعت ثم نزلت على المصطفى ﷺ وهى باقية إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة يأخذ المؤمن كتابه بيمينه ويقول بسم الله الرحمن الرحيم فإذا هو أبيض لا شيء فيه فيقال إنه كان ثلثاً من السيئات ولكنه محتبه بسم الله الرحمن الرحيم .

وقال القرطبي البسملة^(١) من خصائص هذه الأمة ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما اجلال القرآن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومفتاح القرآن بسم الله الرحمن الرحيم اهـ .

وجميع ما في القرآن من التمجيد والتعظيم والثناء تحت قوله (الحمد لله)
وجميع ما فيه من أسمائه الحسنى وصفاته العليا تحت قوله (رب) وجميع ما فيه
من ذكر المخلوقين تحت قوله (العالمين) وجميع ما فيه من العفو والغفران
تحت قوله [الرحمن الرحيم] وجميع ما فيه من الوعيد وذكر القيامة تحت قوله
(مالك يوم الدين) وجميع ما فيه من الطاعة والعبادة تحت قوله (إياك نعبد)
وجميع ما فيه من السؤال والتضرع تحت قوله (وإياك نستعين) وجميع ما فيه
من سؤال الهداية وخوف الخاتمة تحت قوله (اهتدنا) وجميع ما فيه من الإنعام
والإكرام وذكر المقرين تحت قوله (الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت
عليهم) وجميع ما فيه من ذكر الكافرين تحت قوله (غير المغضوب عليهم
ولا الضالين) .

ورأيت في سراج القلوب لابن الجوزي رحمه الله تعالى عن ابن عباس
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال لي جبريل عليه السلام
إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك إذا وقف العبد بين يدي للصلاة وقال
« الله أكبر » رفع الحجاب الذي بيني وبينه ، وإذا قال « الحمد لله » يقول
الله تعالى لمن الحمد ؟ فيقول لله فيقول ومن الله ؟ فيقول « رب العالمين »
فيقول ومن رب العالمين ؟ فيقول « الرحمن الرحيم » فيقول ومن الرحمن
الرحيم ؟ فيقول « مالك يوم الدين » فيقول يا عبدي ومن مالك يوم الدين ؟
فيقول العبد « إياك نعبد وإياك نستعين » فيقول يا عبدي إذا كنت إياي تعبد
وإياي تستعين سل تعط فيقول « اهتدنا » فيقول أي الهدى تريد ؟ فيقول
« الصراط المستقيم » فيقول تعالى أي الصراط تريد ؟ فيقول « صراط الدين
أنعمت عليهم » فيقول تعالى يا ملائكتي اشهدوا أني جعلت عبدي من الذين
أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين فيقول العبد « غير

المغضوب عليهم ولا الضالين » فيقول الله تعالى اشهدوا أني قد جعلته من الذين أنعمت عليهم ولم أجعله من المغضوب عليهم ولا الضالين فيقول العبد « آمين » فتقول الملائكة آمين (١).

وذكر الثعلبي في تفسيره أن « آمين » كنز من كنوز الجنة لا يعلم تأويله إلا الله ويستنزل به الرحمة ، وقيل هي درجة في الجنة تجب لقائلها اه ونقل ابن الملقن أنها طابع الله تعالى على عباده يدفع عنهم الآفات اه .

الطيف

قال النيسابوري وغيره أسقط الله تعالى من الفاتحة سبعة أحرف « التاء » من الشور وهو الهلاك « والجيم » من جهنم « والحاء » من الخزي « والزاي » من الزفير « والشين » من الشقيق « والظاء » من اللظى « والفاء » من الفراق يوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون فلما أسقطها غلب على الظن أن من قرأها خلاصه الله تعالى من أبواب جهنم السبعة ولأن آياتها سبع أيضا .

وفي الحديث الصحيح فسدت الصلاة بيني وبين عبدى فإذا قال العبد « بسم الله الرحمن الرحيم » قال أثني على عبدى وإذا قال العبد « الحمد لله رب العالمين » قال حمدني عبدى فإذا قال العبد « مالك يوم الدين » قال فوض إلي عبدى وإذا قال « إياك نعبد وإياك نستعين » قال هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل وإذا قال « اهدنا الصراط المستقيم » إلى آخرها قال تعالى هذا لعبدى ولعبدى ما سأل اه .

(١) كلمة « آمين » ليست من القرآن ؛ بالاجماع ومعناها استجب كما تقدم .

تتمية

ذكر القرطبي فضل الوصل بين البسملة والحمدلة ، وهو من الأسرار التي
تعرف بالكشف ولا تحتمل الجدل وقد ذكره الشيخ الأكبر في كتاب الوصايا
من فتوحاته ونقله عنه الشيخ حسين بن عبد الشكور المدني في كتابه
« الفيوضات الحسنی من مشاهدة الحبيب الأسنى » . وذكره العارف بالله
شهاب الدين احمد بن محمد بن يونس الدجاني في كتابه « الترغيب في مزيد
فضل الله القريب المحيب » .

وقد ذكرت في تكملة شرح فتح المعين أن وصل البسملة بالحمدلة في قراءة
الفتاححة في الصلاة هو المنقول في المذهب وأن ما في التحفة من الوقف على رموس
الآي حتى البسملة مختار من حيث الاليل ، وعلوم الفتاححة لا تنتهي وسرها
لا يساوى ولا يضاهي والله أعلم ، وسيأتى في آخر شرح هذا الراتب عند ذكر
ترتيب الفوائج فوائد تتعلق بالفتاححة وسرها وشمول بركتها وترتيبها في المهمات .

الذكر الثاني

آية الكرسي العظيمة الخطر الجامعة لقارئها كل أمل ووطر

والكلام عليها من وجهين (الأول) في بيان معناها (والثاني) في فضائها
وخصوصياتها .

فأما معناها فقولہ تعالی (الله) أى المعبود القاهر فوق عباده الواجب
الوجود لذاته المنزه عما لا يليق به من شوائب النقص وسماتة الغنى عما سواه

المتفكر إليه كل ما عده ، وهو مبتدأ خبره (لا اله الا هو) فهو سبحانه المنفرد بالألوهية وهو المستحق وحده للعبودية (الحى) أى دائم البقاء ، وحياته تعالى هى الحياة الحقّة الكاملة المطلقة ، ومن صفاته العلية العلم التام والإحاطة الشاملة بالكميات والجزئيات وبما كان وما يكون وبخاتمة الأعين وما تخفى الصدور والقدرة الكاملة على كل ممكن إيجاداً وإعداماً فى كل الشؤون والأحوال والذوات والصفات والإرادة والسمع والبصر والكلام والإحياء والإماتة وسائر ما سمي به نفسه ووصف به ذاته من الأسماء الحسنى والصفات العلية ولا يكون كذلك الا إذا كان حياً — وقد وصف تعالى نفسه فى الآية بالحى معرفاً باللام لفائدة أن حياته هى الحياة الحقيقية وكل حياة غيرها فهى مجاز إذ هى مستمدة من حياته ولا قيام لها إلا بها .

فهو سبحانه الحي والميت والباعث للأرواح والأشباح وهو المنشئ للعوالم النشأة الأولى فى الدنيا والأخرى فى الآخرة وله تعالى فى كل نشأة منها نشآت . قال حجة الإسلام الغزالي : إن للإنسان نشآت كثيرة ولذلك قال الله تعالى « وننشئكم فيما لا تعلمون » وقال بعد خلق النطفة والعلقة والمضغة وغير ذلك « أنشأناه خلقاً آخر » بل النطفة نشأت من التراب والعلقة نشأت من النطفة والمضغة نشأت من العلقة والروح نشأت من المضغة ولشرف نشأة الروح وجلالها وكونها أمراً ربانياً قال عند ذلك (ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) وقال تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) ثم خلق الإدراكات الحسية بعد خلق الأرواح نشأة أخرى ثم خلق التمييز الذى يظهر بعد سبع سنين نشأة أخرى ثم خلق العقل بعد

خمس عشرة سنة أو ما يقاربها نشأة أخرى وكل نشأة طور وقد خلقكم أطواراً ، ثم ظهور خاصية الولاية لمن رزق تلك الخاصية نشأة أخرى ، ثم ظهور خاصية النبوة نشأة أخرى ، وهو نوع من البعث وهو تعالى باعث الرسل كما هو باعث الموتى يوم النشور ، وكما أنه يعسر على من في المهدي فهم حقيقة التمييز قبل حصول التمييز يعسر على المميز فهم حقيقة العقل وما ينكشف به في طوره من العجائب قبل حصول العقل كتعسر فهم طور الولاية والنبوة في طور العقل المجرد فإن الولاية طور كمال وراء نشأة التمييز ، والتمييز طور كمال وراء نشأة الحواس ، وكما أن من طباع أكثر الناس إنكار ما لم يبلغوه ولم ينالوه حتى أن الواحد منهم قد ينكر ما لم يشاهده ولم يحصل له ولا يؤمن بما غاب عنه فمن طباعهم إنكار الولاية وعجائبها والنبوة وغرائبها بل من طباعهم إنكار النشأة الثانية في الحياة الآخرة لأنهم لم يبلغوها بعد ، ولو عرض طور العقل وعالمه وما يظهر فيه من العجائب على المميز لأنكره وجحد وأحال وجوده فمن آمن بشيء ما لم يبلغه فقد آمن بالغيب وذلك مفتاح السعادات ، وكما أن طور العقل وإدراكه وإنشاءاته بعيد المناسبة عن الإدراكات التي قبله كذلك النشأة الأخرى بل هي أبعد فلا ينبغي أن تقاس النشأة الأولى بالأخرى إذ لا مناسبة بين النشأتين إلا من حيث الاسم فمن لم يعرف النشأة الأخرى والبعث لم يعرف اسم الباعث وشرح ذلك يطول فلتجاوزة اهـ .
بتصرف .

فتأمل رحمك الله تعالى فيما حققه هذا الإمام قدس الله روحه فيما هو شأن الحلي المطلق المحيى المميت الباعث المبدئ المعيد الذي له العلوم الكاملة ومظاهر الإحياء والإماتة في جميع تطورات الإنسان الذي هو نسخة الوجود وأن (م ه — ذخيرة العباد)

الحى من أحياء الحياة الطيبة والميت من أقصاه عن حضرة المعرفة به ، ولهذا قال رضى الله عنه بعد ما تقدم (تدبيره) حقيقة البعث ترجع إلى إحياء الموتي بإنشائهم نشأة أخرى ، والجهل هو الموت الأكبر ، والعلم هو الحياة الأشرف وقد ذكر الله تعالى الجهل والعلم في كتابه العزيز وسماههما حياة وموتاً فمن رقى غيره من الجهل إلى المعرفة فقد أنشأ نشأة أخرى وأحياء حياة طيبة أخرى فإن كان للعبد مدخل في إفاضة الخلق ودعائهم إلى الله تعالى فذلك نوع من الإحياء وهى رتبة الأنبياء ومن يرثهم من العلماء انتهى .

ثم لما كان من شأن الألوهية الحياة المطلقة وبها حياة كل شيء ناسب أن تتصف بالقيومية فقال تعالى (الْقِيَوْمُ) أى القائم بتدبير ما خلقه وحفظه ، ولا يتصور للأشياء وجود إلا به تعالى لأنه قوامها وقوامه تعالى بذاته وقوام كل شيء به ولا يصح هذا إلا للإله الحى القيوم .

ولما كان الحى القيوم لا تميزه صفات الحدوث والنقض والتغير عما هو عليه من الحفظ لما خلق والتدبير للعوالم ومن فيها وما فيها بحيث لو أعرض عنها لفئة ناظر لأضمحلت وتلاشت وهلكت — أخبر تعالى أنه قدس بذاته عن الغفلة والفتور قال تعالى (وما الله بغافل عما يعملون) أى عما يعامله العبد به من خير وشر وطاعة ومعصية (وهو معكم أينما كنتم) أى بالعلم والإحاطة وفى مقام القيومية بالتدبير والحفظ فى جميع الأطوار فهو قائم بأمورهم ممدد لهم فيها وقال : [لا تأخذ سنّة ولا نومة] قال الإمام المناوى فى كتابه التوقيف فى مهمات التعاريف « السنة » بالكسر مجال الشّمس فى العينين قبل أن يستغرق الحواس ويخامر العقل « والنوم » حالة طبيعية تتعطل معها

القوى تسير في البخار إلى الدماغ ، وفي الصباح غشية ثقيلة تهجم على القلب فتقطعه عن المعرفة بالأشياء ، ولذلك قيل انه آفة لأن النوم أخ الموت ، وقال اليبضاوى والنوم حال يعرض من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً اهـ والجملة نفى للتشبيه وتنزيه له تعالى أن يكون له مثل الملائخاء المخلوقة .

فالحياة والقيومية الثابتان له تعالى لما كان من مقتضياتهما الحفظ والتدبير البتام ناسب أن ينزها عن سمات النقص والقصور في ذلك بنحو النوم والبيسنة .

واعلم أن من كالاته تعالى تستمد كالات الأنبياء والأولياء من كالاته عليه السلام أن عينه تمام وقلبه لا ينام فهو يقظان في جميع حالاته ففي الحديث إنما أنسى لأشرع ، وكذا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم والملائكة فإنهم أعطوا نوعاً من الحفظ والتدبير لأنفسهم ولغيرهم كما مر عن الحجة الغزالي أن من رقى غيره من الجهل إلى المعرفة فقد أنشأه نشأة أخرى وكذا منحوا التكشف والإطلاع على اختلاف مراتبهم في القرب والبعد ، فأعلى المراتب في ذلك للملائكة قال الإمام الغزالي وأما الملك فدرجته أعلى درجات المخلوقات لأنه عبارة عن موجود لا يؤثر القرب والبعد في إدراكه بل لا يقتصر إدراكه على ما يتصور فيه القرب والبعد إذ البعد والقرب يتصور في الأجسام والأجسام أحسن أقسام الموجودات ثم هو أى الملك بمعزل عن الشهوة والغضب فليست أفعاله بمقتضى الشهوة والغضب بل داعية الأفعال أمر أجل من الشهوة والغضب وهو طلب القرب إلى الله تعالى اهـ ، ثم فصل الفرق بين الإنسان والبهائم بأن الإنسان درجة بين الدرجتين فمن فنيت شهوته وغضبه التحق بأفق الملائكة ومن قويتا فيه التحق بالبهائم ، ولا تنزع الشهوة والغضب واتفائهما عن الملائكة كانوا لا تأخذهم

سنة ولا نوم ولا فتور ولا غفلة عن ذكر الله وجازت الأعراض البشرية على الأنبياء والرسل لكونهم لا يطيقون معاناة الخلق ودعوتهم إلى الله تعالى وإلى توحيده وطاقته الذي به نجاتهم وفوزهم إلا بالرجوع إلى البشرية .

وإذا كان هذا الإله الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم فهو الذى [له ما فى السموات وما فى الأرض] فى هذه الجملة تقرير لقيوميته واحتجاج لتفرد بالالوهية فله العوالم كلها السموات والأرض وما فيها وما بينهما خلقاً وملاكاً وتصريفاً فهو خالق ذلك وإلهه ومدبره وحافظه ومظهره إذ لم يظهر إلا بتجلي نوره «الله نور السموات والأرض» ولولا ظهور نوره فيه وعليه لما ظهر شيء ولا يكون شيء ، وخص السموات والأرض بالذكر لأنهما من عالم الملك مريان للثقلين وإلا فهما بالنسبة إلى ما عداها من العوالم الخالوقة له تعالى كنسبة القشر إلى اللب كما ستأتى الإشارة إلى ذلك عند ذكر الكرسي .

وإذا كان هو الإله القاهر فوق عباده وهو مالك السموات والأرض وما فىهن وما بينهن فت (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) لعظم شأن كبريائه وتعالى عن أن يدانيه أو يساويه غيره فلا يقدر أحد أن يدفع ما يزيده تعالى بشفاعته أو غيرها إلا بإذنه .

ومن شأن هذا الإله وحقيقة ما يتصف به أن يعلم جميع شؤونهم ولذا قال تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى جميع ما هو سابق من أفعالهم وأعمالهم وما هو لاحق سواء كان متقدماً أو متأخراً فى النشأة المار ذكرها جميعها وفى أطوار الدنيا والآخرة لأن ذلك سابق فى علمه وعلمه قديم فقد أحاط بكل شيء علماً ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون .

بولما كانت السموات والأرض فيهما العقلاء من الملائكة والأنبياء وغيرهم
ونهى عنهم له ملكا وخلقوا نصريفا أخبر أولا بأنه لم يكن منهم أحد يشفع عنده
إلا بإذنه وقال ثانياً (ولا يحيطون بشيء من علمه) أى من معلوماته (إلا بما
شاء) أن يعلموه فهو منفرد بالعلم الداتى التام المحيط بكل شيء كما قال تعالى
« فلا يُظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » ، ثم لما نسب إلى نفسه
عالم السموات والأرض بتصدير الجملة بلام الملك نبه العقلاء منهم إلى أن له
من عوالمه ما هو أعظم منهما فقال تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض)
وهو كما ذهب إليه بعض المفسرين مجرد تمثيل وتصوير لعظمته تعالى وسعة
سلطانه كقوله « وما قدرُوا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة
والسموات مطوياتٌ بيمينه » وأنه لا كرسى فى الحقيقة ولا قاعد ولا قعود ،
وقيل أن الكرسى جسم بين يدى العرش وهو كالكرسى الذى يضع عليه
الملوك أرجلهم عند جلوسهم على السرير ، وقول ثالث أنه كناية عن علمه المحيط
بكل شيء ، والثلاثة الأقوال حقيقتها ومجازها كلها تشير إلى عظمة الإله الحى
القيوم ، فعلى القول بأنه جسم فهو عالم محيط بالسموات والأرض والعرش محيط
به فهو أعظم منه لقوله عليه الصلاة والسلام « ما السموات السبع والأرضون
السبع مع الكرسى إلا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل
تلك الفلاة على تلك الحلقة » وفى الدر المنثور عن عكرمة قال : الشمس جزء من
سبعين جزءاً من نور الكرسى والكرسى جزء من سبعين جزءاً من نور
العرش اهـ . قال الشيخ عقيلة فى كتابه المسمى نسخة الوجود وهو بالنسبة إلى
اللوح جزء من سبعين جزءاً واللوح بالنسبة إلى القلم كذلك والقلم بالنسبة
إلى الحقيقة السكينة كذلك فانظر إلى هذه السعة العظيمة ، وهذا العرش
له أربعة قوائم تحمله أربعة من الملائكة العظام لا يقدر على عظمهم وكبرهم

إلا الله سبحانه وتعالى ، وألقي عليه سبعين ألف حجاب من النور والظلمة ، وهذه المرتبة فيها من الملائكة المعروفة المشهورة إسرافيل عليه السلام وباقي الملائكة مرتبتهم ما تحت الكرسي إلى ما تحت ذلك من العوالم وليس لمن له المرتبة السفلى الصعود فلو تقدم عن مرتبته قدماً لاحترق ، ثم ذكر إيجاد الكرسي المذكور وقال بعده (واعلم) أن هذا الكرسي عالم عظيم ومُلك جليل وهو في الأصل عبارة عن السرير الصغير الذي تحت العرش لتدلى أقدام الجالس على العرش عليه والعرش عبارة عن السرير العظيم والكرسي دونه يوضع تحت العرش .

[واعلم] أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل العرش ولا الكرسي لحاجة الجلوس عليه والإستقرار فيه بل أوجدهما سبحانه وتعالى لتعريف عظمته وجلاله وكبريائه فإنه عزّ شأنه لو استوى على العرش والكرسي استواء استقرار وجلوس للزم من ذلك التحديد والجهة وهو متعال عن ذلك فإنه لا تحده الجهات ولا تحصره الأماكُن والنوات بل هو محيط بسائر الكليات والجزئيات لا يوصف بالعلو ولا السفلى ، بل له استغراق سائر الأماكُن والأزمان وإتمام له تجلٍ عظيم في العرش والكرسي والتجلي غير الذات والإستقرار فأياك والغلب ، وقد وكل الله تعالى بحفظ العرش والكرسي من الأملاك والأرواح ما لا يحصى عددهم إلا هو سبحانه فما من موضع من العرش والكرسي إلا وهو مملوء بهؤلاء العوالم ، وفي هذين الموضعين طائفة عظيمة من الأملاك يسمون العالمين مستغرقين في جمال تجلّي الصانع جل وعلا لا يشعرون بشيء منذ خلقهم الله تعالى إلى أن يفنهم هائمين طائفين حول العرش والكرسي لا يستقرون منذ وجدوا إلى أن يفنوا [وأعلم] أن العوالم الخمسة التي هي العقل السلكي الموجود من نور

الذات ويسمى بالروح الكلى وبالحقبة الحمدية وبالعرش الأكبر ثم القلم واللوح والعرش والكبرى هى عالم الأمر وما عداها من الموجودات هو عالم الخلق والله الخلق والأمر اهـ [وأما] السموات والأرض التى وبسماها الكبرى [فقد نقل] السجاعى عن صاحب غرر التفسير أنه قال السماء جمع سموات وهى جمع سماوة كجرادة وجرادات وجراد ، وقال المحقق حسن الفنارى : المحققون على أن السماء المظلة للأرض مؤنثة لا غير ، ولهذا وجهوا قوله تعالى «السماء منفطر» بوجود منها أنه بمعنى ذات انفطار وجمعها سموات لا غير (أما) السماء بمعنى المطر فيذكر ويؤنث والأغلب التأنيث وذكر أقوالا في جمعها وتذكيرها وتأنيتها ثم قال وأخرج الإمام أحمد في مسنده و أبو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم وابن أبى عاصم في مسنده وأبو الشيخ وأبو يعلى وابن خزيمة والطبرانى عن العباس بن عبد المطلب قال كنا عند النبي ﷺ فقال أتدرون كم بين السماء والأرض قلنا الله ورسوله أعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام وكشف كل سماء خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ورهين وأظلافهن كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك العرش وبين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ذكره السيوطى فى الهيئة السنية .

وما فى الآية من أن السموات سبع لا يتنافى قول الحكماء إن الأفلاك تسعة إذ ليس فيها نفي الزائد مع أنه إن ضم إليها العرش والكبرى لم يبق خلاف كما ذكره القاضى ، والتسعة هى فلك الأفلاك ويسمى بالفلك الأطلس عندهم لكونه غير مكوكب وهو المسمى فى لسان الشرع بالعرش المجيد ثم فلك الثوابت سمى بذلك لثبوت الكواكب فيه غير السبعة السيارة وهو

المسمى في لسان الشرع بالكبرى ثم فلك زحل ثم فلك المشتري ثم فلك المريخ ثم فلك الشمس ثم فلك الزهرة ثم فلك عطارد ثم فلك القمر وهو المسمى في لسان الشرع بالسماء الدنيا وهي أفضل من الأرض ما عدا البقعة التي ضمت حضرته الشريفة عليه السلام ، وحاصل ما نقله في الكتاب المذكور أن الأرض طبقات كالسماء وإنما أفردت لكونها من جنس واحد وهو التراب بخلاف السموات (ولا يؤده) أى لا يثقله ولا يعجزه (حفظهما) أى حفظ السموات والأرض وهما بالنسبة إلى غيرهما أصغر العوالم فكيف يتصف بالعجز عن حفظهما ورعايتهما (وهو العلى) أى المتعالى عن الأنداد والأشباه العاجزين عن مساواته في المراتب جميعاً من الأسماء والصفات وعلاؤه سبحانه وتعالى معنوى لا العلو الذى هو ضد السفلى الحسى وإلا للزم من ذلك الجهة وهو تعالى منزّه عنها بالأدلة القاطعة بل هو متعال في الدرجات العقلية المعنوية إذ العلو والسفل إنما هما جهتان للمخلوقين (العظيم) أى المستحق للنسبة إليه كل ما سواه والعظيم يتصور في الأجرام والأرواح كما هو الأصل وأما عظمتة تعالى فهي عظمة معنوية فالعظيم يطلق على ما عظم على من دونه وهو في حق غيره تعالى لا يكون عظيماً إلا وفوقه ووراءه عظيم بل عظماء وأما سبحانه وتعالى فهو العظيم المطلق الذى يتصاغر لعظمتة كل شيء ولا يمكن القول أن تتصور وتحيط بكنهه حقيقة بل تعود خاسئة حسرى عن إدراك ذلك والله أعلم .

فائدة

قال الإمام البيضاوى وهذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الإلهية فإنها دالة على أنه تعالى موجود واحد فى الإلهية متصف بالحياة واجب الوجود

لذاته موجد لغيره إذ القيوم هو القائم المقيم لغيره منزّه عن التحيز والحلول
مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الأشباح ولا يعتريه ما يعتري الأرواح مالك
الملك والملكوت ومبدع الأصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع
عنده إلا من أذن له عالم بالأشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئها وإسع
الملك والقدرة لا يؤده شأن ولا يشغله شأن ، تعالى عما يدركه وهم ، عظيم لا يحيط
به فهم اه .

فضل آية الكرسي وخواصها

وأما فضيلتها وخواصها فأكثر من أن تحصر فمن مجموع أحاديث في الدر
المشور أنها أعظم آية من كتاب الله وأنها وآية سورة البقرة من قالها حين يمسي
أجير من الجن حتى يصبح ومن قالها حين يصبح أجير منهم حتى يمسي وأنها
هي وإذا زلزلت وإذا جاء نصر الله تعدل ربع القرآن أى كل من الثلاث وأن
من قرأها دبر كل صلاة حفظ إلى الصلاة الأخرى وأنه لا يحافظ عليها إلا نبي
أو صديق أو شهيد وفي رواية كان في ذمة الله حتى إلى الصلاة الأخرى وأنها
ما تليت على طعام ولا إدام إلا أئمنى الله بركتهما وأنها من كنز الرحمة من تحت
عرش الله ولم تترك خيراً في الدنيا والآخرة إلا اشتملت عليه . وفي حديث ابن
مسعود مع الجنى الذي صارعه وأخبره أنه إن صرعه يعلمه آية إذا قرأها لم يدخل
بيته شيطان وأنه أخبره لما صرعه الأنسى قال تقرأ آية الكرسي فإنه لا يقرؤها
أحد إذا دخل بيته إلا أخرج الشيطان له خبج كخبج الحمار ، الخبج الضراط .

وقد تكررت أحاديث الحفظ بها من الشياطين في روايات متعددة وعن
ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رجل يا رسول الله علمنى شيئاً ينفعنى الله به

قال اقرأ آية الكرسي فإنه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك حتى الدويرات التي حول دارك .

وعن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج ذات يوم إلى الناس فقال أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن وأعدلها وأخوفها وأرجأها فسكت القوم فقال ابن مسعود على الخير سقطت سمعت رسول الله ﷺ يقول أعظم آية (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وأعدل آية في القرآن (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) وأخوف آية في القرآن (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وأرجى آية في القرآن (قل يا عباده الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) .

وعن علي رضى الله تعالى عنه قال ما أرى رجلاً ولد في الإسلام أو أدرك عقله الإسلام يبيت أبداً حتى يقرأ هذه الآية (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) ولو تعلمون ما هي إنما أعطيها نبيكم من كنز تحت العرش ولم يعطها أحد قبل نبيكم وما بت ليلة قط حتى أقرأها ثلاث مرات أقرأوها في الركعتين بعد العشاء الآخرة وفي وترى وحين أخذ مضجعي من فراشي .

وأخرج ابن السني عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال من قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله تعالى . وعن النبي ﷺ من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة كان الذي يتولى قبض نفسه ذو الجلال والإكرام وكان كمن قاتل مع أنبياء الله حتى استشهد . ويحكى عن بعضهم أنه قال كنت أقرأها فأصابني وجع شديد فرأيت في منامى رجلين يقول أحدهما للآخر أنه يقرأ آية فيها ثلثمائة وستون رحمة أفلا تدركه منها رحمة واحدة قال فاستيقظت وقد عافاني الله تعالى . وقال نجم الدين النسفي ورد يا محمد إن عفريتاً من الجن يكيدك فاطرده عنك بآية الكرسي .

وفي شمس المعارف للبوني عن سلمان الفارسي عن النبي ﷺ من قرأ آية الكرسي هون الله عليه سكرات الموت وما مرت الملائكة في بيت فيه آية الكرسي إلا صَعَقُوا ولا يبيت فيه قل هو الله أحد إلا سجدوا ولا يبيت فيه آخر سورة الحشر إلا جثوا على الركب اه .

فائدة

ذكر الإمام برهان الدين إبراهيم بن حسن السكوراني في كتاب الأذكار والدعوات مانصه: ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن الحكيم الترمذي عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام إن ربك يقول: «من قال دبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولحظة ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض من كل شيء هو كائن في علمك أو قد كان — أقدم بين يدي ذلك كله — الله لا إله إلا هو الحي القيوم إلى العلي العظيم فإن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا يصعد إلى فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى يُنفخ في الصور وتشتغل الملائكة بذلك » وهذا ما وصى به الشيخ محيي الدين قدس سره في الباب السادس والخمسين من الفتوحات ، قال وكذلك تقول في أثر كل صلاة فريضة قبل الكلام اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس إلى آخر ما مر اه .

وقد وقع السؤال عن المراد بقوله اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس إلى آخره فأجبت بأن المراد تكثير المضاعفة والتحسين بأن يكون ما ورد في هذه الآية الكريمة من الأجور التي لا تحصر والثواب الذي لا يقدر والسكرامة لقارئها في الدنيا والآخرة مقدماً بين يدي جميع الآنات والأزمنة التي تستغرق

عمر الدنيا إلى نهايتها فيكون الحفظ والتحصيل والثواب والإحاطة معدوداً
وَمُعَدَّاً له بين يدي كل تلك الآتات والأشياء ، ويؤيد هذا ما ذكره السجاعي
في شرحه لحزب الإمام النووي عند قوله وأقدم بين يدي وأيديهم
بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد إلى آخرها أى أجعل ذلك مقدماً
في التحصن والإحاطة انتهى لكن رأيت في شرح حزب البر للشيخ أبي الحسن
الشاذلي وهو للشيخ محمد بن عبد السلام بن حمدون البناني ما قد يخالف
ما مرّ فإنه قال لما قصد بقوله أقدم اليك مجرد ثبوت الفعل من غير تعلق
بفعول وأتى به مجازاً كده مبيناً له بقوله أقدم اليك بين يدي ذلك كله أى
أقر وأعترف بتقدم ألوهيتك الموصوفة بالصفات المذكورة من الحياة وما بعدها
على جميع ما ذكر مما هو كائن أو قد كان ، ومحصله الشهادة بأوليته وأزليته
وسبقيته على كل شيء من المكوّنات إذ كان الله ولا شيء معه ، وليس معنى
أقدم أجعله مقدّماً بل معناه أعتقه وأعلمه مقدّماً سابقاً لا أول له بجميع
صفاته وأسمائه — نبه على هذا المعنى جملة صاحب نوادر الأصول .

ويجوز حمله على معنى تقديم الشفاعة أى أقدم اليك شفاعات على عدد
ما ذكرت آية الكرسي فجعل الآية كلها شفيعاً لما تضمنته من عظمة الله وصفاته
الجليلة الجليلة التي وصف بها نفسه ، أو المعنى أقدم اليك بين يدي كذا أنت
وصفانك أى لا أقدم شفيعاً اليك إلا أنت حتى لا يكون واسطة في الاستشفاع
غيرك كما في خبر ماتركت لنفسك يا أبا بكر قال الله ورسوله كأنه يقول لا شاغل
لي عنكم غيركم اه والنفس بالتحريك هو الريح الخارج والداخل من الفم
قال البناني قال الحكيم الترمذي حصلنا حساب ليلة أى من الأنفاس فبلغ
ثمانمائة ألف ألف وأربعين ألف ألف وبالنهار كذلك فكله ألف ألف ألف

وستائة ألف ألف وثمانون ألف ألف في اليوم واللييلة تحقيق أن تشتغل الملائكة بذلك اه وقال الإمام الرباني الحبيب أحمد بن زين الحبشي باعلوى في شرح العينية : والأنفاس أزمنة دقيقة تتعاقب على الإنسان مادام حيا جمع نفس وهو دفع البخار البخاني عن القلب وكل نفس طرفتان والطرفة تحريك الجفن وقد ذكر بعض العارفين أن للإنسان في كل ساعة ألف نفس فيكون في الليل والنهار أربعة وعشرون ألف نفس ، وذكر بعضهم أن للقلب في كل يوم سبعين ألف خطرة على عدد الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم ولا يعودون اليه ولا شك أن القلب بيت معمور إما بخير وإما بشر وكان بعضهم يذكر الله في كل يوم على عدد أنفاسه أربعاً وعشرين ألف مرة اه وأما اللحظة فهي تحريك جفن العين ، والمحة المرة من الملح وهو لمعان البرق ، والطرفة مؤنث الطرف بسكون الراء : تحريك الجفن إذا فتحه أو رجمه وقوله « يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض » أى ساكنوها أى وبين يدي أنفاسهم ولحظاتهم ولحاتهم أى مدة بقائهم ودوامهم فيهما ولا ينقض ذلك إلا بانقضاء عمر الدنيا ، ثم قال « وكل شيء هو كائن في علمك أو قد كان » فيكون على وجه الشمول والعموم لغير أهل السنوات وأهل الأرض من ملك وملكوت ومن الوجود والمعدوم والأزمنة والأمكنة والأخرام والجواهر والأعراض والماضى والمستقبل إذ الشيء ما يصح أن يعلم ويخبر عنه أى عند سيويوه وهو أعم العام — كما أن الله تعالى أخص الخاص — يجري على الجسم والعرض والتقديم والمعدوم والمحال ، وقول الأشاعرة المعدوم ليس بشيء معناه أنه غير ثابت في الأعيان قاله المناوى في توقيفه ، وفضائل آية الكرسي وأسرارها لا تنهاه والله أعلم .

الذكر الثالث

الآيتان من آخر سورة البقرة من قوله تعالى «آمن الرسول»
والسلام عليها أيضاً من وجهين ما يتعلق بمعناها ثم ما يتعلق بفضلهما .

معنى الآية

(آمن الرسول) صدّق الرسول (بما أنزل إليه من ربه) من القرآن
والوحي (والمؤمنون كلٌّ) أى . منهم أى رسول الله والمؤمنون (آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله) كما ورد وثبت [لا تفرق بين أحد من رسله]
كما فرقت اليهود والنصارى [وقالوا] أى المؤمنون [سمعنا] سماع قبول
[وأطعنا] أمر كنسالك [غفرانك ربنا وإليك المصير] المرجع ، روى عن
أبي هريرة أنه لما أنزل على رسول الله ﷺ [لله مافى السموات ومافى الأرض
وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله] . اشتد الأمر على الصحابة
فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب وقالوا أى رسول الله كلفنا من
الأعمال ما نطبق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزل عليك هذه الآية
ولا نطبقها قال رسول الله ﷺ أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين
من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير
فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى فى أثرها آمن الرسول
الآية فلما فعلوا ذلك أنزل الله تعالى [لا يكلف الله نفساً إلا وسعها] أى ما تسعه
وتطبيقه فضلاً وتكرماً ورحمة منه تعالى لا وجوباً ، ومنهذه أهل السنة أن
له تعالى تكليف العبد ما لا يطيقه لأن الخلق ملكه وعبيده فله أن يتصرف
فيهم بما يشاء وليس لخلقه أن يكلفوا ملكهم كرقيق ودابة ما لا يطيق لأن

ملكهم لذلك إنما هو مجاز لا حقيقة ولذلك يرتفع الرق بالموت [لها] أى لكل نفس [ما كسبت] من الخير [وعليها ما اكتسبت] من الشر وقولوا فى دعائكم [ربنا لا تؤاخذنا] أى لا تعاقبنا [إن نسينا أو أخطأنا] إن وقع منا تقريط أو إغفال، سألوا ذلك تجويزاً أن يؤاخذ الله به إذ ما أخبر به ﷺ من قوله تجويزلى عن أمتى الخطأ والنسيان بمعنى وعده تعالى بذلك رحمة وفضلاً [ربنا ولا تحمل علينا إصراً] أى لا تكلفنا أمراً يثقل علينا حمله من التكاليف الشاقة [كما حملها على الدين من قبلنا] أى بنى إسرائيل من قتل النفس فى التوبة أى فى قصة توبتهم عن عبادة العجل وقد أمر من لم يعبد منهم العجل بقتل من عبده وكان جملة القتلى سبعين ألفاً وبتمامها نزلت التوبة وسقطت الشفار من أيديهم -

ومما كلفوا به اخراج ربع المال فى الزكاة وقطع موضع النجاسة من البدن والثوب وقيل وبخمسين صلاة فى اليوم والليلة أى فى حق البعض خفف الله عن هذه الأمة ورفع عنهم الأصار والتكاليف الشاقة ببركة النبي ﷺ [ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة] أى قوة [لنا به] أى من البلاء والعقوبة ومن التكاليف التى لا تنفى بها الطاقة البشرية فيه أيضاً دليل لجواز التكليف بما لا يطاق كما مر [واعف عنا] أى امح ذنوبنا [واغفر لنا] أى استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة بها [وارحمنا] تعطف بنا وتفضل علينا فإننا لا ننال العمل إلا بطاعتك ولا نترك معصيتك إلا برحمتك [أنت مولانا] أى سيدنا ومتولى أمورنا ومدبرها [فانصرنا على القوم الكافرين] بإقامة الحجة والغلبة عليهم والمراد الكافرين بالله بالجهود وعدم الاتباع لهذا الدين وينبغى أن يقصد الداعى النصر والغلبة وإقامة الحجة على جميع المضادين الحق

في مراده من العبودية ، ومن أعظمهم النفس لقوله ﷺ «اعدى الأعداء نفسك»
التي بين جنبيك» وفي الحديث الآخر «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد
الأكبر» وفسره بجهاد النفس ، ومن الأعداء الشيطان والهوى والدنيا والمرأة
والولد الذين لم يطارعوا في الدين ولم يعاونوا على البر والتقوى لقوله تعالى :
[إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم] وكذا الصاحب لغرض
الدنيا ، وروى أنه لما دعا ﷺ بهذه الدعوات قيل له عقب كل كلمة قد فعلت
فالحمد لله على ما أولانا من دين الاسلام ونعمته اللهم اجعلنا عليها من الشاكرين .

فصل الآية وخواصها

وأما فضلها وخواصها (فروى) عنه ﷺ أنه أعطى ليلة أسرى به ثلاثاً
أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك
بالله من أمته شيئاً ، (وروى) عنه ﷺ أنه قال «أنزل الله آيتين أى أولهما آمن
الرسول من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة
من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل » والكتابة باليد تمثيل
وتصوير لإثباتهما ، وتقديرهما بألفي سنة تصوير لقدمهما لأن مثل هذا يقال
لطول الزمان لا للتحديد ، (وروى) عنه ﷺ أنه قال «أوتيت خواتم سورة
البقرة من كنز تحت العرش لم يؤت من نبي قبلي» (وروى) عنه ﷺ أنه قال «من
قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه عن قيام الليل أو عن كل
ما يسوؤه » .

وفي الدر المنثور عن أبي ذر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال
«إن الله تعالى ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش
فتعلموها وعلموها نساءكم وأبناءكم فإنهما صلاة وقرآن ودعاء» وفي خبرناهم

إنهم قرآن وإنهم دعاء وإنهم يُدخلون الجنة وإنهم يُرضون الرحمن» وفي آخر
«آيتان هما قرآن وهما يشفيان وهما يماجيهما الله» وأخرج الطبراني عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال من قرأ الثلاث الأواخر من سورة البقرة فقد أ كثر وأطاب
وقل إنه لما نزلت هذه الآية (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) فكلمها
جبريل للنبي ﷺ قال النبي آمين رب العالمين انتهى

(تنبيه)

ورد ترتيب هذه الأذكار الثلاثة مع الأفراد والجمع في وظائف وأحوال كثيرة
متغيرة في الصباح والمساء وبعد الصلوات المكتوبة وعند النوم ومع أسباب
وفي بعضها يضاف إليها آيات أخرى فمنها قراءة الفاتحة وألم إلى المفلحون، وإلهم
إله واحد الآية وآية الكرسي إلى العظيم وآمن الرسول إلى آخر السورة
و«شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو
العزیز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام» و«قل اللهم مالك الملك» إلى «بغير حساب»
والإخلاص عشر أو المعوذتين مرة مرة بعد كل مكتوبة والقاتحة وآية الكرسي
وآمن الرسول والإخلاص والمعوذتين صباحاً ومساءً .

فأما الفاتحة وآية الكرسي وآمن الرسول فقد مرّ ما فيها من الفضل، وأما
فضلها مجموعاً مع غيرها ففي الدر المنثور عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله
ﷺ إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران آية «شهد الله أنه
لا إله إلا هو» و«قل اللهم مالك الملك» إلى «بغير حساب» هن معلقات بالعرش
ما بينهن وبين الله حجاب .

(وفي) كتاب غنية الخير لشيخنا مفتي المدينة المنورة أحمد بن علوي باحسن
باعلوى نفع الله به (قال) في السؤال الرابع عشر في أسباب حسن الخاتمة
(م ٦ — ذخيرة المعاد)

ولنختم الكلام بحديث مما نحن بصدده ونسوق سندنا فيه إلى الصادق المصدوق
استمطاراً له واطل أسرارَه وأمداده (فتقول) أخبر غير واحد من أساتذة الأسناد
والرواية وجهابذة التحقيق والتحديث والدراية عن الإمامين الحبرين المسنين
الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي الشافعي والشيخ الصالح المسند الحرر
الشيخ أبي طاهر محمد الكردى الشافعي عن والده العارف الهمام والعلم الإمام
برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن حسن الكوراني الشهير زوري ثم المدني
عن العارف الوارث الحتم صفي الدين سيدي أحمد القشاشي المدني عن الشمس
محمد البرملي عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن الحافظ شهاب الدين أحمد
ابن حجر العسقلاني ، قال ابن حجر في المجلس الحادي عشر من أماليه ، ثم ساق
سنده إلى سيدنا جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن سيدنا علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ، ثم ساق الحديث المار ذكره ، وجاء أيضاً الحث على
قراءة الفاتحة مع بعض هذه الآيات ومع غيرها (وفي) تنبيه الأخيار للشيخ ابن
حجر رحمه الله تعالى (قال) وفي شرحي العباب : تسن المحافظة كل وقت على
قراءة يس والواقعة والملك والاخلاص والمعوذتين وآية الكرسي وآمن
الرسول إلى آخرها وقراءة أو آخر الحشر ، وينبغي أن يضم لذلك كل ما ورد فيه
ترغيب كالأقسام يوم القيامة وسبح وإنا أنزلناه وإذا زلزلت والعاديات والتكاثر
والكافرون وإذا جاء والفاتحة اه . ما ذكره ابن حجر

(وأما) قراءة آية (شهد الله) إلى آية (إن الدين عند الله الإسلام) ففي حديث
كما في الدر المنثور «أنه يجاء بصاحبها يوم القيامة ويقول الله عبيد عهدي وأنا
أحق من وفي بالعهود أدخلوا عبيد الجنة» ، وفيه أنه عليه السلام قال بعدها «وأنا على
ذلك من الشاهدين» وفي نزهة المجالس قال وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله رأى
ليلة المعراج باب الجنة مغلقاً عن عبد ثم رآه مفتوحاً فسئل عن ذلك فقيل إنه

قرأ «شهد الله» الآية (وقيل) إنه قرأها رجل فقال يارب هذه وديعتك عندك فردها على يوم وفائي ، فلما قرب أجله أنطق لسانه بشهادة أن لا إله إلا الله فنودي من فوقه هذه وديعتك قد رددناها إليك .

وفي تفسير الخطيب الشربيني وكان الأعمش يقول بعد قراءة شهد الله وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لى عند الله وديعة وقد أكثر صاحب الراتب من ترتيب هذه الآية في صلوات مخصوصة معروفة يعمل بها أصحابه المنتسبون إليه وكذا جمع غيرها من الآيات الواردة صباحاً ومساءً في أوراده وكتبه ، وأكثر ذلك بل كله مروي في خبر أو أثر . ولما ابتدأ راتبه نفع الله به بهذه الآيات أتى بعدها بأفضل الأذكار كما في الحديث وهو :

الذكر الارباع

(لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير « ثلاثاً »)

وهو ذكر جامع لمجامع أنواع التوحيد وهو أفراد الألوهية بالوحدة في الذات والصفات والأفعال ، ثم اتصافه تعالى بأن « له الملك » أى له لا غيره السلطان المطلق الحقيقي الدائم الذي لا انتهاء لوجوده وإردافه بأن « له الحمد » أى له لا غيره الثناء باللسان على الجليل الاختيارى على جهة التعظيم ، ثم إنه تعالى لما كان له النشأة السابق ذكرها والإحياء والإماتة في سائر أطوارها قال « يحيي ويميت » والحياة في الأصل هي الروح الموجبة للتحرك ولها اعتبارات في الإنسان وغيره وأعلاها في الإنسان إذا تكاملت علومه ومعارفه وأخلاقه وإلها الإشارة بقوله تعالى (أو من كان ميتاً فأحييناه) ويوصف حينئذ بكمال

القوة العاقلة ، والموت ضد الحياة وله اعتبارات أيضاً فباعتبار هو انتقال من الحياة بخروج الروح إلى طور آخر وهو البرزخ وما بعده وباعتبار آخر هو زوال القوة العاقلة وهي التي يعقل بها أمر الله ونهيه فيتمثله ويعمل به وضدها الجاهالة ومنه قوله :

لقد أستمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي
وكذا قوله :

ليس من مات فاستراح يميت وإنما الميت ميت الأحياء

فوصفه تعالى بأنه يحيي ويميت من شأن الألوهية التي من صفاتها الرحمانية والرحيمية المقتضيان الإيجاد والإمداد ، ثم إنه لما كان في قصة إبراهيم عليه السلام التي حكها الله تعالى عنه بآية (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت) استدلال بالأحياء والإماتة ثم بآية (والشمس من المشرق على القدرة السكاملة الشاملة — ختم هذا الذكر بقوله « وهو على كل شيء قدير » أي هو قادر على إيجاد كل شيء وإعدامه وغير ذلك والقدرة صفة قديمة قائمة بذاته تعالى متعلقة بالجائز وهي كالفرع عن العلم والإرادة فالعلم يكشف والإرادة تخصص والقدرة تبرز (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)

وقد جاء هذا الذكر بروايات وصيغ متعددة فمنها « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » (١) قال صلى الله عليه وسلم « أفضل

(١) روى الشيخان عن أبي هريرة بالفظ « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ويميت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه حتى تمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » وفي رواية أبي أيوب

مما قلته أنا والنبيون قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له» إلى آخره وأنها أكثر دعائه يوم عرفة وأنها أفضل الأذكار بعد القرآن وأنه ينبغي أن تكرر في هذا اليوم مائة أو ألفاً، وتطلب هذه الصيغة بعد كل صلاة بلا قيد عدد بل مرة ومن قالها في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر منه رواه الشيخان وغيرهما .

قال الشيخ محمد بن سليمان السكردى في فتاويه وروى ذلك أبو داود ولم يقيده بعشر ولا مائة ولا بدبر صلاة ولا غير ذلك بل بالصباح والمساء، قال الحافظ ابن حجر وحديثه حسن صحيح وكذا رواه ابن ماجه أيضاً قال الفاكهي في شرح بداية الهداية وذلك يصدق بمرة اهـ . وورد بزيادة « يحيى ويميت » ومقيداً .

== الأنصاري بدل مائة مرة عشر مرات وبدل باقي الحديث . كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل . »

ونقل ابن علان في حاشيته على الأذكار أن هذه الفضائل التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هي لأهل الشرف والدين والكمال والطهارة من الكبائر والجزائم ولا تظن أن من فعل هذا وأصر على ما شاء من شهواته يالحق السابقين المتطهرين وينال منزلتهم في ذلك بحكاية أحرف ليس معها تقوى ولا إخلاص ولا عمل . ما أظلم من تناول دين الله على هواه اهـ .

وقال الشاطبي : كل مندوب إليه فرتب بعد الواجب فلا نظر فيه شرعاً إلا بعد تقرر الواجب كالنوافل إنما جاءت مرتبة بعد الفرائض والحاجيات إنما جاءت مرتبة على ما هو ضروري والتحسينات إنما جاءت مرتبة على ما فوقها مما تقتضيه مكارم الأخلاق ومحاسن العبادات أن يكون محسناً فإذا ثبت هذا فالدليل الشرعي منتهى بأن المندوبات إنما تعتبر بعد أداء المفروضات وبالنسبة إلى ذلك جاء فيها من الترغيب ما جاء ، ويحسب يرد . ورد الرضاء والقبول اهـ .

بعشر مرات بعد الصبح وبعد المغرب وبعد العصر وزيادة وهو ثمان رجلية
وقبل أن يتكلم، روى الترمذي عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ «من قال في دبر
صلاة الصبح وهو ثمان رجلية قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتبت له
عشر حسنة ومحيت عنه عشر سيئة ورفع له عشر درجة وكان يومه
في حرز من كل مكروه وحرس من الشيطان الرجيم ولم ينسب له ذنب
أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشريك بالله تعالى» وأخرجه الطبراني في الكبير
بلفظه بسند حسن وفيه يحيي ويميت بيده الخير وزاد في آخره وكان له بكل
كلمة عتق رقبة من ولد اسمعيل عن كل رقبة اثنا عشر ألفاً ومن قالها بعد
كل صلاة كان له مثل ذلك .

وفي رواية النسائي في عمل اليوم والليلة وكان له قدر عتق عشر نسمة
لكن ليس في روايته وهو ثمان رجلية . وفي رواية أخرى له ومن قالهن حين
ينصرف من صلاة العصر أعطى مثل ذلك في ليلته ؛ نقلها في العهود الحمدية .

وأخرج ابن السني وهو حسن أيضاً عن أبي أمامة رضي الله عنه من قال
في دبر صلاة الغداة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي
ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير مائة مرة قبل أن يثني رجلية كان
يومه أفضل أهل الأرض عملاً إلا ممن قال مثل ما قال أو زاد على ما قال .

وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من
دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي
ويميت وهو حي دائم لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله

له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة
وبنى له بيتاً في الجنة » وكان ابن عمر رضى الله عنهما وسالم بن عبد الله ومحمد
ابن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين نيل فضيلة هذا الذكر ، وكان قتيبة
ابن مسلم يركب في موكبته حتى يأتى السوق فيقولها ثم ينصرف .

قال الإمام الطيبي في حاشية مشكاة المصابيح : إنما خص السوق بالذكر
لأنه مكان الاشتغال عن الله تعالى وعن ذكره في التجارة والبيع والشراء
فمن ذكر الله تعالى فيه دخل في زمرة من قيل في حقه (رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله) قال أبو عبد الله الحكيم الترمذى إن أهل الأسواق
قد افترس العدو منهم حرصهم وشحهم فنصب كرسيه وركز رايته وبث
جنوده فرغبتهم في هذا الفانى فصيرها عدة وسلاحاً لفتنته بين مطفئ
في كيل وطائش في ميزان ومُنفق السلعة بالحلف الكاذب وحمل عليهم
حملة فهزمهم إلى المكاسب الرديئة وإضاعة الصلاة ومنع الحقوق وما داموا
على هذه الغفلة فهم على خطر من نزول العذاب فالذاكر فيما بينهم يرد غضب
الله ويهزم جند الشيطان ويتدارك ما حث عليه من تلك الأفعال قال الله تعالى
(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) فيدفع بالذاكرين عن
عن أهل الغفلة ، وفى تلك الكلمات نسخ لأفعال أهل السوق فنقول « لا إله
إلا الله » ينسخ وكالة قلوبهم لأن القلوب منهم ولهت بالهوى قال تعالى « أفرأيت
من اتخذ آلها أهله » وبقوله « وحده لا شريك له » ينسخ ما تعلقت به قلوبهم بعضها
ببعض في نوال أو معروف وبقوله « له الملك » ينسخ ما يريدون من تداول أيدي
المالكين وبقوله « وله الحمد » ينسخ ما يريدون من صنع أيديهم وتصرفهم في الأمور
وبقوله « يحيى ويميت » ينسخ حركاتهم وما يدخرون في أسواقهم للتبائع فإن تلك

حركات تملث واقتدار وبقوله «وهو حي لا يموت» ينبئ عن الله تعالى ما ينسب إلى الخلقين ثم قال «بيده الخير» أى أن الأشياء التى يطلبونها من الخير فى يده «وهو على كل شىء قدير» فمثل أهل الغفلة فى السوق كمثل المصمغ والذباب مجتمعين على مزبلة يتطايرون منها على الأقدار ، فقصد هذا الدأكر إلى مكينة عظيمة ذات شعور وقوة فكس هذه المزبلة ونظفها من الأقدار ورمى بها وجه العدو وهزمهم وطهر الأسواق منهم قال تعالى (وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) أى بالوحدانية (ولأولوا على أديارهم نفورا) تخدير بهذا الناطق أن تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات وترفع له الدرجات والله أعلم انتهى .

وقد جاء فى بعض الروايات زيادة على هذا الحديث وهى «يفعل ما يشاء» وكلها زيادات وبيان لشرح معنى الألوهية ذات الجلال والجمال والكمال وتتضمن كلمة التوحيد الجامعة لجميع معارج التفريد والتجريد والترقى إلى معرفة أسرار الألوهية كما سيأتى شرح ذلك .

قال الإمام الغزالى فى كتاب التوحيد والتوكل من الإحياء فى بيان حقيقة التوحيد : إعلم أن جميع أبواب الإيمان لا تنبسط إلا بعلم وحال وعمل والإيمان هو التصديق وإذا قوىسمى يقيناً ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن إنما نحتاج منها إلى ما ينبئ عليه التوكل وهو التوحيد الذى يترجمه لسانك بقولك لا إله إلا الله وحده لا شريك له والإيمان بالقدره التى يترجم عنها قولك له الملك والإيمان بالوجود والحكمة الذى يدل عليه قولك وله الحمد فمن قال «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير» فقد تم له الإيمان الذى هو أصل التوكل فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة وهو البحر الحضم الذى لا ساحل له انتهى .

(فإن) قلت روايات لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلى آخره ليس فيها رواية بالثلاث كما في الراتب وإنما الوازد من الأعداد مرّة وعشرًا ومائة على اختلاف الروايات فيها وكذا أذكار الراتب كلها مروية بالثلاث إلا «يا ذا الجلال والإكرام» الخ فسبعًا والا «استغفر الله رب البرايا» فأربعًا و«الجلالة آخره» خمسين أو مائة أو ألفًا كما حكى ذلك عن جامعہ والاخلاص ثلاثًا والمعوذتين مرة مرة (قلت) اختيار الثلاث لوروده في أذكار الصلاة المختصة بالركوع والسجود وفي أكثر الأذكار الواردة صباحًا ومساءً قال الفاكهي ويحصل ما ورد أي مطلقًا بمرّة والثلاث فيه أولى كما يأتي وقياسًا على أكثر ما الوارد فيه الثلاث، وقال الشيخ أحمد السجاعي المصري في شرحه على حزب الإمام النووي في الكلام على التكبير في أوله ثلاثًا أنه رعاية لما ورد أن النبي ﷺ كان يعجبه أن يدعو ثلاثًا وأن يستغفر ثلاثًا ولأن التكرير من محاسن الفصحاء وله فوائد منها التعظيم نحو وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . اهـ وأما تكرر يا ذا الجلال والإكرام سبعًا فلما ورد من قوله ﷺ أرأيتوا يياذا الجلال والإكرام والسبع بالنسبة إلى الآحاد من أعداد الكثرة فيظهر بها معنى الإلطاء وهو الاكثار من هذا الذكر ولأن المسئول تحصيله بها أمر مهم وهو المسوت على الإسلام فتأكد فيه الزيادة على الثلاث ، وأيضًا فهي كالثلاث وكالعشر كثيرًا ما ورد الذكر بهذه الأعداد وكذا بالسبعين والمائة ولذلك أسرار مخبأة تحت هذه الأعداد .

قال الشيخ ابن حجر رحمه الله في التحفة ما حاصله : ينبغي الاقتصاد على الأعداد الواردة في الأذكار لكون الأعداد المنصوص عليها من الشارع صلوات الله وسلامه عليه لها سر في تحصيل ما يترتب عليها من الثواب وغيره ثم إذا أراد الزيادة على ذلك بعد زاد عليه اهـ .

وقال الشيخ محمد الجزري في حاشية كتابه الحصن الحصين : ما نُصَّ على العدد فيه حصل الثواب المرتب عليه والأجر بما زاد وليس هذا من الحدود التي نهى الله عن اعتدائها ومجاوزة أعدادها وأن زيادتها لأفضل فيها أو تبطلها كالزيادة في عدد الطهارة وعدد ركعات الصلاة وبالغ بعض الناس فقال إنما الثواب الموعود به على العدد المعين فلو زاد لم يحصل له ما وعد به لأن هذا العدد المعين له سر وخاصية رتب عليه ما ذكر فلو زاد بطلت الخاصية وهذا غلط ظاهر اهـ وقال بعضهم إنه يأتي بالعدد الوارد وإذا انتهى إليه قصد به المأثور ثم يأتي بما شاء بنية الزيادة .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم « من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه » دليل على أن الزيادة في العدد لا تبطل ثواب الوارد وخاصيته ، ولم أر من نبه على ذلك وفيه تأييد لكلام الجزري .

وأما قوله استغفر الله رب البرايا ألح أربعاً فلعل صاحب الراتب رضى الله عنه لما رأى أن النعم تنقسم إلى ظاهرة وباطنة وإلى إيجابية وإمدادية وكان كل منعم عليه بها لا يقدر على القيام بشكرها حسن أن يقابل كل نوع منها بالاستغفار اعترافاً وجبراً للتقصير كما في « اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك » ألح لما كان الشهود على توحيد القائل لها أربعة — عتق كل مرة منه ربه ، أو يقال التكفير للنفس من موبقات الخالفات الناشئة عن الهوى ووسوسة الشيطان وهو يجري من الإنسان مجرى الدم والنوب الواقعة من الإنسان سببها وسوسة الشيطان وهو من الطبائع الأربع فجعل المكفر من العدد أربعاً لتكون كل مرة مكفرة لأشتم كل واحدة من الطبائع ، أو لمعنى آخر وجميع ما يرتبه صاحب الراتب أو ينص عليه له أصل في السنة .

وأما إله إلا الله فلا تقتصر على خمسين وهو الأقل أو مائة وهو الأكثر والمراد مجرد التكثير إذ هي أفضل الذِّكْرِ (تنبيه) قوله ثلاثاً وسبعاً وأربعاً مفعول مطلق لقول مقدر أى يقولها القارئ ثلاثاً وسبعاً وأربعاً

الذكر الخامس

(سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر — ثلاثاً —)

« سبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل إلا مضافاً منصوباً بإضمار فعله وهو سبحت سبحان وسيأتى فى سبحان الله وجعل عالماً للتنزيه سيما مع قصور العلم بكنهه ما تستحقه الذات العلية من الكمال وكذا الصفات وما لها من التجلى والأفعال ولذا اعتذر الملائكة . من قولهم فى حق آدم عليه السلام (أتجعل فيها) الآية بقولهم (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) وجعل مفتاح التوبة التى هى أول قدم للسالك فى قول موسى عليه السلام (سبحانك إني كنت من الظالمين) فالنسيح نفي النقص ، وقيل إنه لا يجوز أن يكون النسيح فيه معنى التنزيه عن النقص إذ لا ينبغي أن يتخيل النقص وينسب إلى جناب الذات المقدسة حتى ينفي ، ويدل له قول على كرم الله وجهه معنى النسيح تعظيم اجلال الله تعالى ، وسئل رسول الله ﷺ ما نسبة الإله فقال عليه السلام التقديس والتنزيه عن التشبيه » قال الماوردي رحمه الله التقديس لغة التطهير وعرفا تنزيه الحق تعالى عن كل ما لا يليق بجنابه من النقائص الكونية مطلقاً ومن جميع ما يعد كلمات بالنسبة إلى غيره من الموجودات فجرّدة أولاً وهو أخص

من التسييح كفيةً وكيةً أى أشد تنزيها منه وأكثراً ، ولهذا يؤخر في قولهم
 مُبَشَّوحٌ قدَّوس انتهى لكن قيل: الجمهور على أن التسييح للتنزيه إذ درجات
 أهل الإيمان ومراتبهم متفاوتة وبعضهم أهدى من بعض وكل أهل الإيمان على
 الصراط المستقيم قال تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة
 أيهم أقرب) ولكن من هو أقرب فهو واصل إلى درجة عليا ونهاية قصوى
 فلا يشهد إلا الكمال ، وبهذا المعنى كان سبحانه الله من قائلها نصف الميزان
 والحمد لله تملؤه كما في حديث مسلم أى يملؤه ثواب التلفظ بها مع استحضار
 معناها وهو شهود مادل عليه القول من لفظ الحمد والفعل الذى هو أثر الكرم
 والوجود ودلالات الكمالات التى لا تنتهى وكل ذرة من ذرات الوجود
 شاهدة بها ودالة عليها كما قيل .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

ولما نظر رسول الله ﷺ إلى أن كمالاته ومحامده تعالى لا يجمعها ذكر
 ولا يحدها حصر ولا يتناهى لها حد ولا يشار إلى استقصائها حق بالأبد والسرمد
 قال ﷺ « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » قال ابن حجر
 في شرح الأربعين والأولى أن يقال فى حكمة ذلك إن حمده عز وجل اثبات
 لساير صفات كماله فبسبب ذلك عظم ثوابه حق ملاء الميزان اهـ .

ثم لما أتى بصيغة التنزيه وهو التسييح وبإثبات الكمال وهو الحمد ترقى
 إلى ما يجمع التنزيه والكمال فقال « ولا إله إلا الله » وبهذا المعنى فى بعض
 الروايات سبحانه الله نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ولا إله إلا الله ليس لها
 دون الله حجاب حتى تصل إليه أى ليس لقبولها حجاب يحجبها عنه تعالى

وفي رواية أخرى «والله أكبر تملأ السموات والأرض»^(١) ، وفي رواية «والله أكبر ملء السموات والأرض وما بينهما» ، قال ابن علان عند قوله « أحب الكلام إلى الله أربع » لا معارضة بين هذا الخبر وما قبله (هو حديث أفضل الكلام ما اصطفى الله للملائكته أو لعباده سبحانه الله وبحمده) لأن ما في هذا الحديث من الكلمات مندرج في تلك الكلمة : أما «سبحان الله والحمد لله» فبالصريح وأما « لا إله إلا الله والله أكبر » فبطريق الالتزام ولا يلزم منه أفضلية سبحانه الله وبحمده على لا إله إلا الله لما سبق أن مفاد لا إله إلا الله صريح التوحيد الذي عليه المدار وسبحان الله تستلزمه وما أفاد المقصود بالصريح أبلغ مما أفاد بالمفهوم ، نعم سبحانه الله أبلغ في الدلالة على التنزيه من لا إله إلا الله لأنها وإن دلت عليه اذ يلزم من اثبات الألوهية انتفاء سائر النقائص وهو معنى التسييح إلا أنه بطريق الالتزام وسبحان الله يدل عليه بالصريح التام اهـ وقد جعل التكبير خاتمة الباقيات الصالحات وجامعا لجميع الكلمات فهو تعالى أكبر أى أعظم وأجل من أن يحاط بنعوته أو يحصر ما يستحقه من نعوت التقديس والكمال وسمات الجلال والجمال ومن قدسه وحمده ووحده لا يحيط بكنهه ما جعلت هذه الكلمات دالة عليه ، وقد ورد أن دون سبحات وجهه أى أنوار ذاته سبعة آلاف حجاب لو تجلى بها على خلقه لأحرقهم ولتلاشى وجودهم عندها قال تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً) فكيف يحاط بذرة من كلالته ، وأكمل الحامدين له

(١) في الأذكار النبوية : في صحيح مسلم سئل رسول الله صلى عليه وسلم أى الكلام أفضل نال « ما اصطفى الله للملائكته أو لعباده سبحانه الله وبحمده » وفي صحيح مسلم قال قال رسول صلى الله عليه وسلم « أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضر كبايهاً بدأت »

وأعرفُ القَائِمِينَ بحقه في هذا المقام قال « لا أحصى ثناء عليك » .

قال الإمام الغزالي في مشكاة الأنوار : لم يفهموا من قوله تعالى الله أكبر أنه أكبر من غيره وحاشا الله إذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون أكبر منه بل ليس لغيره رتبة المعية بل رتبة التبعية بل معناه أنه أكبر من أن يقال له أكبر بمعنى الإضافة والمقايسة وأكبر من أن يدرك غيره كنهه كبريائه نبياً كان أو ملكاً بل لا يعرف الله كنهه معرفته إلا الله اه ماخصاً .

وقال في شرح الأسماء الحسنى في الكلام على اسمه الكبير : هو ذو الكبرياء والكبرياء عبارة عن كمال الذات وأعني بكلمة الذات كمال الوجود إلى آخر ما ذكره ، وإلى هذا المبحث أشار صاحب الراتب بقوله قدس سره :

وعلوت عن إدراكنا وإب أطلنا الإعتنا
فهيأة التعمقين تحير يا مُمعنا
ما عنه حرنا إنما فيه كحير العجزنا

ففيه إشارة إلى ما حكى عن الصديق الأكبر أبي بكر رضي الله عنه ما قيل له بمعرفت ربك ؟ فقال عرفت ربى ربى ولولا ربى ما عرفت ربى فقيل له وهل يتأتى لبشر أن يدركه ؟ فقال العجز عن درك الإدراك إدراك ومعناه أنه تعالى لا يدرك بالحواس وأنها لا توصل إلى معرفته فهو منزّه عن ذلك كما قال على ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد سئل بمعرفت ربك ؟ فقال بما عرفت به نفسه . لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس . قريب في بُعد بعيد في قرب به فوق كل شيء ولا يقال فوقه شيء وتحت كل شيء ولا يقال تحته شيء وأمام كل شيء ولا يقال أمامه شيء وهو في كل شيء لا كشيء في شيء فسيحان من هو هكذا وليس هكذا غيره انتهى .

ومما يؤيد ما مر من معنى هذه الكلمات الأربع وما فيها من الترتيب
والمناسبة ما ذكره الإمام الطيبي في حاشية مشكاة المصابيح قال : روى أنه عليه السلام
قال أفضل الذكر بعد كتاب الله سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
والموجب لفضلها اشتغالها على جملة أنواع الذكر من التزنية والتحميد والتوحيد
والتمجيد ودلائلها على جميع المطالب الإلهية إجمالاً وهذا النظم وإن لم يتوقف
عليه المعنى المقصود لاستقلال كل واحدة من الجمل الأربع ولذلك جاء في رواية
« لا يضررك بأمر من بدأت » لكنه حقيق بأن يراعى لأن الناظر المتدرج
في المعارف يعرفه سبحانه أولاً بنعوت الجلال التي هي تنزيه ذاته عما يوجب
حاجة أو نقصاً ثم بصفات الكمال وهي الصفات الثبوتية التي بها يستحق الحمد
ثم يُعَكِّمُ له أن من هذا شأنه لا يماثله غيره ولا يستحق الألوهية سواء
فينكشف له من ذلك أنه أكبر إذ كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه
ترجعون هذا ما نقله عن القاضي ثم قال بعده أقول قوله عليه السلام لا يضررك الخ بعد
إيراد الكلمات على النسق والترتيب يشعر بأن العزيمة أن يراعى الترتيب
والعدول عنه رخصة ورفع للجنح ، وروى عن مالك بن أنس رضى الله عنه
أن الباقيات الصالحات هي هذه الكلمات ولعله صلوات الله وسلامه عليه
خصها بالباقيات الصالحات لكونها جامعات للمعارف الإلهية فالتسبيح تقديس
لذاته عما لا يليق بجلاله وتنزيه لصفاته عن النقائص ، والتحميد منبته على معنى
الفضل والإفضال من الصفات الذاتية والإضافية ، والتهليل توحيد للذات
ونفي للضد والنسب وتنبيه على التبرى من الحول والقوة إلا به واختتامها
بالتكبير اعتراف بالقصور في الأفعال والأقوال قال عليه السلام « لأحصى ثناءً
عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وفي هذا التدرج لمعة من معنى العروج
للسالك العارف وتسميتها بالباقيات الصالحات لما أنه تعالى قابلهما بالفانيات

الزائلات في قوله تعالى « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الآبة وخص منها العمدة فيها وما يحصل به تزيين المجالس والتفاخر في المحافل من المال والبنين وجعلها خيراً منها ثواباً وخيراً أملاً له وفيه تأييد لما قدمناه من سر الترتيب .

وفي شرح الأربعين النووية لشيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله ما قد يخالفه فإنه قال وبه يعلم أن الحمد لله أكثر ثواباً من لا إله إلا الله لما تقرر أن الحمد يملأ الميزان وأنه أكثر مما يملأ السموات والأرض ومع ذلك لا تملؤه لا إله إلا الله إلا مع ضم الله أكبر إليها ، وقد حكى ابن عبد البر وغيره خلافاً في ذلك قال النخعي كانوا يرون أن الحمد لله أكثر الكلام تضعيفاً ، وقال الثوري ليس يضاعف من الكلام مثل الحمد لله انتهى . وقال ابن علان في حاشية الأذكار بعد نقل كلام ابن حجر وابن عبد البر وفي شرح المشكاة في حديث الترمذي وابن ماجه أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله : قيل الحمد لله أفضل لأنه جعلها أفضل العبادة وتلك إنما جعلت أفضل الذكر الذي هو نوع منها وأيضاً في الحديث إن الحمد لله ثلاثين حسنة ولا إله إلا الله بعشر حسنات وهو صريح في أفضلية الحمد لله ، وقيل الأفضل كلمة لا إله إلا الله لأنها كلمة النجاة المتكفلة بكل خير ديني ودنيوي وأنها هي أصل العبادات القولية والفعلية والأمر المبني عليه غيرها ، وهذا هو الصحيح الذي لا محيد عنه فيتمين أن يكون المراد من الحديث ، أفضل الدعاء مانداً بالشارع صوات الله عليه إلى بدئه وختمه به وهو الحمد لله أفضل الذكر أي العبادة لا إله إلا الله لما فيها من شفضائل والخصائص غير الحسنات ما ليس في الحمد لله انتهى كلام ابن حجر في شرح المشكاة ، وقال الطيبي لا إله إلا الله هي الكلمة العليا وهي القطب الذي تدور عليه رجي الإسلام والقاعدة التي بنى عليها أركان الدين وهي أعلى شعب

الإيمان ثم قال ويؤثرها العارفون وأرباب القلوب على سائر الأذكار لما رأوا فيها من الخواص التي ليس الطريق إلى معرفتها إلا الذوق والوجدان اه بتصرف ويؤيده ما ذكره ابن حجر في شرح الأربعين بعد الكلام الأول المنقول عنه الدال على ترجيح الحمد لله فإنه قال وروى أحمد أن الله اصطفى من الكلام أربعا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وأن في كل من الثلاثة عشرين حسنة وحطت عشرين سيئة وفي الحمد لله ثلاثين ، وحجة الآخرين ما في حديث البطاقة المشهور وهو عند أحمد والنسائي والترمذي أن لا إله إلا الله لا يعدلها شيء في الميزان ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم ، وروى أحمد لو أن السموات السبع وعامرهن والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن اه.

وفي الكلمات الأربع وماورد في فضلها جمعا وفرادى ما لا يحصى ، وما ورد عن أنى هريرة قال قال رسول الله ﷺ «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» أخرجه مسلم والترمذي وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لقيت ليلة أسرى بي إبراهيم عليه السلام فقال لي يا محمد أقرى أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان» وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» أخرجه الترمذي وورد أيضا أنها أحب الكلام وأنه لا يضررك بأيمن بدأت وقد مر الكلام عليه وأن من قالها غرست له بكل واحدة شجرة في الجنة وفي حديث أبي الدرداء أنه قال له ﷺ «قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإلهن الباقيات الصالحات وهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها» .

فائدة

قال ابن عباس رضي الله عنهما نزل إسماعيل على النبي ﷺ وقال قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما علم الله ووزن ما علم الله وملء ما علم الله، وفي الحصن الحصين قال ﷺ «أما يستطيع أحدكم أن يعمل كل يوم مثل أحد عملاً قالوا يا رسول الله ومن يستطيع ذلك قال كلكم يستطيعه قالوا يا رسول الله ماذا قال سبحان الله أعظم من أحد ولا إله إلا الله أعظم من أحد والحمد لله أعظم من أحد والله أكبر أعظم من أحد» انتهى .

وفي الأذكار والدعوات من الأحياء: قال رسول الله ﷺ «ما على ظهر الأرض أحد يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» رواه ابن عمر رضي الله عنهما

الذكر السادس

(سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم «ثلاثاً»)

مر ما في الثلاث من الاتباع وورد أن «من قال سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله عز وجل وكان من آخر يومه عتيقاً من النار ومن أتى بها مائة لم يأت أحد بمثل ما أتى به إلا رجل أتى بمثل ما أتى به» وفي رواية أو زاد عليه ، وقال عليه الصلاة والسلام «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة» وقال ﷺ «أحب الكلام إلى الله تعالى سبحان الله وبحمده» وسئل عليه الصلاة والسلام «أى الكلام أفضل» قال ما أصطفى الله

للملائكة سبحان الله وبحمده» قيل أراد بذلك قول الملائكة (ونحن نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ
وقُدِّسُ لَكَ) اهـ . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «كَلِمَتَانِ
حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ
سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» قيل الجملتان من سبحان الله وبحمده إلى آخره خبر كَلِمَتَانِ
وما بعده والعاطف مقدر لأنه لا يقال زيد عمرو قائمان بدون واو العطف ،
قال الطيبي في حاشية المشكاة قوله كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ الحُفَّةُ مستعارة من السهولة
شبه جريان الكلمتين على اللسان بما يخف على الحامل من بعض الأمتعة فلا
يتعبه كالشئ الثقيل وذكر المشبه به وأراد المشبه ، وأما الثقل فعلى الحقيقة عند
علماء السنة إذ الأعمال تتجسم حينئذ ، والحُفَّةُ والسهولة من الأمور النسبية ، وهما
مختصران من قوله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فتدبر ، وفيه
حث على المواظبة عليها وتحريض على ملازمتها وتعريض بأن سائر التكالييف
صعبة شاقة على النفس ثقيلة وهذه خفيفة سهلة عليها مع أنها تثبت في الميزان
أثقل من غيرها من التكالييف فلا تتركها إذ روى في الآثار أنه سئل عيسى عليه
السلام ما بال الحمئة تثقل والسيئة تخف فقال لأن الحسنه حضرت مرارتها
وغابت حلاوتها فلذلك تثقل عليكم فلا يحملنكم ثقلها على تركها فإن بذلك
ثقلت الموازين يوم القيامة والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها فلذلك
خفت عليكم فلا يحملنكم خفتها على فعلها فإن بذلك خفت الموازين اهـ . وقال
الإمام أحمد بن محمد القسطلاني الخطيب قال بعض السكبراء إن في سبحان الله
وجوهاً أحدها أنه مصدر تأكيدي كما في ضربته ضرباً فهو في قوة قولنا
أسبِّح الله تسبيحاً فلما حذف الفعل أضيف المصدر إلى المفعول ومعنى أسبِّح الله
أى أنظم نفسي في سلك الموقنين بتقليده عن جميع ما لا يليق بخنابه سبحانه

وأنه تقديس أزلا وأبداً وإن لم يقده أحد ، قال وإذا لزم من قول سبحانه الله تقديس الذات لزم تقديس الصفات والأسماء لأنها قائمة بالذات وإذا حصل الاعتقاد والإعتراف بأنه منزّه عن جميع النقائص وما لا ينبغي أن ينسب إليه ثبتت الكمالات ضرورة وحصل توحيد الربوبية وثبت التقديس في كل كمال عن المشابهة والمماثلة والشركة وكل ما لا يليق فثبت أنه الرب على الإطلاق وأنه المستحق لأن يشكر ويعبد بكل ما يمكن على الإفراد وتوحيد الربوبية حجة ملازمة وبرهان موجب توحيد الألوهية فتتضمن هذه الكلمة إثبات التوحيدين كما تتضمن إثبات الكمالين ، ولما كان الإتيان بالكمال الوجودي مشروطاً بخاؤه عما ينافيه قدم التسمييع على التخميد في الذكر كما تقدم التخليّة على التحلية ومن هذا القبيل يقدم النفي على الإثبات في لا إله إلا الله .

والواو في قوله ومحمد له حال أى أسبحه متلبساً بحمدى له من أجل توفيقه لي للتسمييع ونحوه ، وقيل عاطفة أى أسبح وألتبس بحمده ، وأما الباء فيجتمعن أن تكون سببية أى أسبح الله وأثنى عليه بحمده ، وقال ابن هشام في مغنيّه اختلف في الباء من قوله فسبح محمد ربك ، فقيل إنها باء المصاحبة والحمد مضاف للمفعول أى أسبحه حامداً له أى أنزهه عما لا يليق به وأثبت له ما يليق به ، وقيل الباء للاستعانة والحمد مضاف للفاعل أى أسبحه بما حمد به نفسه إذ ليس كل تزيه محموداً ألا ترى أن تسمييع المعز له اقتضى تعطيل كثير من الصفات ، وقال الخطابي المعنى وبموتك التي هي نعمة توجب على حمدك سبحانه لا بحولي وقوتي وأضيف المصدر عند من جعله مصدراً إلى اسم الذات إذ كلمة الجلالة تدل على الذات المقدسة المستحقة للكمالات ثم الضمير في ومحمد إلى الهوية الخاصة بالسبوحية القدوسية الخاصة الجامعة لجميع خاصيات الذات الواجبة ونحوها هـ . ملخصاً وبعضه بالمعنى .

الذكر السابع

(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ «ثلاثاً»)

انتقل رضى الله عنه من أسلوب إلى أسلوب آخر وهو أنه قدّم أولاً الأذكار التوحيدية المتضمنة لما رتبته من الآيات والأذكار التي بعدها مما هو عنوان شهود كمال الحق تعالى وأفراده بكل وصف مقدس وكل معنى أنفس بما يتعلق بالذات والأسماء والصفات والأفعال التزهيات وذلك أفضل العلوم وأشرفها ، وأرقها وألطفها ، وأدقها وأحفها الحاوية للمعارف الإلهية ولطائف الربوبية الحقيقية التي لا تدركها الأفهام ولا تحيط بها الأوهام ولا تدخل تحت نطاق العبارة ولا تسبق إليها مواد الإشارة ثم عاد رضى الله عنه في هذا الذكر إلى القول بالإعتراف ورجع عن الحومان حول حمى تلك الأشعة بالإنصراف فطلب المغفرة وسأل التوبة تأسيساً بحجته المختار صلوات الله وسلامه عليه ووراثته ثم في أنه إذا غشيه غين الأنوار عاد إلى الاستغفار وقال في ذلك المقام المشار آنفاً إلى وصفه «لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وقال خليفته الصديق الأكبر رضى الله عنه العجز عن درك الإدراك إدراك .

وربنا بفتح الباء منادى حذف منه حرف النداء وأضيف إلى ضمير الجماعة اليرتفع الدعاء مع اجتماع اللهم وارتفاع الأصوات فتجانب الطلبات وتثال الرغبات واختار نفع الله به هنا هذه الصيغة موافقة للآية ولما في سيد الاستغفار من قوله وأبوء لك بذنبي فاغفر لي أى إني اجتهدت وبأنت في تحقيق توحيدى وما به صحة إيمانى وما يزداد به من الأعمال حسب المستطاع وكما يسرت لى ذلك فاغفر لى ما لم استطعه وما قصرت فيه من واجب حقوقك - وأما ما فى آخر

الراتب من قوله استغفر الله رب البرايا فهو مع موافقته للكتاب أيضاً .
مناسب لآخر الحال تأسيّاً به ﷺ بعد نزول سورة الفتح فانه كان كثيراً
ما يقول « سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله وأتوب إليه »
واعلم أن التوبة من العبد ندم وتحسر على ما فرط من الذنب أو التقصير
في جنب الله مع الاقلاع عنه والعزم على عدم العود اليه بحال والله تعالى لطفاً منه
وكرماً يقبل التوبة من عباده وهو التواب الرحيم ، والمغفرة من الغفر وهو الستر .
والله تعالى هو الغفور والغفار والعافر يستر القبائح والذنوب والعورات ويتجاوز
عنها ويصفح ويعفو لطفاً منه وفضلاً والله تعالى أرحم بعباده وأرف بهم من
أنفسهم ، ومن أسمائه الرؤف الرحيم .

ولا بد في طلب المغفرة من الله من تقديم التوبة من العبد قال الفضيل بن عياض :
الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين . وقالت السيدة رابعة العدوية : استغفارنا
يحتاج إلى استغفار كثير وقال بعض الحكماء : من قدم الاستغفار على الندم
كان مستهزئاً على الله وهو لا يعلم ، فاذا تقدمت التوبة من العبد طلب من الغفار
التواب الرحيم مغفرة ذنبه وقبول توبته رحمة به وهما في علم الله تعالى متلازمان
فمن تاب عليه أى قبل توبته غفر له وعكسه ، وفي الخبر أنه ﷺ كثيراً ما يقول
رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم .

والتوبة أول قدم للسالك وأحد مقامات اليقين ، وهى درجات أعلاها
توبة المعصومين من الأنبياء والملائكة فالصديقين المارفين فهم في معارجها
يرتقون فكلما كملت المعرفة وشهدوا من صفات الجلال والجمال والكمال
ما لم يشهدوه أولاً استغفروا عن الحال الأول وهلم جرا إذ معرفة الله تعالى
ومعرفة ملكه وملكوته لا تنتهى قال ﷺ « إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله
في اليوم أكثر من مائة مرة » .

ثم التوبة مراتب قال الشيخ عبد السلام بن احمد المقدسى رضى الله عنه
فى كتابه حل الرموز ومفاتيح الكنوز : اعلم أن التوبة ثلاثة أقسام أولها التوبة
وآخرها الأوبة وأوسطها الإنابة فمن تاب خوف العقوبة فهو صاحب توبة
ومن تاب رجاء الثواب فهو صاحب إنابة ومن تاب حفظاً وقياماً بالعبودية
لارغبة فى الثواب ولا خوفاً من العقاب فهو صاحب أوبة فالتوبة صفة المؤمنين
قال الله تبارك وتعالى (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون) وفى هذه الآية
إشارة خاصة وبشارة عامة ، أما البشارة فانه عز وجل عم العصاة والطائعين
والموافقين والمخالفين بلفظة الإيمان وسماهم مؤمنين لئلا تتمزق نياط قلوبهم
من خوف القطيعة ، وأما الإشارة الخاصة فهى الأمر بالتوبة مع طاعتهم لئلا
يمعجبوا بطاعتهم فيصير فى عجبهم حجبهم فأمرهم بالتوبة فتساوى فى ذلك الطائع
والعاصى ولذلك قال النبي ﷺ توبوا فأتى أتوب إلى الله تعالى فى اليوم مائة
مرة وأما الإنابة فهى صفة الأولياء والمقربين قال الله تعالى (وجاء
بقلب منيب) .

واعلم أن توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من غفلة القلوب وتوبة
خواص الخواص من كل شئ سوى المحبوب اهـ .

وقد مرّ أن صاحب الراتب رضى الله عنه فى هذا الذكر طلب المغفرة
والتوبة بعد الأذكار التى هى من أمهات شواهد التوحيد وجوامع دلائله
وبراهينه فاقتضى بعدها طلب المغفرة والتوبة لما يقع من القصور والتقصير فى
إعطاء المعرفة بها حقها لأنها ليست فى طوق البشر ولهذا لما كانت الصلاة
سبباً فى استقراغ الوسع فى التوجه والإقبال على الحضرة الفاضل من قدسها
التجليات النورية التى ورد فى الحديث أن من أصابه من خلقه

ذلك النور هدى ومن أخطأ ذلك النور ضل والتقصير في الإقبال واقع لا محالة —
 ندب بعدها الاستغفار من كل أحد إذ كل تقصير وقصور على قدر كماله ونقصه
 كما مر في توبة العوام وغيرها ، والنور هنا هو نور المعرفة ، قال الشيخ فعرفة
 العبد لربه نور الله الذي يقذفه في قلب عبده فيدرك بذلك النور أسرار ملكه
 ومشاهدة غيب ملكوته ويلاحظ صفات جبروته ثم تنزل قوة إدراكه على
 مقدار ما أفيض عليه من ذلك النور اه . وقد سأل عليه الصلاة والسلام
 هذا النور في قلبه وفي قبره وفي سمعه وفي بصره إلى أن قال واجعل لي نورا
 واجعلني نورا فطلب عليه الصلاة والسلام أن تستغرق الأنوار جميع جهاته
 وأوصاله لتأمله لقابليتها وقد يسأل في بعض الأحوال سترها كما قال الشيخ :

وإنما كان صلى الله عليه وسلم تستغرقه أنوار التجليات فيغيب بذلك الحضور ثم يسأل
 الله تعالى أن يستر عليه حاله فيطلب المغفرة وهي الستر لأنها مأخوذة من
 الغفر الذي هو الستر ومنه المغفر الذي يستر الرأس فكأنه سأل ستر حاله عليه غيرة
 منه عليه لأن الخواص لو دام لهم تجلي الحق وما يكاشفهم به لتلاشوا عند ظهور
 سلطان الحقيقة فالستر لهم رحمة وأما الستر للعوام فعقوبة لأنه حجاب لهم
 وغطاء على أعين بصائرهم فانهم مستورون به عما سواه اه . وقد ذكر هذا
 هذا المقام صاحب الراتب في بعض تعليقاته بأنه مقام الجمع الذي يرد على الأولياء
 عند تجلي الحقيقة عليهم وذكر فيه عجائب غريبة وأن الله كذلك ينقلهم عنه
 رحمة بهم وأما هم فيطلبونه ويستروحون إليه ولعله هو المراد من قوله
 في بعض قصائده .

يا ليتني غبت عن هذا الوري ودعيت بالمستغرق المبهوت

وأعلم أن ما ذكرناه في هذا البحث مناسب لترتيب هذه الأذكار فإنه لما

تقدم الأذكار الدالة على الاستغراق في بحر التوحيد والتي هي المطلوبة في البدايات المؤدية إلى النهايات وحصل له بذلك الفناء وحالة الجمع سأل الله تعالى أن يستر عليه كما مر من حاله ﷺ لأنه وارثه فقال ربنا اغفر لنا وتب علينا الخ ففيه طلب العود بالمعنى المار في كلام المقدسي بأن يستر عنه حاله ويعود إلى مقام البقاء الذي هو من شأن أهل البدايات فهي وإن كانت وسائل فهي نهايات وغايات يشهد لذلك قوله ﷺ أرحنا بها يابلل وجعلت قرة عيني في الصلاة فانها وصلة إلى التلذذ بالمناجاة والدخول في حضرة الجمع على الله ولهذا ورد أنه ﷺ إذا أراد الخروج إلى الناس بعد قيامه في الليل وصلاته فيه كان يعيث بلمحنته أو يكلم عائشة رضي الله تعالى عنها وينسكت بإصبعه في خده ليعود إلى حال التأهل لخطاب الناس وإرشادهم والدعوة لهم وهو مقام البقاء .

الذكر الثامن

(اللهم صل على محمد . اللهم صل عليه وسلم «ثلاثا»)

وصاحب الراتب رضي الله عنه في ترتيبه الأذكار المتقدمة كان مستغرقا في المطالب الأولية التي هي مقاعد التوحيد فبعد طلب الستر لها عاد إلى مقام البقاء وشهد الوسائط ، وأعظمها وسيلة إلى الوصول إلى الحضرات القدسية حضرة المصطفى ﷺ فينشد أتى بالصلاة والسلام عليه إذ هي أولى الوسائل إليه فقال (اللهم صل على محمد اللهم صل عليه وسلم) وفي الصلاة عليه ﷺ معنى التعظيم

والتكريم له فلا تقال لغيره إلا تبعاً كما اختاره القرطبي وغيره (١)

وإذا كان الله جل وعلا لا يزال مصلياً عليه ثم سخر الملائكة للصلاة عليه - وكذا المؤمنين كما قال تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) فذلك هو الشأن العظيم وغاية الإجلال فإن في الآية دلالة على أنه تعالى وملائكته السكرام داعمون الصلاة على النبي ﷺ وتجديدها وتكريرها وقتاً بعد وقت كما اقتضته الجملة الإسمية باعتبار صدرها. المضارعية باعتبار عجزها ، قال الإمام البيضاوي ما حاصله ففيها أمران الأول الحث للمؤمنين على امتثال ذلك والاعتناء به والثاني الحث لهم على الدوام والاستمرار عليها ليفوزوا بقربه ويتحفوا بلحظه وإمداده ، وقوله (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أى أدعوا ذلك كما اقتضته الصيغة في صلاة الله تعالى وملائكته عليه اه ، وعن عبد الله بن عمر وابن العاص رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا » وقال العلماء في قوله صلى الله عليه بها عشراً شرف زائد على قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها لأن الله تعالى بالصلاة على نبيه ﷺ يذكره وذكر الله تعالى للمصلين لاسيما مع المضاعفة اشرف وأكبر كما الآية (ولذكر الله أكبر) ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة » وفي رواية « أقربكم منى يوم القيامة »

(١) قال القاضي عياض : الذى ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء بالصلاة كما يختص الله عند ذكره بالتقديس والتثنية . ويذكر من سواهم بالغفران والرضا كما قال تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان اه مصححه .

في كل موطن أكثركم على صلاة في الدنيا» وعن أوس بن أوس قال قال رسول الله ﷺ «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على قالوا يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي بليت قال إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء» رواه أبو داود، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «رغم أنف من ذكرت عنده فلم يصل علي» رواه الترمذي وفي خبر آخر «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي» رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه وقال ﷺ «ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام» رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الطيبى أى ينهى الملائكة إليه أصوات أمته كما تنهى أمور الرعية إلى الملوك ولعل المعنى تكون روحه المقدسة فى شأن ما فى الحضرة الإلهية فإذا بلغه سلام أحد من الأمة رد الله تعالى روحه المطهرة من تلك الحالة للرد على من سلم عليه وكذلك شأنه وعادته فى الدنيا يفيض على أمته من سحاب الوحي الإلهى ما أفاضه الله عليه ولا يشغله هذا الشأن وهو شأن إفاضة الأنوار القدسية على أمته عن شأنه بالحضرة الإلهية كما كان فى عالم الشهادة لا يشغله شأن عن شأن والمقام المحمود فى العقبي عبارة عن هذا المعنى فهو صلوات الله عليه فى الدنيا والبرزخ والعقبى فى شأن أمته ، وقال فى قوله ﷺ «صلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم» قال القاضى وذلك أن النفوس القدسية إذا تجردت عن العلائق البدنية عرجت واتصلت بالملأ الأعلى ولم يبق حجاب قترى السكل كالمشاهدة بنفسها أو بإخبار الملك لها وفيه سر يطلع عليه من تيسر له اهـ .

وفى ذكره الطيبى من معنى إفاضة الأنور ذكر مثله العارف بالله السيد عبد

الرحمن العيدروس في شرح صلاة القطب الشريف أحمد البدوي في قول
الشيخ محمد وفا رحمه الله

فأنت رسول الله أعظم كائن وأنت لكل الخلق بالحق مرسل
وقال هذا كله من حيث صورته البشرية وإلا فقد آمنت به جميع الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام في القدم ولهذا كان هو نبينهم وهم نوابه ووراثه عليهم الصلاة
والسلام لأنه المظهر التام والواسطة العظمى والحجاب الأرفع الأجمع الأسمى
الذي نال المقر الأجل الأكمل الأسمى فهو صاحب البرزخية التي هي عبارة
عن شهود الذات المعبر عنها بالآية الكبرى فللأنبياء وورثتهم «قاب قوسين»
وخص هو بـ «أو أدنى» فما عرف أحد الحق كمعرفته ولا أحبه الحق وأحب
له كمحبته فله صلوات الله عليه التفرّد في كل مقام ولهذا كان هو البمد للخاص والعام
حيث كان نبينهم فهو واستظهم وممدهم والسكل نوابه ولله در سيدى سالم شيخان
العلوى حيث قال .

لك ذات العالوم والأسماء يانيبا نوابه الانبياء

ومر اراد حديث «صلوا على فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» وأوله
«لا تتخذوا قبري عيداً وصالوا على الخ ومعنى «لا تتخذوه عيداً» أى لأن العيد تتخذ
فيه الزينة والاهو وقد رخص ذلك فيه وكان أهل الكتاب يسلكون ذلك في زيارة
قبور أنبيائهم حتى ضرب الله على قلوبهم حجاب الغفلة والقسوة واتبعوا سنن
عبدة الأوثان في زيارة طواغيتهم واتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ولذا قال
صلوات الله عليه «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم
مساجد» أى يسجدون إليها ، فالعيد واحد الأعياد وقيل هو إسم من الاعتقاد
أى لأن اعتياده يفضى بالأكثرين إلى إضاعة الوقت وسوء الأدب والتعرض
لما ينتهى بهم إلى حال يرتفع دونها حجاب الحشمة ، قاله ابن علان في شرح الرباض:

ثم قال وحاصله أن المنهى عنه على الأول هو الاجتماع عند قبره ﷺ الزينة والرقص واللهو والطرب وغيرها من المحرمات التي تعمل في الأعياد وعلى الثاني المنهى عنه معاودة تؤدي إلى الإخلال بعظيم الحرمة أو اللال وسوء الأدب أو نحو ذلك وذكر بعض العلماء للحديث معنى آخر أي لا تتخذوه كالعيد الذي لا يؤتى إليه إلا مرتين في العام فيكون فيه حث على إكثار زيارته ﷺ والتبلى بمحادثته ومخاطبته أي على وجه لا يؤدي لما ذكر.

قلت وقد حفظ الله قبره الشريف عما حذر عنه نعم قد يكون بعض هذه الأحوال التي نبه عليها الإمام ابن علان وغيره من أنواع المحرمات والمنكرات عند قبور الأولياء كما سيأتي التنبيه على بعض ذلك.

قال صاحب الزايت نفع الله به لما أورد آية (إن الله وملائكته ينظرون) فناهيك ما قص الله تعالى في هذه الآية الشريفة تشريفاً لنبيه ﷺ وتعظيماً وحثاً لعباده المؤمنين على الصلاة والتسليم عليه وتحريضاً وقال عليه الصلاة والسلام «من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه بها عشر» قال بعض العلماء لو صلى الله على العبد في طول عمره مرة واحدة اكفاه ذلك شرفاً وكرامة فكيف بعشر صلوات على كل صلاة يصلها المسلم على نبيه إهـ. والحمد لله على عظيم فضله وجزيل عطائه انتهى من النصائح وفي بعض الروايات أن بالصلاة الواحدة يصلى الله عليه عشر صلوات ويرفع له بها عشر درجات وتحط عنه بها عشر خطيات وفي خبر آخر «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على».

والحاصل أن الصلاة على النبي ﷺ غوث من الله تعالى لعباده المؤمنين في تطهير السرائر وتكفير الجرائر ورفع الدرجات وحوز الشفاعات وفي جلب

السرات ودفع المسآت ، وللسادة العارفين والصلحاء العابدين والعلماء العاملين طرائق في السكفيات والأعداد قال بعض العارفين نفع الله بهم يُعَدَم المرشون في آخر الزمان ويصير ما يوصل إلى الله تعالى إلا الصلاة على النبي ﷺ (١) وأنها مُتَحَصِّل الاجتماع به مناماً وبقظة وحسبك أنه اتفق العلماء على أن جميع الأعمال منها المقبول والمردود إلا الصلاة عليه ﷺ فإنها مقطوع بقبولها إكراماً له ﷺ انتهى ، قال الإمام الوفاي رحمه الله في بعض مؤلفاته في فضل الصلاة على النبي ﷺ وإثبات صيغ منها قال العارف بالله تعالى أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري الشاذلي رحمه الله في كتابه تاج العروس : من فاته كثرة الصيام والقيام يشغل نفسه بالصلاة على رسول الله ﷺ فإنك لو فعلت في عمرك كل طاعة ثم صلى الله عليك صلاة واحدة رجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عملت في عمرك كله من جميع الطاعات لأنك تفعل على قدر وسعك وهو يصلي عليك على حسب ربوبيته هذا إذا كانت صلاة واحدة فكيف إذا صلى عليك عشرًا بكل صلاة كما جاء في الحديث الصحيح ؟ اهـ . قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه الصلاة على النبي ﷺ أحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب وحب النبي ﷺ أفضل من ضرب السيف في سبيل الله اهـ . وإنما كان السلام أفضل من عتق الرقاب لأن عتق الرقاب كما قال القسطلاني في مقابلة العتق من النار والسلام عليه في مقابل السلام من الله تعالى ولا شك أن السلام من الله تعالى أفضل من مائة ألف جنة فناهيك بها من منة وإذا صلى أحد وسلم ألفاً صباحاً وألفاً مساءً كانت كل صلاة بعشر رقاب وسلامه أفضل من عتق الرقاب وأى ملك يعتق كل يوم

(١) أى مع الطاعة لله تعالى وإخلاص العبادة له . وهذا القيد لا بد منه أيضاً في عبارة تاج العروس الآتية اهـ مصححه .

عشرين ألف رقة مع أنه ليس في الصدقات أفضل من العتق ولذا قدم على الإطعام والصوم في الكفارة — هذا إذا أتى بأقل الصيغ كما إذا قال اللهم صل على النبي الأُمِّي ثم يقول اللهم صل عليه إلى أن يتم ما أَراده وأما إذا أتى بأوصاف زائدة فله ثواب زائد أو بأعداد زائدة فكذلك كما لو قال اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى كل نبي وعلى كل ملك وعلى كل ولي كما هو لائق بك منك إليهم مثل الموجودات والمعلومات أبداً .

وقال العارف بالله السنوسي وغيره أن الصلاة عليه سَلَّمَ ومعراج وسلوك إلى الله تعالى إذا فقد الطالبُ المرشدَ قال شيخنا أبو الفتوح الشهابي والمراد أنها توصل إلى الولاية الصغرى دون الكبرى بحيث يكون الشخص عارفاً بدسائس النفس رافضاً لجميع الأغيار دائماً التعلق بالله تعالى

والولاية الصغرى هي تقوية اليقين وغفران الذنوب وكثرة الثواب والكفاية في الدارين كما قال ابن عباد : إن للصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأثيراً في تقوية اليقين وقال القسطلاني رحمه الله تعالى : فكن أيها الأخ مثابراً للصلاة على نبيك لتظهر من عبيك ويزكو منك العمل وتبلغ غاية الأمل وتنال مرضاة ربك وتأمين الأحوال يوم المحاسبة والأوجال ، وقال ابن حجر العسقلاني : إن الصلاة عليه تفتح من كيمياء السعادة أبواباً لا يفتحها غيرها وتفتح من مزايا السيادة أشياء لا ينقطع عن المصلي سيرها وتوصل إلى المصلي كفاية المؤنة الدنيوية والأخروية وتمنح اللحظات الحميدة والتجليات الاستيقاظية اهـ . وقال الإمام أحمد بن زين الحبشي باعلوى نفع الله به في شرح العينية بعد أن ذكر استجابها في نحو خمسة وثلاثين موضعاً : وقد أبلغ بعضهم مواضع الصلاة المستحسنة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مائة موضع أو أكثر وذكر من فوائدها أربعين فائدة عددها واحدة واحدة منها صلاة الله على المصلي عليه وكفى بها فائدة وغفران ذنوبه وكفاية همه وقضاء

حوالجه وتبشيريه بالجنة قبل موته وتطهيره وتزكيتيه ونجاته من هول القيامة وطيب مجلسه ونفى الفقر والبخل عنه ووقوفه ثابتاً على الصراط وخروجه من الجفاء وبركة ذاته وعمره وعمله ونيله رحمة الله ومحبة ﷺ له وحياة قلبه وهدايته وعرض اسمه عليه واسم أبيه وأداء حق نبيه أى بعضه ولو لم يكن فى بعضها إلا أنها دعاء لله وذكر له تعالى ومناجاة لكفى قال بعضهم من قال اللهم فكأنما ذكر الله بجميع أسمائه وقال الحسن البصرى شجع الدعاء اللهم وقال بعضهم إسم الله الأعظم هو اللهم .

تذرية

أتى صاحب الراتب نفع الله به بصيغة الصلاة مرتين وبالسلا مرة واحدة وذلك لتكون الصلاة أفضل من السلا لكثرة فضلها والثواب المترتب عليها مع الفوائد السابقة وغيرها ولأنها تختص بالأنبياء ولا تجوز على غيرهم إلا تبعاً والسلا يشار بهم فيه غيرهم ولأن موضوع الصلاة لطلب الكمال والسلا إنما هو لدفع النقص والوصمة كما فى صيغة التمجيد والتسبيح وقول البيضاوى فى تفسيره وأكده السلا بالمصدر ليعادها ولئلا يتساهل به اهـ . فذلك صحيح فى نفسه إذ قوله ليعادها أى ليعاد معها لا أنه يساويها فى الفضيلة ويدل عليه قوله ولئلا يتساهل به لأن الأكثر استعمال الصلاة ، وقيل فى قوله (وساموا تسليماً) أكده بالمصدر إما لتناسب رؤوس الآى أو لكونه دالاً على حذف مصدر الأول والتقدير صلوا عليه صلاة وساموا تسليماً .

فائدة

الأنبياء مختصون بالصلاة والملائكة بالسلام والصحابة بالترضى والعلماء والأولياء بالترحم ، وجزم بعضهم أن الترضى محبوب في حق العلماء والأولياء وعليه عمل أكثرهم ، قال ابن حجر في التحفة وسنن الترضى والترحم على كل خير ولو غير صحابي خلافاً لمن خص الترضى بالصحابة اهـ .

قال الشيخ على الوفاي وينبغي للمصلى أن يقصد بالآل جميع المؤمنين حتى الأنبياء السابقين وأئمتهم اهـ وذلك هو اختيار الإمام النووي وأن آله عليه الصلاة والسلام في مقام الدعاء كل مؤمن والأحاديث الصحيحة تخالف هذا الاختيار وتعين الآل ولا مناص عن اتباعها والاكتفاء بما فيها .

تتمية

هذه الخمسة الأذكار وهي لا إله إلا الله وحده الخ ، والباقيات الصالحات ، وسبحان الله وبحمده الخ ، وربنا اغفر لنا الخ ، والصلاة على النبي ﷺ ذكرها صاحب الراتب رضي الله عنه على ترتيب ونسق واحد ففيه الإشارة إلى ما ذكره الإمام أبو بكر العامري رحمه الله في بهجة المحافل فإنه حث على ملازمتها وترتيبها وأنها أفضل الأذكار بعد القرآن وأنها جمعت أفضل أنواع التهليل وأفضل أنواع التسميح وأفضل أنواع الاستغفار في اختصار وأخصر كفيات الصلاة على النبي ﷺ ولكل منها شرح طويل فينبغي لكل متدين ملازمتها كل يوم واتخاذها ورداً يطالب بها نفسه وأن يأتي بكل واحدة منها مائة مرة هذا حاصل ما ذكره وزاد في الباقيات الصالحات : ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ،

الذكر التاسع

[أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق «ثلاثاً»]

ولما فرغ صاحب الراتب مما تقدم عقّبه بالاستعاذة مما يفسد الأعمال أو
يغير الأحوال فقال رضى الله عنه متخصصاً بالورد النبوى (أعوذ بكلمات الله
التامات من شر ما خلق) والاستعاذة — من العوذ وهو الإلتجاء والتعلق
بالغير يقال عاذ فلان بفلان ومنه (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) ،
وكلمات الله — علم الله الذى لو جعل البحر مداداً له لنفد قبل نفاذه ، وقال
الإمام النووى رضى الله عنه كل ما جاء فى الاستعاذة أى بكلمات الله دليل على
أن الكلام غير مخلوق لأن النبي استعاذ بها كما استعاذ بالله فى قوله أعوذ بالله
وبصفاته فى قوله قل أعوذ برب الناس ملك الناس وبعزة الله وقدرته ولم
يكن يستعين بمخلوق من مخلوق ، وقوله التامات — أى التى لا نقص ولا عيب
فيها ووصفها بالتام إشارة إلى كونها خالصة من الرّيب والشّبهة ، وقوله من شر
ما خلق — أى من شر خلقه جميعهم الإنس والجن والشياطين والبر والفاجر
والهوام وغيرها كما فى حديث آخر « من شر ما أنت آخذ بناصيته » وفى آخر
« بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر » ، والمراد من شر خلقه ما يفعله
المكلفون من إثم ومضارة بعض لبعض من نحو ظلم وبغى وقتل وضرب
وشتم وما يفعله غيرهم من نحو لدغ وشنش وعض ، ويدخل فى هذا أيضاً
الاستعاذة من المضار المعنوية فى الدنيا مما يوجب الإثم وفساد القلب وفتنة
الأعداء المضرة فى الدين والدنيا المؤذنة بضر الآخرة ، وفى حديث أبى هريرة
رضى الله عنه أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما لقيت من عقرب

للدغنى البارحة قال «أما لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك» أى لاهي ولا غيرها . لعموم قوله من شر ما خلق والعقرب من جملتها ويدل له ما في الرواية الأخرى « من قال إذا أمسى ثلاث مرات أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق لم تضره حمة تلك الليلة» وفي رواية ابن السني لم يضره شيء، وقوله لم يضره أى لا يؤثر فيه لا أنه لا يلدغه لما ورد أن سهلاً قال إن أهلنا كانوا يقولونها كل ليلة فلدغت جارية منهم فلم تجدها وجعا قاله النووي رحمه الله في الأذكار وحينئذ يتسع المجال في الاستعاذة من كل شيء فيه شر وسوء في الحال والمآل من الأمور الحسية والمعنوية والدنيوية والأخروية علماً وعملاً وفعلًا وقولاً فقد استعاذ ﷺ من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع وبطن لا تشبع واستعاذ من شر نفسه واستعاذ بالله تعالى منه في قوله وأعوذ بك منك .

وأنواع الإستعاذه المأثورة لا يحدها الحصر وقد جمعت هذه السكامة الإستعاذة من كل ما ذكر في الإستعاذات جميعها ما عدا قوله وأعوذ بك منك لأن قوله من شر ما خلق عام في كل مخلوق وهو ما سوى الله من حسي ومعنوي سماوي وأرضي دنيوي وأخروي والله أعلم ،

الذكر العاشر

(بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء

وهو السميع العليم « ثلاثاً »)

ثم أردف الإستعاذة بالكلمات التامات باستعاذة أخرى وتحصينة كبرى وهي الذكر العاشر من الراتب المذكور في سنن أبي داود والترمذي عن عثمان رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « ما من عبد

يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر إلى آخرها ثلاث مرات إلا لم يضره شيء» وفي رواية تعدد رواياتها «لم تصبه في آفة بلاء» فقول بسم الله متعلق بمحذوف تقديره أتحصن وأحتمي بسم الله الجامع للأسماء القائمة به جميع المسميات العلوية والسفلية من كل سوء ومن شر الجن والإنس والحيوان والجماد وكل ما يضر من ذوات العيون والسموم فهو الذي لا يضر مع اسمه العزيز شيء وهو السميع لأحوال السكائنات العليم بها في سائر أزميتها فلا يقع منها شيء إلا بقضائه وقدره الأزلي، وقوله في الحديث إلا لم يضره شيء قال ابن علان في شرح الرياض استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي ما من عبد يقول ذلك يكون في حال من الأحوال إلا حال عدم اضرار شيء له قال وروى أبان بن عثمان راوى الحديث عن أبيه وكان قد أصابه طرف فالج فجعل رجل ينظر إليه فقال له أبان أما أن الحديث كما حدثك ولكن لم أقله يومئذ ليخفى الله على قدره.

الذكر الحادي عشر

(رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً «ثلاثاً»)

وهو من الوارد المسنون، والمراد منه كالأذكار السابقة قبله إفراد الألوهية بالعباد والتعلق بالتمسك بمراداتها والاستناد إلى حضرة الفيض الأقدس وإمداداتها في رواية الترمذي عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من قال حين يمسي رضي الله به رباً إلى آخرها كان حقاً على الله أن يرضيه» وفي بعض رواياته «وجبت له الجنة»، وفي رواية أخرى «من قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات» وفي رواية أبي سعيد «من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وجبت له الجنة» وفي رواية «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً» إلى آخره.

وَذَوْقُ الْإِيمَانِ لَا تَحْصُلُ حَقِيقَتُهُ إِلَّا بِالتَّحْقِيقِ بِمَقَامِ الرِّضَاءِ وَهُوَ مَقَامٌ مِنْ مَقَامَاتِ أَهْلِ الْيَقِينِ الصَّادِقِينَ فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِحُكْمِهِ وَجَلَالِهِ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَاءِ وَالْيَقِينِ وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ» وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ذَرَوْهُ الْإِيمَانَ الصَّبْرَ لِلْحُكْمِ وَالرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ وَمَا أَجْمَعَ وَأَنْفَعَ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ صَاحِبُ الرَّائِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَمَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقُولَهَا مُتَحَقِّقًا بِمَعْنَاهَا فَقَدْ قَالَ فِي النَّصَائِحِ الدِّينِيَّةِ : «وَأَعْلَمُوا مَعَاشِرَ الْإِخْوَانِ أَنَّهُ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا لَزِمَهُ أَنْ يَرْضَى بِتَدْيِيرِهِ وَاخْتِيَارِهِ لَهُ وَبِمُسَرِّقِضَائِهِ ، وَأَنْ يَقْنَعَ بِمَا قَسَمَهُ لَهُ مِنَ الرِّزْقِ ، وَأَنْ يَدُومَ عَلَى طَاعَتِهِ وَيَحَافِظَ عَلَى فَرَائِضِهِ وَيُجْتَنِبَ مُحَارِمَهُ ، وَأَنْ يَكُونَ صَابِرًا عِنْدَ بَلَاءِهِ شَاكِرًا لِنِعْمَائِهِ مُحِبًّا لِقَائِهِ رَاضِيًا بِهِ وَكِيلًا وَوَلِيًّا ، وَكَفِيلًا مُخْلِصًا لَهُ فِي عِبَادَتِهِ وَمُعْتَمِدًا عَلَيْهِ فِي غَيْبِهِ وَشَهَادَتِهِ لَا يَفْزَعُ فِي الْمَهْمَاتِ إِلَّا إِلَيْهِ وَلَا يَعُولُ فِي قَضَاءِ الْحَاجَاتِ إِلَّا عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَمَنْ رَضِيَ بِالْإِسْلَامِ دِينًا عَظَّمَ حُرْمَتَهُ وَشَعَائِرَهُ وَلَمْ يَزَلْ مُجْتَهِدًا فِيمَا يُؤَكِّدُهُ وَيُزِيدُهُ رِسْوًا وَاسْتِقَامَةً مِنَ الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ وَيَكُونُ بِهِ مُعْتَبَرًا وَمِنْ سَلْبِهِ خَائِفًا وَلَأَهْلِهِ مُحْتَرَمًا وَلِمَنْ كَفَرَ بِهِ مُبْغَضًا وَمُعَادِيًا ، وَمَنْ رَضِيَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا كَانَ بِهِ مُقْتَدِيًا وَبِهَدْيِهِ مُهْتَدِيًا وَلِشَرْعِهِ مُتَّبِعًا وَبِسُنَّتِهِ مُتَمَسِّكًا وَلِحَقِّهِ مُعَظَّمًا وَمِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ مُكْتَرًا وَلَأَهْلِ بَيْتِهِ وَأَحْبَابِهِ مُحِبًّا وَعَلَيْهِمْ مَتَرَضِيًا وَمُتَرَحِّمًا وَعَلَى أُمَّتِهِ مُشْفِقًا وَلَهُمْ نَاحِصًا ، فَيَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ أَنْ تَطَالِبَ نَفْسَكَ بِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي مَعْنَى «رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا» وَكَفَى نَفْسَكَ الْإِتِّصَافَ بِهَا وَلَا تَقْنَعْ مِنْهَا بِمُجَرَّدِ الْقَوْلِ فَإِنَّهُ قَلِيلُ الْجِدْوَى وَإِنْ كَانَ لَا يَخْلُو عَنْ مَنْفَعَةٍ وَكَذَلِكَ فَافْعَلْ فِي جَمِيعِ مَا تَقُولُهُ مِنَ الْأَذْكَارِ وَالْأَدْعِيَةِ وَنَحْوِهَا طَالِبَ نَفْسِكَ بِحَقَائِقِهَا وَالْإِتِّصَافَ بِمَعَانِيهَا مِمَّا تَالِ ذَلِكَ أَنْ تَسْكُنَ عِنْدَ قَوْلِكَ سُبْحَانَ اللَّهِ مُمْتَلِيًا

القلب بتزيه الله تعالى وتعظيمه ، وعند قولك الحمد لله تمتلئ القلب بثناء الله تعالى وشكره إلى آخر ما ذكره رضى الله عنه .

الذكر الثانى عشر

(بسم الله والحمد لله والخير والشر بمشيئة الله «ثلاثا»)

بدأ فى هذا الذكر بالبسملة التى هى المبتدأ فى كل حال والمنتهى والغاية لأهل الكمال ثم بالحمد لك التى هى سمة على كمال صفات الجلال والجمال وذلك لأنه تعالى باسمه كان ما كان وما يكون مما هو قابل للحديثان من إيجاد الخلائق وإعدامهم وإمدادهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم وتقلباتهم وكل ما يجرى منهم من خير أو شر نفع أو ضرر إيمان أو كفر هداية أو ضلال ، وكل هذه الأفعال والأحوال قائمه بالله تعالى وباسمه الذى اتسع مجال معناه وبه صح أساس كل موجود ومبناه ، ومرّ فى فضائل البسملة وخصائصاتها فى الذكر الأول ما يكفى ، وفى كتاب نزهة المجالس من حديث طويل عن أبى هريرة رضى الله عنه «يا أبا هريرة إذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك من الحسنات عدد كل خطوة» اهـ . وفيه تلميح إلى أن قائل ذلك عند ركوبه يستحضر عند قوله بسم الله والحمد لله أن اقتدارها على المشى وتسخيرها له كان بالله تعالى ، وعلى ما تأسس من القياسات الشرعية فى الأصول والفروع المرعية يؤخذ من هذا الخبر أن من تمسك بالعقيدة الأشعرية عقيدة أهل السنة المرضية وما جزموا به واعتقدوه من أن أفعال العباد وحركاتهم وتطوراتهم خيرها وشرها

إنما هي من الله تعالى — ثاب^(١) على كل ما اعتقده من ذلك لاسمها وهذا الأثر الموقوف له حكم المرفوع كما أن رابك الدابة يتضمن قوله بسم الله والحمد لله هذه العقيدة ويحصل له بكل خطوة يخطوها حصنة وكذا يقاس عليه في التسمية على القيمة والحمد عليها كما وردت بذلك روايات والله ذو الفضل العظيم ففي قول صاحب الراتب والخير والشر بمشيئة الله أى بقضاء الله وقدره سلامة الدين وتخليص العقائد عما لا يليق بالبارى جل وعلا من تشبيه خلقه به في الإيجاد والإعدام وهو تعالى يقول (أفمن يخلق كمن لا يخلق) ويقول (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) وقد نقل عن القاضي عبد الجبار أحد المعتزلة القائلين أن العبد خالق الخير والشر أنه خاطب الأستاذ أبا إسحق الأسفراينى بقوله سبحانه من نزه عن الفحشاء فأجابه الأستاذ بقوله سبحانه من لا يجزى في ملكه إلا ما يشاء انتهى يعنى أنه إذا كان لغيره قدرة في خلق فعله فهو شريك له في أفعاله فمن اعتقد أنه مؤثر خالق لفعله فذلك عين الضلال والكفر كما نبه على ذلك الشيخ محمد الفضالى المصرى رحمه الله تعالى في العقيدة التى سماها كفاية العوام فيما يجب عليهم في علم الكلام فإنه قال : ووجود العالم دليل على وحدانيته تعالى وعلى أنه لا شريك له في فعل من الأفعال ولا واسطة له في فعل جلّ وعلا وهو الغنى المطلق ومن هذا الدليل يعلم أنه لا تأثير لشيء من النار والسكين والأكل كل في الإحراق والقطع والشبع بل الله تعالى يخلق الإحراق في الشيء الذى مسته النار عند مسها له ويخلق في الشيء الذى باشرته السكين القطع عند مباشرتها له ويخلق الشبع عند الأكل والرسى عند الشرب فمن اعتقد أن النار محرقة بطبعها والماء يروى بطبعه وهكذا فهو كافر بالإجماع ومن اعتقد أنها أى النار محرقة بقوة خلقها الله فيها^(٢) فهو

جاهل فاسق لعدم علمه بحقيقة الوجدانية وهذا هو الدليل الإجمالي الذي يجب على كل شخص معرفته من ذكر وأنثى ومن لم يعرفه فهو كافر عند السنوسي وابن عربي والله يتولى هداك اه قال اللقاني في شرح الجوهرة وقد صنف في الأحاديث الواردة في باب القضاء والقدر كتب أجلها كتاب البيهقي اه .

أفعال العباد

سئل صاحب الراتب نفع الله به عن أفعال العباد فأجاب بقوله : اعلم أن مذهبنا الذي نعتقد وندين الله به أنه لا يكون كائن من خير أو شر ونفع أو ضر إلا بقضاء الله تعالى وقدره وإرادته ومشيبته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وعندنا لذلك من النصوص السمعية الواضحة في الكتاب والسنة والبراهين العقلية المسلّمة عند كل ذي بصيرة ما يحل عن الحصر وكتب أئمتنا في علم أصول الدين طائفة بذلك إلى آخر ما أطال به .

ومما يستحسن إirاده هنا بعض الأحاديث التي فيها الحجة الظاهرة والحجة الداحضة لمن خالف أهل السنة في عقائدهم . ففي الدر المنثور في تفسير قوله تعالى « وجبريل وميكائيل » قال أخرج البزار والطبراني في الأوسط والبيهقي في الأسماء والصفات عن عبد الله بن عمر قال جاء فتام أ « جماعة » من الناس إلى النبي ﷺ فقالوا يارسول الله زعم أبو بكر أن الحسنات من الله والسيئات من العباد . وقال عمر الحسنات والسيئات من الله فتابع هذا قوم وتابع هذا قوم فقال رسول الله ﷺ لأقضي بينهما بقضاء إسرافيل بين جبريل وميكائيل : إن ميكائيل قال بقول أبي بكر وإن جبريل قال بقول عمر فقال جبريل لميكائيل

إنه متى يختلف أهل السماء يختلف أهل الأرض فلنتحاجكم إلى إسماعيل فتجاسروا
إليه فقصي بينهما بأن «القدر خير» وشبهه حلوته ومروته كله من الله تعالى»
ثم قال رسول الله يا أبا بكر إن الله لو أراد أن لا يعصى لم يخلق إبليس فقال
أبو بكر صدق الله ورسوله اهـ وقوله عليه السلام لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق
إبليس فيه إشارة بل تصريح بأن الله يريد الكفر من العبد ولا يحبه ولا يرضاه
وإليه ذهب أهل السنة والآيات القرآنية صريحة في ذلك قال تعالى (إن الله
لا يحب كل كفار أثيم) وقال (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان)
وقال (ولا يرضى لعباده الكفر).

والأحاديث كثيرة في الكلام على القضاء والقدر وأنه من الله تعالى وأنه
يتعلق بالخير والشر وأن أفعال العباد واقعة من الله تعالى بقدرته وإرادته ليس
لهم فيها إلا النكسب الذي تقوم به الحجة عليهم وهم أيضاً مسخرون فيه.

قال ابن حجر في شرح الأربعين عند الكلام على حديث أبي ذر وهو
«يا عبادي كل من ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم» أي أنصب لكم أدلة
ذلك الواضحة أو أوصل من شئت إيصاله في سابق العلم القديم الأزلي، وحكمة
طلبه سبحانه منا سؤاله الهداية إظهار الافتقار والإذعان والإعلام بأنه لو
هداه قبل أن يسأله لربما قال أو تبيته على علم عندي فيضل بذلك فإذا سأل ربه
فقد اعترف على نفسه بالعبودية ولولاه بالربوبية. وهذا مقام شريف
وشهود ضيق اهـ.

ويتفرع على مسألة خلق الأفعال مسائل كثيرة :

[منها] خلق السعادة للسعيد في الأزل والشقاوة للشقي كذلك ولذلك
دلائل عقلية وتقنية من الكتاب والسنة فلا تطيل بنقلها.

[ومنها] خبر الصحيحين أنه ﷺ قال «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» وفيه أنهم قالوا يارسول الله إذا ترك العمل فقال ﷺ «اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

[ومنها] خلق الطاعة في العبد بتوفيقه تعالى وتقريبه وإعائته له وخلق المعصية فيه بخذلانه له وإبعاده ويسمى الأول فضلا ورحمة والثاني عدلا ونقمة وقد وعد الله تعالى المطيع بالثواب وأوعد العاصي بالعقاب فإن يُثَبِّبُ فبمحض الفضل لعدم الوجوب عليه وإن يعذب فبمحض العدل ، وفي شرح جوهر التوحيد : قال ابن الصلاح من محقق المتأخرين إن الكريم إذا أخبرنا بالوعد فاللائق بكرمه أن يبني إيعاده به على المشيئة وإن لم يصرح بها بخلاف الوعد فإن اللائق بكرمه أن يبني إخباره به على الجزم وعدم التعليق فلا يلزم الكذب ولا التبديل فإذا قال الكريم «لا أعذب» زيدا مثلاً فزاده ونيته إن لم أعف عنه أو إن لم أسامحه وهذا القيد مستقر من عادة العرب في إيعاداتها كما قال الشاعر :

وإني إذا أوعدته أو وعدته بخلاف إيعادي ومنجز موعدى
وقد أخبر النبي ﷺ عن ذلك كما أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه أنه قال من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له ومن أوعده على عمل عقاباً فهو بالخيار إن شاء عذبه وإن شاء غفر له اهـ .

[ومنها] تفسير قوله تعالى [ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك] وقوله ﷺ «ليكن ربي وسعديك والخير كله بيديك»

والشر ليس إليك » بان معنى الآية ما أصابك أيها الإنسان من نعمة دينوية أو أخروية وأجلها الإيمان فمن الله أتتك تفضلاً منه وما أصابك من بلية وأمر تكرهه فمن الله أتتك بسبب نفسك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب فهي عقوبة لك كما قال تعالى [وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم] والكل من عند الله كما قال تعالى [قل كل من عند الله] أى الحصب والجذب والنصرة والمزينة كلها من عند الله ، وأما الحديث فعناؤه كما قال النووي أن الشر لا ينسب إليه قولاً من العباد تأديباً مع ربهم فلا يقال ياخالق الشر كما لا يقال ياخالق الكلب والحزير وإن كان خالقهما .

المعجزات والكرامات من فعله تعالى

واعلم أن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء من فعل الله تعالى ويأذن الله بحريها على أيديهم لنفع العباد من تقوية مريد في إيمانه وبقينه وهي شهادة بكمال اتباع الولي للنبى ، قال ابن علان فى التوقيف الكرامة اسم للإكرام وهو إيصال الشيء الكريم أى النفيس إلى المكرم ، والكرامة أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح استدراج وما قرن بدعوى النبوة معجزة اه فاقتران الكرامة بالاستقامة شرط فهي للولى كالمعجزة للنبى ، والأولياء هم العارفون بالله تعالى حسبما ما يمكن المواظبون على الطاعات المحتجبون للنعاى المعرضون عن الانهماك فى اللذات والشهوات فينشئ الكرامات جائزة لهم اه .

وإذ علمت أن ما يجرى على أيدي الأولياء من الكرامات ليس لهم فعل فيه ولا تصرف ولا قدرة لهم عليه وإنما هو فعل الله تعالى ويأذنه وبفضائه وقدره .

كسائر الأمور التي يخلقها الله . فاعلم أنهم موقنون بأن جميع أحوالهم وإراداتهم وتوجهاتهم فائضة من بحر التقدير الإلهي ومن عين الكرم والجود والفضل الرباني مسترشدين في ذلك بإشارة قوله تعالى لنبيه ﷺ (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) . (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) ونحو ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى . وما هم في الخوارق التي يجريها الله على أيديهم إلا مظاهر قدرته ودلائل عزته . كيف ومن تأمل كتاب الله وسنة رسوله رأى شديد غيرة الله على من نسب لغيره ضرا أو نفعا أو حياة أو موتا أو غير ذلك من الأمور السماوية وغيرها مما لم يجعل تدبيرها إلى الخلق .

وبالجملة أولياء الله مظاهر علمه وقدرته وإرادته فيما يصدر عنهم ظاهراً مع أنهم معزولون عن ذلك عبودة وعبودية فمن يعتقد فيهم التأثير كمن يعتقد التأثير للأرواح والكواكب والنفوس والعقول المعبر عنها باللائكة . ولا شك أنه غير مؤمن وجاهل بأن هذه الكائنات معزولة في نفس الأمر عن ذلك وإنما هي جداول الإرادة والقوة والتصرف الإلهي فقط . وفي الحديث في أثر سماء : أصبح من عبادي مؤمن وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب .

اعتقادات العامة في الأولياء

وقد فشت في العامة اعتقادات فاسدة في أولياء الله فإن مرضوا قالوا هذا صدر من فلان وإن شفوا قالوا من بركة سيدي فلان فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم حلفوا بهم من دون الله ونذروا لهم من دون الله واستسقوا بهم من

دون الله فإن أجرى الله سبحانه الوادى قالوا شئ الله يافلان وإن قبض عنهم المطر قالوا حمقة فلان ، والله سبحانه القابض الباسط المحيى المميت وكل شئ بيده من سلك وملاكو ت . ولو ذهبنا تتكلم بما فى الكتاب والسنة من التحذير من ذلك لعرف الناس أنهم قد هلكوا وأكثر هؤلاء بل كلهم أتباع الدجال نعوذ بالله من الضلال .

ويقع من هؤلاء فى زيارة قبور الأولياء وغيرهم كثير من هذه الجهالات .
والمآثم المنكرة هذا ما قاله العلامة الشيخ عبد الخالق الزجاجى الزبيدى ونقله عنه الشيخ أحمد الحفظى فى شرح قصيدته ولا شك أن أهل الجراة من هؤلاء الذين لا يزالون جزيمة الكفر يخرجون بذلك عن الإسلام وأما أكثر العامة الذين لم يبلغوا هذه الدرجة فهم آثمون ولكنهم لا يخرجون بذلك عن الإسلام .

قال العلامة عبد الله بن خليل الزبيدى فى كتابه تحذير المهتدين عن تكفير الموحدين : واعتقاد العوام — أن الرزق والخير والشر من الله والنفع والضرب بيد الله ومن ادعى أن اعتقادهم خلاف ذلك فمليه البيان لأن إيمانهم متيقن واليقين لا يزول بالظن فضلا عن الشك والوهم فلا يجوز إساءة الظن بمسلم ويكفى فى حملهم على السلامة كونهم موحدين فإن الإيمان نور يقذفه الله فى قلب من يريد أن يهديه اه .

وفى جواب للسيد عبد الرحمن مفتى اليمن ولا يصح الحكم على جميع العوام أنهم يعتقدون أن لغير الله دخلا فى نفع أو ضرر وإنما إذا علم من أحد معين ذلك أرشده العالم بذلك إلى الصواب وذلك لأن الأصل حملهم على السلامة لأن إيمانهم متيقن اه .

وأما ما ذكره من أفعالهم القبيحة فالواجب على من قدير على النهي أن ينههم عنها ويحثهم في دفعها وإزالتها ، والزائر والمزور ينتفعان بالزيارة وفي الجمع أولى إذا كانت الزيارة غير مصحوبة بشيء من المنكرات والله أعلم .

زيارة الأولياء وأثرها في النفوس

اعلم أن في زيارة الأحياء من الأولياء والصالحين فوائد جلية منها طلب بركة دعائهم وبركة النظر إليهم ، والنظر في وجوه العلماء والصلحاء عبادة . وتحقيق الرغبة في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم . والاستفادة بعلومهم وإشاراتهم . كيف وهم إخوان في الله وفضل زيارة الإخوان في الله مشهور لا ينكر .

وأما زيارة قبورهم فمستحبة للدليل العام الدال على استحباب زيارة القبور ولكون قبورهم مشوى أرواح طاهرة وأجسام طاهرة زاكية ومهبط رحمت وبركات . وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته كما أفاده الإمام الغزالي في كتاب السفر من الأحياء .

وقد ذكر بعد ذلك أنه يجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع منه حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى » لأن ذلك في المساجد لإفادة أنها متماثلة بعد هذه المساجد الثلاثة فلا تشد إليها الرحال وإنما تشد الرحال لما له خصوصية منها وهو هذه الثلاثة لا غير .

وفي قواعد الصوفية للشيخ أحمد زروق : وكان شيخنا يقول إذا كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم فما ظنك بمواطن اجتماعهم على ربهم ويوم قدومهم

عليه بالخروج من الدنيا . فزيارتهم تهنئة لهم وتعرض لما يتجدد من نفحات الرحمة عليهم فهي إذاً مستحبة اذا سامت من محرم ومكروه كاجتماع النساء وتلك المنكرات التي تحدث هناك . وبمراعاة آداب الزيارة من ترك التمسح بالقبور وعدم الصلاة عند القبر للتبرك وان كان عليه مسجد للنهي عن ذلك وتشديده فيه ، ومراعاة حرمة الولي ميتاً كما تراعى في حياته اه بتصرف .

وخرج بقوله للتبرك بالصلاة ما كان لغير التبرك بل لأداء تحية المسجد أو فريضة أو نافلة .

. . .

وعن الفخر الرازي في المطالب في بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى : أن الإنسان اذا ذهب الى قبر إنسان قوى النفس كامل الجوهر ووقف هناك ساعة وحصل تأثر في نفسه من تلك التربة . تعلق بها ولا يخفى أن لنفس ذلك الميت تعلقاً بها أيضاً فحينئذ يحصل لنفس الزائر الحى ولنفس الميت المزور ملاقة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصار هاتان النفسان شبهتين بمرأتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى فكل ما حصل في نفس الزائر الحى من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله تعالى والرضا بقضائه ينعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحى ، وهذه الطريقة تصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح هذا الزائر ولروح المزور ، فهذا هو السبب والأصل في مشروعية الزيارة ولا يبعد أن يحصل منها أسرار أخرى أدق وأخفى وتام الحقائق ليس إلا عند الله تعالى اه .

ونقل الحفظى عن الدهلوى في شرح المشكاة ما خلاصته أن النقل في فضل

زيارة قبور الأولياء والصالحين كثير عن الصوفية ولم يعرف في السنة ما ينافيه كيف وقد ثبت في الشريعة أن الروح باقية بعد الموت ولها شعور بالزائرين، وأرواح الكمل قريبة من جناب الحق تعالى كما كانت في الدنيا أو أتم اهـ .

التوسل بالأَنْبياء والأَوْلِياء

(سئل) العلامة عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار المكي عن التوسل بالأَنْبياء والأَوْلِياء والغماء والصالحين هل هو مستحب؟ وهل هناك فرق بين كونهم أحياء أو أمواتاً؟ وهل يجوز إسناد الفعل اليهم من غير اعتقاد تأثيرهم نفعاً وضراً ونحو ذلك؟ (فأجاب) بالجواز في جواب جامع شاف مستدلاً بما جاء في الحديث القدسي «ما زال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل إلى آخره ثم قال بعده ولأن الله تعالى اجتباهم وارتضاهم واصطفاهم واختصهم بكالات ومعارف ومزايا لم يجعلها لغيرهم فمن قال اللهم إني أتوسل إليك برسلك وأنبيائك وأوليائك ونحو ذلك فإنما يريد باجتبائك وارتضائك واصطفائك واختصاصك إياهم بالرسالة والنبوة والولاية ونحو ذلك وهذه صفات أفعال الله تعالى فالتوسل بهم في الحقيقة توسل بهذه الصفات والتوسل بها ليس توسلاً بغير الله تعالى من مخلوقاته وحينئذ فلا فرق بين النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والأَوْلِياء ولا بين كونهم أحياء أو أمواتاً على أن الشهداء أحياء بالنص فالأنبياء أولى اهـ ملخصاً .

قال ابن علان في حاشية الأذكار عند الكلام على حديث «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك» أي بالحق الذي جعلته لهم عليك من محض فضلك بوعذك الذي لا يخلف . وفيه جواز التوسل بحق أرباب الخير على سبيل العموم من السائلين ومثلهم بالأولى الأنبياء والمرسلون . أما السؤال بحق معين

فمنعه ابن عبد السلام إلا بحقه ﷺ لمزيد كرامته دون غيره . وأجازه آخرون حتى بالأولياء والعارفين .

عقيدة آل باعلوى سنية سنية

وقد طال الكلام في هذا الذكر لأن بعضه مما يازم بيانه لما في مسألة خلق الأفعال من الاشكال وكثرة الفروع وما ذكرناه هو العقيدة السنية الأشعرية التي هي عقيدة صاحب الراتب وعقيدة سلفه من أهل البيت النبوي رضى الله عنهم وهي كما قال العقيدة التي عليها الصحابة وخيار التابعين وهي بحمد الله عقيدتنا وعقيدة إخواننا السادة الحسينيين آل باعلوى وكان جدّهم الإمام أحمد ابن عيسى بن محمد بن علي بن الإمام جعفر الصادق لما رأى ظهور البدع وكثرة الأهواء بالعراق هاجر منها إلى حضرموت فبارك الله في عقبه حتى اشتهر منهم الجُم الغفير بالعلم والعبادة والولاية والمعرفة ولم يعرض لهم ما عرض الجماعات من أهل البيت النبوي من انتحال البدع - بركات هذا الإمام وفراره بدينه من مواضع الفتن اه - وحفظهم الله وحفظ بهم تهاذهب إليه أصحاب الاعتزال والجيز ومما نسبته بعضهم إلى أئمة الصحابة رضى الله عنهم من الهنات فقد قال الإمام القطب أبو بكر بن عبد الله العيدروس باعلوى كما نقله عنه تلميذه الإمام محرق «في مواهب القديوس في مناقب العيدروس» ما معناه والله لو بعث الله إلى والدي عبد الله بن أبي بكر وقال بخلاف ما عليه أهل السنة من ترتيب فضيلة الخلفاء الأربعة ما تبعته عليه اه .

الذكر الثالث عشر

(آمنا بالله واليوم الآخر . مُبْتَدِئاً إِلَى اللَّهِ بَاطِناً وَظَاهِراً « ثلاثاً »)

ثم إن صاحب الراتب - نفع الله به - لما قرر الجملة الأولى التي ابتدأها بالبسملة المشيرة إلى قيام الموجودات وذراتها كلها به تعالى ثم بالجملة المشيرة إلى أن له الكمال المطلق ولا نقص فيما دبره وقدره ومن جملته أن الخير والشر كان بقضائه وقدره - أتى بما هو أعم في هذا الذكر وهو .

« آمنا بالله واليوم الآخر مُبْتَدِئاً إِلَى اللَّهِ بَاطِناً وَظَاهِراً »

فالإيمان هو التصديق بالقلب قال تعالى (وما أنت بمؤمن لنا) أى مصدق لنا والإيمان بالله التصديق بجميع عقائد الإيمان مما يجمع الواجب والمستحيل والجائز في حقه تعالى وحق رسله تفصيلاً فيما يجب علمه تفصيلاً وإجمالاً فيما يكفي فيه العلم الإجمالي فإن صفاته وأسماءه تعالى لا يحاط بها ولا تنتهى كما يشير إلى ذلك حديث « اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك » إلى أن قال « أو استأثرت به في علم الغيب عندك » وأسماءه وصفاته كذاته العلية لا يدرك كنهها . وإذا تعذرت الإحاطة بمعلوماته بنص قوله (ولا يحيطون بشئ من علمه) فكيف يحاط بذاته وصفاته ، فقوله (آمنا بالله) أراد به التذكر والتذكير والإتصاف بمعاني الإيمان وخصائصه لا مجرد الإخبار بالجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى (واليوم الآخر) أى وآمنا باليوم الآخر وهو من بعد الموت إلى آخر ما يقع يوم القيامة من دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيدخل فيه الإيمان بحياة البرزخ وما فيه من النعيم والعذاب والبعث والحساب والميزان والصراط والجوهر والجنة والنار .

وللايمان مراتب ودرجات وأعلاها إيمان الأنبياء والملائكة ويأتيهم كل الصديقين من الصحابة وغيرهم : ولكل درجات مما عملوا ، قد علم كل أناس مشربهم .

ولما كان الإيمان بالله واليوم الآخر يستلزم دوام تعظيمه تعالى وشهود جلاله وعلوه كماله وتعظيم ما عظمه الله من ملائكته وأنبيائه وكتبه وتلقى مراداته تعالى بالصبر والرضا وذلك من الصعوبة بمكان والوفاء به بعيد الإمكان كان التقصير لزاماً للإنسان فاقتضى اللجوء إلى الله تعالى بالتوبة ولذا عقبه بقوله : (تنبأ إلى الله باطنا وظاهراً) .

وكانه يلج إلى أمر الخاتمة إذ حقيقة السعادة والشقاوة مبنية على سابق العلم بها فهي أولى بالخوف منها والمراعاة لها ولهذا عظم خوف الأكابر مما هو مذكور عنهم في مظانه .

ولما ذكر رضى الله عنه في نصائحه معنى التقوى في قوله تعالى (واتقوا الله حق تقاته) قال ولن يستطيع العبد العامل لله ولو كان له ألف ألف نفس إلى نفسه وألف ألف عمر إلى عمره أن يتقى الله حق تقاته ولو أوفق جميع ذلك في طاعة الله تعالى ومحابته وذلك لعظم حق الله تعالى على عباده وجلال عظمة الله وعلو كبريائه وارتفاع مجده ، وقد قال أفضل القائلين بحق الله تعالى وأكملهم حمداً صلى الله عليه وسلم اعترافاً بالعجز عن القيام بإحصاء الشناء على الله تعالى « أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ، وقد بلغنا أن لله سبحانه ملائكة لم يزالوا منذ خلقهم في ركوع وسجود وتسبيح وتقديس لا يفترون عنه ولا يشغلون بغيره فإذا كان يوم القيامة يقولون سبحانهك ولك الحمد ما عرفناك حق معرفتك ولا

عبدناك حق عبادتك . اهـ فينبغي ان يزعم كل مؤمن بالله ورسوله ﷺ تجديد التوبة وتحقيق معناها والقيام بشروطها في كل وقت وحال لأن الله تعالى على العبد في كل نفس من أنفاسه نعمةً عليه لا يقدر قدرها ولا يقوم بشكرها . ومن أعظمها نعمة الإسلام والإيمان فهي أعظم نعمة وأجل نعمة كما قال رضى الله عنه نحن في رَوْح وراحة وجور واستراحة ، نعمة الإسلام أكبر نعمة حلت بساحة ، وقال الآخر سبحانه من لو غنينا بالسجود لله على العيون أو الخصى من الإبر لم يبلغ العشر من معشار نعمته ولا عشراً من العشر ، وقال القطب الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي رضى الله عنه وشاكرها يحتاج شكراً لشكرها كذلك شكراً لشكر يحتاج لشكر وهكذا ..

والحاصل أن التوبة تسمى باب الأبواب لأنه لا يوصل إلى حقيقة مقامات اليقين إلا من بابها وهي سبب وواسطة في تخلص النفس من رعوناتها وفي ارتفاع حجابها ، وتحقيقها هي الرجوع من حال التقص والفشور إلى طلب الكمال بالعمل الخالص البرور ، ومن طريق اليعمد إلى طريق القرب ، ومن حال الموت بالغفلة والجهل والإعراض والإدبار إلى حال الحياة الطيبة واليقظة للعمل الصالح بالعلم على الدوام والاستمرار ، وإتمام بيعت عليها العلم والإيمان واليقين ولذا قرنها صاحب الراتب في هذا الأمر بالإيمان إشعاراً بأن الإيمان باعث عليها وكذا اليقين الذي هو أعلى ، ومن لازم الثلاثة العلم فإنه لا يتم ولا يصح عمل ولا مقام إلا به ، قال الإمام أحمد بن زين الحبشى باعلوى في شرح العينية : التوبة أول خطوة للسالكين طريق الله وسبيل معرفته تعالى في ذاته وصفاته العلى وأسماؤه الحسنى ونعوته العظمى ، وإليه أشار الناظم بالحصى الأمتع . فالتوبة أول أسباب محبة الله ومعرفته جماله وجلاله ولا يسلك طريقه وسبيل رضاه إلا

أهل محبته فإنه يحب التوابين وما كل حوض مورود ولهذا قال الناظم .
بالجلى الأمتع انتهى .

وأما دلائل الترغيب في التوبة والحث على الاعتناء بها من كل مؤمن من
الآيات والأخبار والآثار . فبحر لا يدرك غوره ولا يحاط به وقد أشبع القول
فيها الإمام العزالي في كتاب التوبة من الإحياء ، وهنا نورد بعضاً منه تبركا
قال الله تعالى (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) —
(يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) أى خالصة صادقة غير مشوبة
بما يكدرها من المخالقات ولا بما يشوشها من الانهماك في الشهوات والشهوات
وقال تعالى (إن الله يحب التوابين) أى كثيرى التوبة التى هى الرجوع إلى
الله والإقبال على طاعته (ويحب المتطهرين) أى عن رذائل الأخلاق ، وقيل
إعما شقى إبليس بخمس خصال لأنه لم يقر بذنبه ولم يندم عليه ولم يلم نفسه ولم
يبادر إلى التوبة وقنط من رحمة الله تعالى ، أما آدم عليه السلام فأسره بخمس .
أقر بذنبه وندم عليه ولام نفسه وبادر إلى التوبة ولم يقنط من رحمة الله اه .
وأقاولهم في التوبة لا تنحصر ونفعها في الدنيا والآخرة ثابت بالكتاب والسنة
وقد مر أن أقسام التوجه إلى الله تعالى ثلاثة أولها التوبة وأوسطها الإنابة
وآخرها الأوبة .

وأما قول صاحب الراتب باطنا وظاهراً — فمعناه توبة يظهر أثرها فيهما .
ففى الباطن بأن يعتقد أنه ناقص المعرفة قاصر فى العلم والعمل وفى كل ما يركبها
كالاخلاص والإجلال لله تعالى وذلك تنفى الرياء والعجب وغير ذلك فقد قال تعالى (يعلم
ما تسرون وما تعلنون) وفى الحديث « من أسس سريرة ألبسه الله رداءها » وفى حديث
آخر « ولو أن عبداً اتقى الله فى جوف بيت إلى سبعين بيتاً على كل بيت باب من

حديد إلا ألبسه الله رداء عمله » وقال ما أضمر عبد خوفاً لله تعالى في قلبه إلا ظهر ذلك على صفحات لسانه ، وكان على زين العابدين رضى الله عنه يقول : إذا نصح العبد لله في سره أطلعه الله تعالى على مساوئ عمله فيتشغل بذنوبه عن معائب الناس ، وكان ميمون بن مهران رضى الله عنه يقول : إن علانية بغير سريرة صالحة ككثيف مزخرف من خارجه ، وكان يحيى بن معاذ يقول القلوب كالقدور ومعارفها ألسنتها ، ومن دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سرى خيراً من علانى .

وأما في الظاهر فبأن يظهر عليه آثار التوبة من الخضوع والإخبات والخشوع والوقار والسكينة وغير ذلك من الاخلاق التي هي من شأن التائبين الراجعين القانتين كما مر عن شرح العينية أن التوبة النصوح الخالصة الصادقة تقتضى أكثر مقامات اليقين الناشئة عن حسن المجاهدة وعلو الهمة في الإقبال على الطاعة والإعراض عما سوى الله وذلك علامة التوبة النصوح نسأل الله تعالى أن يتوب علينا توبة نصوحاً .

(تنبيه) درج قراء الراتب على الوقف على كلمة « ظاهر » بالسكون لمناسبة السجع وهو شائع في مثله في لغة ربيعة :

الذكر الى ابع عشر

(يا ربنا واعف عنا وامح الذى كان منا « ثلاثا »)

ولما أتى بهذه الصيغة المارة التي المقصود منها انشاء التوبة بلفظ الإخبار أكد ذلك بهذا الذكر ففيه أيضاً طلب التوبة لأن العفو منه تعالى التجاوز عن السيئات ومحوها وهو أبلغ من الغفران لأن الغفر ينبىء عن الستر

مع بقاء الشيء والعفو ينبيء عن المحو والإزالة للشيء ولذا عقيب طلب العفو بطلب المحو الذي هو من لازمه ، قال الامام أبو القاسم القشيري قدس سره في شرح اسماء الله الحسنى: من عرف أنه تعالى عفوٌ طلب عفوهُ ومن طلب عفوهُ تجاوز هو عن خلقه فان الله تعالى بذلك أدبهم وإليه نديهم فقال عزّ من قائل (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم) وان الكريم إذا عفا حفظ قلب المستي عن الإستيحاءش بتدكيره سوء فعله بل يزيل عنه تلك الخجلة بما يسبل عليه من ثوب العفو ويفيض عليه من نور الصفح ، وعفو الله تعالى عن العباد ليس مما يستقضى بالعبارات كنهه معانيه ، واعلم أن انبياء الله المعصومين وأولياءه المحفوظين لا يزالون يطلبون العفو عن الذنوب والمحو لها لشهودهم النقص في أحوالهم والتقصير في علومهم وأعمالهم كما مرّ في الكلام على قوله ﷺ «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وإلى ذلك يشير صاحب الراتب نفع الله به من حيث رؤية النقص في العلم والعمل مع ما أعطى من مقام الصديقية التي لا درجة فوقها إلا درجة النبوة وذلك عند ذكره المكشفات بالأسرار الغيبية ، والمواالم المكوتية في قوله .

ورأيت سرّاً لم يُحزّه إفشاءه أهل الهدى والنور والتبئيت
إنّا لنعلمه ولما نحظ به ذوقاً لما معنا من التبئيت
والشوق منا لا يزال منازعاً والأمر بالتقدير والتوقيت

وقد قيل للوارث في ذلك حكم الموروث وذلك في جميع مقامات اليقين ودرجات الايمان والإحسان ، وما ينقل من ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وعمن بعدهم من التابعين من شهود النقص مع المبالغة في تأدية الأعمال بالكمال مشهور عنهم لأنهم كانوا متسربلين بغاية الخوف والهيبة لجلال الله تعالى فقد قيل إن الصديق رضى الله عنه كان إذا تنفس يشم منه رائحة البكبد

المشوى ، ويدكر عن عمر رضى الله عنه أنه قال ياليتنى كنت كبشاً سمته أهله وذبحوه ، ويثقل عن زين العابدين رضى الله عنه أنه كان إذا قدم إليه ليتوضأ يصبر لونه وإذا قام إلى الصلاة يرتعد كالسمكة إذا حركها الريح فقيل له فى ذلك فقال أتدرون بين يدي من أقوم ؟ ولما حج قيل له لم لم تلبأ ، قال أخاف أن يقال لى لا ليك ولا سعديك ، وفى الحديث «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وخرجتم إلى الصُّعَدَاتِ تجأرون إلى الله » ولما سألت عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (والذين يؤتون ما آتواوا قلوبهم وحيلة) أ هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال لا ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون فى الخيرات .

حينئذ طلب العفو ومحو الذنوب من المهم الذى يتوجه طلبه على كل أحد وقد أرشد عليه الصلاة والسلام إلى الدعاء فى ليلة القدر بقوله «اللهم انك عفو تحب العفو فأعف عني » وقال ﷺ «سأوا الله العفو والعافية فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية» ولعمه العباس رضى الله عنه سل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

تذنية

الواو فى «واعف» ثابتة عند جميع من يحفظ الراء وقد روى إثباتها بحضور صاحبه رضى الله عنه كما أفاد ذلك العارف بالله عبد الرحمن بن عبد الله بلفظه بأعلى .

الذكر الخامس عشر

(يا ذا الجلال والإكرام أمتنا على دين الإسلام « سبعة »)

ولما كانت موارد هذا الراتب فائضة من لجة بحر التوحيد ومعارفه التي يستتر بها أرباب التجريد ويستأنس بمشربها أصحاب التفريد ويستغرق بمطلبها كل بر سعيد وكان الأكارب الأجلة شأنهم الاهتمام بأمر الخاتمة — حسن هنا أن يسأل الله تعالى حفظ الإيمان والموت على دين الإسلام فقال « يا ذا الجلال والإكرام أمتنا على دين الإسلام » دعا الله تعالى بالإسمين الجليلين (ذى الجلال) أى من شأنه القهر والعدل (وذى الإكرام) أى الذى من تجلياته الفضل والنعم ليجمع الذكاء بين الخوف والرجاء ويتم الخضوع والافتقار عند انضرع والاتحاء ، قال المناوى : الجلال احتجاب الحق عنا بعزته والجمال تجليته برحمته وذو الجلال لا يستعمل في غيره بخلاف الجليل فهو العظيم القدر والجلال من الصفات التي تتعلق بالغير ، وأما دين الإسلام فهو الدين الحنيفى الذى لا يقبل الله غيره فمن أتى به ربه فاز الفوز العظيم ومن أتاه بغيره فمأواه جهنم ومصلاه الجحيم . وسمى ديننا لأن الله تعالى يدان أى يعامل به ، ويسمى أيضاً شريعة مأخوذة من مشرعة الماء وهى محل ذهابه لأنه يذهب العامل على طريقها المستقيم فيوصله إلى الجنة ، وتسمى الشريعة أيضاً بالملة لأنها تملئ وتتلئ قال تعالى (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين) وسماى قريبا من كلام صاحب الراتب فيما يرشد طالب السلامة وحفظ الإيمان والراغب فيما يقويه ويشد مبانيه ويوطد أركان معانيه جملة صالحة ، وقد قدمنا أن من شأن العارفين الخوف مما يعرض للإنسان مما يحبط أعماله ويسلب إيمانه والعياذ بالله تعالى فقد روى

أنه ﷺ كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا له رجلاوا كثيرا الشاء عليه
 فيينا هم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء قد
 علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يارسول الله هذا الرجل هو
 الذي وصفناه فقال رسول الله ﷺ أرى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء
 الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي ﷺ نشدتك الله هل حدثت
 نفسك حين أشرفت أنهم ليس فيهم خير منك قال اللهم نعم . فقال رسول الله
 ﷺ في دعائه اللهم إني أستغفرك لما علمت وما لم أعلم فقيل له : أتخاف
 يارسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها
 كيف شاء وقد قال تعالى (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) قيل
 عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات . وقال السري
 الشقطي لو أن إنسانا دخل بستانا فيه جميع الأشجار وعليها جميع الأطياف
 فحاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا بني الله فسكنت نفسه إلى ذلك
 كان أسيراً في يديهم فلماذا كان العارفون يخافون من نقص الأعمال
 ويخافون سوء الخاتمة فكان الصحابة رضي الله عنهم يخافون النفاق قال ابن
 أبي مليكة أدركت مائة وثلاثين أو مائة وخمسين من أصحاب رسول الله
 ﷺ كلهم يخافون النفاق ، ثم إذا علمت أن الجلال هو القهر ، والإكرام
 هو الشرف فهو تعالى الذي لا شرف ولا كمال إلا وهو له ولا كرامة ولا تكزومة
 إلا وحققتها له ومنه فهو المستحق للتواضع والتذلل لجناحه ولا يشكر غيره ،
 قال ابن علان في شرح الرياض : الجلال هو النعوت القهرية كالانتقام والقهر
 والجبر من المنتقم القهار العزيز الجبار والإكرام هو النعوت الجمالية
 كالكريم الستار الرؤف الرحيم انتهى ؛ وعن أنس رضي الله عنه قال قال
 رسول الله ﷺ أَلْظُظُوا بِيَاذَا الْجَلال والإكرام وَالْظُظُوا بِلُتَحِ الْهَمزة

وكسر اللام وتشديد الظاء معناه الزموا هذا الذكر وأكثروا منه ، هكذا ضبطه الإمام النووي رضى الله عنه ، وقد قال كثير من العلماء إنه اسم الله الأعظم واستبدلوا بما روى أنه ﷺ سمع رجلا يقول ياذا الجلال والإكرام قال قد استجيب لك ، وقال الإمام البغوى فى تفسير قوله تعالى (قال الذى عنده علم من الكتاب) وهو آصف بن برخيا عن مقاتل ومجاهد أنه قال ياذا الجلال والإكرام اه . ولهذا توسل به صاحب الراتب فى أن ينيله الغرض الأقصى الذى هو سبب السعادات الأبدية والكرامات الإلهية فقال أمتنا على دين الإسلام أى دين الحق الذى ارتضاه لخاصة عباده ، وزاد فى تكريرها سبعا اهتماماً بشأن الحتم على الإسلام ولكون السبع فى الآحاد من أعداد الكثرة كالسبعين فى الأعشار ، وقد ورد النص على السبع فى كثير من الأذكار ولاختصاص كثير من الموجودات بعددها كالسموات السبع والأرضين السبع وغير ذلك اه .

تذنية

روى عن صاحب الراتب لفظ « أمتنا » بإثبات الهمزة فعل أمر من أمت وحرفته بعض القراء فقالوا متنا بكسر الميم بدل أمتنا وعلله بعضهم بأنه لتخفيف الثقل مع إدراج كلمات هذا الراتب ومراعاة تعادل الوزن بين السجعات لاسيما مع قراءته بالجمع .

ثم اعلم أن صاحب الراتب رضى الله عنه لكونه من الأئمة العارفين بجلال الله وعظمته وكبريائه وأنه تعالى الفعال لما يريد ويده الخير والشر والسعادة والشقاوة وأن القدر سر من أسرار الله تعالى ضربت دونه أستار اختص

الله بها وحجبها عن عقول خلقه حتى الأنبياء والملائكة والأولياء ولا ينكشف ذلك إلا بعد الموت على الإسلام — قد اهتم بسؤال الموت على الإسلام إذا العارفون أكثر الناس خوفاً من سوء الحاتمة من غيرهم . وأكثرهم سؤالاً لحسنها كما بين ذلك في نصائحهم فقال : اعلم أنه كلما كان الإيمان أقوى والعمل أصح كان الخوف أكثر ، وكلما كان الإيمان أضعف والعمل أسوأ كان الخوف أقل والأمن والاغترار أغلب فاعتبر ذلك في نفسك وغيرك تجد به بئناً ، وعلى الجملة فإن المؤمن الصادق هو الذي يعمل بالصالحات ويخلص فيها ويرجو القبول والثواب عليها من فضل الله تعالى ويحجب السيئات ويبعد عنها ويخاف أن يبتلى بها ويخشى العقاب على ما عمله منها ويرجو المغفرة من الله تعالى بعد التوبة والإنابة إلى الله تعالى فمن كان من المؤمنين على غير هذه الأوصاف فهو من الحكّطين وأمره في غاية الخطر فافهم هذه الجملة وطالب نفسك بها تتج وتقر إن شاء الله تعالى إلى آخر ما ذكره ، وقال قبل ذلك في مبحث ذكر الإسلام : وليس يقدر الإنسان على أن يميت نفسه على الإسلام ولكن قد جعل الله له سبيلاً إلى ذلك إذا أخذ به كان قد أتى بالذي هو عليه وامتلأ بما أمره به وهو أن يختار الموت على الإسلام ويحبه ويتمناه ويعزم عليه ويكره الموت على غيره من الأديان ولا يزال داعياً ومتضرعاً وسائلاً من الله أن يتوفاه مسلماً وبذلك وصف الله أنبياءه والصالحين من عباده فقال مخبراً عن يوسف عليه السلام (أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفى مسلماً وألحقني بالصالحين) . وعلى الإنسان الاجتهاد في حفظ إسلامه وتقويته بفعل ما أمر به من طاعة الله تعالى فإن المضيح لأوامره تعالى متعرض للموت على غير الإسلام فإن تركه لذلك دليل على استهائه بحق الدين وعلى الاستخفاف به فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر .

وعليه أيضاً أن يجانب المعاصي والآثام فإنها تضعف الإسلام وتوهنه وتزلزل قواعده وتعرضه للسلب عند الموت كما وقع ذلك والعياذ بالله الكثير من الملبسين لها والمبشرين عليها، وفي قوله تعالى (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) ما يدل على ذلك فتأمله وخذ نفسك بامثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه وإن وقعت في شيء منها فتنب إلى الله منه واحذر كل الحذر من الإصرار عليه ولا تزل سائلاً من الله تعالى حسن الخاتمة فقد بلغنا أن الشيطان لعنه الله يقول قصم ظهري الذي يسأل الله حسن الخاتمة .

وأكثر من الحمد والشكر على نعمة الإسلام فإنها أعظم النعم وأكبرها فإن الله تعالى لو أعطى الدنيا بخدا فيرها عبداً ومنعه الإسلام لكان ذلك وبالاً عليه ولو أعطاه الإسلام ومنعه الدنيا لم يضره ذلك لأن الأول يموت فيصير إلى النار وهذا الثاني يموت فيصير إلى الجنة، وعليك أن لا تزال خائفاً وجلالاً من سوء الخاتمة فإن الله مقلب القلوب يهدي من يشاء ويضل من يشاء وقد كان السلف الصالح في غاية الحذر من خاتمة السوء مع صلاح أعمالهم وقلة ذنوبهم . واعلم أنه كثيراً ما يحتم بخاتمة السوء للذين يتهاونون بالصلاة المفروضة والزكاة الواجبة والذين يتتبعون عورات المسلمين والذين ينقصون المكيال والميزان والذين يخدعون المسلمين ويغشونهم ويلبسون عليهم في أمور الدين والدنيا والذين يكذبون أولياء الله وينكرون عليهم بغير حق والذين يدعون أحوال الأولياء ومقاماتهم من غير صدق وأشياء ذلك من الأمور الشنيعة، ومن أخوف ما يخاف منه على صاحبه سوء الخاتمة — البدعة في الدين وكذلك استمرار الشك في الله ورسوله واليوم الآخر فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر

ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم، اللهم يا أرحم الراحمين نسألك بنور وجهك الكريم أن تتوفانا مسلمين وأن تلحقنا بالصالحين في عافية يا رب العالمين .

واعلم أن العلماء نصوا على أن كل ما ورد فيه من الأخبار دخول الجنة أو النجاة من النار أو الموت على الإسلام أو الجواز على الضراط أو شفاعة النبي ﷺ أو مراقبته أو الورود على حوضه عليه ﷺ فكل ذلك من أسباب حسن الخاتمة وكذا الشهادة الأخروية والاستظلال بظل العرش يوم القيامة — وتفريج كربته من كرباته وكل ما تضمن كرامة أخروية.

قال الإمام أحمد بن حنبل بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وكذا ما ضاهى ذلك من المبررات بحسن الخاتمة ان وفق للعمل بموجبه كما نص عليه النووي وغيره من الأئمة إذ الكرامة ثمة إنما ينالها من مات على الإسلام دون غيره اهـ .

وذكر من أسباب ذلك هو وغيره الملازمة بعد كل صلاة لقراءة الفاتحة.
وآلم . إلى المفلحون ، وإياهم إلى واحد . الآية ، وآية الكرسي ، وآمن الرسول
إلى آخر السورة ، وشهد الله . إلى العزيز الحكيم . ويقول بعده وأنا أشهد
بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله ودية ، وإن الدين عند
الله الإسلام ، وقل اللهم مالك الملك إلى غير حساب ، والإخلاص عشرًا ، والمعوذتين
مرة مرة ، وذكر العارف بالله تعالى السيد عبد الله ميرغني أن هذه الأذكار من
الأسباب الجامعة لحصول حسن الخاتمة ، ومنها أذكار الوضوء ومن ذلك صدقة
السر فإنها تطفي غضب الرب وتدفع ميتة السوء . ومنه سبحانه الله ملء الميزان
ومنه العلم ومبلغ الرضى وزنة العرش صباحًا ومساءً ثلاث مرات ، ومنه زيارة
رسول الله ﷺ ومؤال الوسيلة ، ومنه السلام في يوم أو ليلة على عشرة

أو عشرين مسلماً مجموعين أو فرادى وإطعام اليتيم وسؤال الجنة ثلاثاً والأذان
 اثنتي عشرة سنة وإخراج الأذى من المسجد وإسباغ الوضوء في الليلة الباردة —
 والإهلال بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى والأتان بسيد الاستغفار
 صباحاً ومساءً وإنفاق زوجين في سبيل الله أى شيئين من كل شيء والتحميد
 والترجيع عند موت الولد وموت الطفل للإنسان وصلاة مائة شخص أو
 أربعين ثلاثة صفوف على الميت والصبر عند الصدمة الأولى وصيام ثمانية أيام من
 شهر رجب وصلاة أربع ركعات في الجامع يوم الجمعة بالإخلاص في كل ركعة
 خمسين مرة ورعى سهم أو صنعته في سبيل الله تعالى وتعلم كلمة أو كلمتين أو ثلاثاً
 أو أربعاً أو خمساً مما فرض الله تعالى فيتعلمهن أو يعلمهن ، ومن ذلك إحسان
 الوضوء ثم صلاة ركعتين يقبل بقلبه وبوجهه عليها ويقول رضيت بالله رباً
 وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً — والجلوس في صلاة بعد صلاة الفجر ذا كراً
 حتى تطلع الشمس وقراءة خواتيم سورة البقرة من ليل أو نهار والموت من
 يومه أو ليلته أو قراءة أسألت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت
 أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجأ منك
 إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت — وفي رواية إذا
 أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل .
 اللهم ... إلى آخره ويجعلهن آخر ما يتكلم به وفي رواية أخرى بلا ذكر
 الوضوء ومنه اللهم أعط محمدًا الدرجة والوسيلة اللهم اجعل في المصطفين صحبتك
 وفي العالمين درجته وفي المقربين ذكره وعقب كل صلاة مكتوبة قراءة — قل
 هو الله أحد ، والاستغفار في رجب سبعين بالغداة وسبعين بالعشى بصيغة .
 اللهم اغفر لي وارحمني وتب علي . والأذان احتساباً مبيع سنين وعند ختم
 القرآن . اللهم احتم لنا بخير وافتح لنا بخير . وفي السجود يا مقلب القلوب

ثبت قلبي على دينك. إلى غير ذلك، والإمام السيوطي رحمه الله في ذلك مؤلف: سماه أبواب السعادة في أسباب الشهادة — ختم الله لنا بذلك ولأحبابنا والمسلمين بلا محنة ولا فتنة آمين رب العالمين.

الذكر السادس عشر

(يا قوئ يا متين إكف شر الظالمين « ثلاثاً »)

ولما فرغ رضى الله عنه من الذكر السابق وهو الاظاظ (١) بحلال الله وكرمه في أن يحفظ عليه دين الإسلام ويعتبه عليه وكان مقصود ذلك العمل والتعليم — أرشد إلى دعائه تعالى باسمين عظيمين يتوسل بهما في جلب والدفع بأن يكف شر الظالمين، وذلك فيما يتعلق بالجملة السابقة (٢) من أسباب التخذيّل والتثبيط من النفس والهوى والدنيا والشيطان الصادة عن الإستمرار فيما يُيسّر ويهيئ أسباب حسن الخاتمة، وما يتعلق أيضاً بالجملة الآتية (٣) من صلاح أمور المسلمين وصرف شر المؤذنين لأنّ تحصيل ما في الجملتين لا يتم إلا بكف شر الظالمين لأنهم طريق إلى إيصال المكروه الديني والديوي والشيطان أشدّ حرصاً وأضرّ عداوة في إضلال المؤمن حتى ورد أنه يأتي المحتضر بماء زلال ويقول له قل لا إله غيري حتى أسقيك ولذلك قال الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى في التحفة ويخرج الماء ندباً بل وجوباً فما يظهر إن ظهرت أمارات تدل على احتياجه له كان يهش إذا فعل به ذلك لأن العطش يغلب حينئذ لشدة الفزع اهـ.

(١) أى التزام تذكره والإكثار منه.

(٢) وهو الذكر الخامس عشر. (٣) وهو الذكر السابع عشر الآتى.

وقد نقل الخطيب الشربيني في تفسيره عن الامام الرازي ما يدل على أن الاهتمام بكل ما يتعلق بالدين مقدم على كل شيء فقد قال في آخر تفسيره في الكلام على المعوذتين (الطيفة) وهي أن المستعاذ به في السورة الأولى مذكور بصيغة واحدة وهي قل أعوذ برب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات (١) وهي العاسق والنفاثات والحاسد ، وأما في هذه السورة أى قل أعوذ برب الناس فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاث وهي الرب والمالك والإله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الوموسة والفرق بين الوصفين أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين ، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلت أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت اهـ .

وعلى هذا ينبغي أن يقدر في قوله « يا قوى يا متين اكف شر الظالمين » وفي قوله « أصلح الله أمور المسلمين صرف الله شر المؤذنين » ملاحظة تحصين الإيمان والدين والسلامة من نقصه والحفظ من فتنه ثم يلاحظ بعد ذلك ما يعين عليه وما هو سبب له كما ذكره الامام الغزالي وصاحب الراتب نفع الله بهما في مبحث الحب لله أن حب الصاحب والزوجة مثلاً اللذين أعاناك على الدين فأحبتهما لذلك أن تلك المحبة محبة لله وقس على ذلك كل معين على الدين فتجبه وكل ما يصرف عنه أو يعين على المعصية فتبغضه ، فقوله رضى الله عنه يا قوى يا متين توسل إلى الله تعالى واستعانة بهذين الاسمين العظيمين أن يكفيه شر الظالمين لأنه لا قادر على دفعهم وكفاية شرهم إلا هو سبحانه وتعالى فهو ذو القوة المتين . والقوة القدرة التامة . والمتانة شدة القوة ، قال الامام الغزالي والله سبحانه وتعالى من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوى ، ومن حيث إنه شديد القوة متين اهـ .

(١) فيه أنه أربعة أنواع فتأمل .

وقوله إكسف بكسر الفاء مع حذف الياء أمر من السكفاية قال تعالى
(وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) قال المناوى وهى أى
السكفاية إغناء المقاوم عن مقاومة عدوه بما لا يحوجه إلى دفع له إه .
والظالم هو كل معتمد على الغير بغير حق إذ الظلم التصرف فى ممالك الغير بغير
حق أو هو وضع الشئ فى غير موضعه .
والظلم أنواع كثيرة ومن أقبحه ظلم النفس كما قال صاحب الراتب فى القصيدة
التي مطلعها .

نعم عالم الأرواح خير من الجسم وأعلى ولا يخفى على كل ذى علم
أما لك قد أفنيت عمرك جاهداً بخدمة هذا الجنس والهيكىل الرسمى
ظلمت وما إلا لنفسك يافى ظلمت وظلم النفس من أقبح الظلم
فمن حاد عن طريق الهدى وسبيل الرشداً واتبع هواه وأخلد إلى دنياه
فقد ظلم نفسه ، وجوارح كل انسان رعاياه وهو مسؤول عنها كما فى الخبر
« كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » وفى الخبر الآخر « كل الناس
يغدو فبائع نفسه » أى إلى الله عز وجل « فمعتقها » أى من رق الخطايا والمخالفات
« أو موبقها » أى مهلكها وسيأتى فى الذكر الآتى بيان لذلك إن شاء الله تعالى

فائدة

كان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يعظم أصحابه لدفع الأعداء
والنصر عليهم وكفاية شر الظالمين والمعتدين قول بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون اللهم اجعل كيدهم فى نجورهم واكفنا شرورهم
وحسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ

حسبنا الله ونعم الوكيل . يقال ذلك دبر كل صلاة ، وقال إذا أردت السلامة من ظالم تدخل عليه قفل (وقال موسى إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وقد ورد التحصن من شر الأعداء والظالمين فينبغي تقديم الوارد على غيره فهاورد أنه عليه السلام إذا خاف قومًا قال « اللهم انا نعوذ بك من شرورهم ونذر أبك في نحورهم » وكان إذا خاف عدوًا قال « اللهم اكفنا به ما شئت » وورد أيضًا أن من خاف سلطانًا أو ظالمًا يقول « الله أكبر الله أعز من خلقه جميعا الله أعز مما أخاف وأجذر أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو الممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس اللهم كن لي جارا من شرهم جل ثناؤك وعز جارك ولا إله غيرك ثلاثا رواه الطبراني وغيره .

الذكر السابع عشر

« أضحك الله أمور المسلمين صرف الله شر المؤذنين — ثلاثا »

وفي هذا الدعاء ورائحة محمدية وخلافة عمرية لأن السعى في مصالح المسلمين ودفع المضار عنهم والدعاء لهم بذلك تخلق بالأسماء الجمالية وقد عرفت الشريعة والملة والدين بأن تعلقها وفائدتها وورودها لصالح أمور المعاش والمعاد ، وصالح أمور المسلمين هو استقامتهم والاستقامة لا تتم إلا بعدد الولاية واستقامتهم ، ومن عداهم بمن له ولاية كالقضاة والحكام تسع لهم ، وصالح العامة أيضا له موقع عظيم في صلاح الحكام والعامة ، وبعد هؤلاء يتعلق صلاح الخاصة بصلاح العامة بأن يكونوا ذوى أمانة في معاملاتهم مع الحق والخلق لهم حظ من التقوى

يحملهم على أداء الحقوق والمسارة إلى ما هو من حقائق الإيمان كالبر والإحسان
وأما إذا كانوا بالعكس من ذلك خرب العالم بتعطيل الحدود والحقوق وساءت
الأحوال وهان الدين وذل أعزة المؤمنين، قال الإمام الحسن البصري رضى الله
عنه : الناس في هذه الدنيا على خمسة أصناف العلماء وهم ورثة الأنبياء، والزهاد
وهم الأدلاء، والغزاة وهم أسياف الله، والتجار وهم أمناء الله، والملوك وهم رعاة الخلق
فإذا أصبح العالم طماعا ولما جماعا فبمن يقتدى وإذا أصبح الزاهد راغبا في
الدنيا فبمن يستدل ويهتدى وإذا أصبح الغازي مرائيا فبمن يظفر بالأعداء
ويرجى وإذا كان التاجر خائفا فبمن يؤمن ويرضى وإذا أصبح الملك ذئبا فبمن
يحفظ الغنم ويرعى والله ما أهلك الناس إلا العلماء المداهنون والزهاد الراغبون
والغزاة المراءون والتجار الخائنون والملوك الظالمون وسيعلم الله من ظلموا أى
منقلب يتقلبون ، ولا تقع الاستقامة ولا يستقيم الناس عن الميل والإعوجاج عن
جادة سلوك الصراط المستقيم إلا بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
لأن الدين لم يظهر ولم يقم إلا بذلك ولما لم يبق من يقوم به من الناس
ولا من يعين عليه تبدلت الأحوال الدينية والدنيوية وتغيرت كما في زماننا
اليوم إذ صار من بقى له حظ من الشوكة أو الجاه لا يعين إلا على الباطل
ولا يتبع إلا أهله ولو أنهم سكتوا عن الأمر بالمعروف ولم يعينوا على المنكر
ويأمروا به ويساعدوا عليه لكان أخف وأهون بل إنهم سكتوا عن الأمر
بالمعروف وعادوا من قام به وقاوه ورفضوه وفعاوا المنكر وعملوا به وأعانوا
القائمين به وقووه عليه عاملهم الله تعالى بعدله لأنه صار الظاهر من أمرهم
أنهم صاروا من أقوى أعوان الشيطان على الخذلان وإيثار الافتتان وكأنه
رضى الله عنه لما ظهر له التمزج مما الناس عليه الآن وضع في هذا الراتب
الشريف جملا تناسب حال الزمان وتصلح لحال كل واحد في كل وقت أيضا

فإنه بنى أوله على تكرير أذكار التوحيد وتجديده كما قال صلى الله عليه وسلم
جددوا إيمانكم بلا إله إلا الله ثم بما فيه شهود النقص والقصور عن القيام
بالتوحيد ومعناه ولوازمه من شهود الجلال والعظمة والعجز عن كنه المعرفة
بذلك وهو التوبة وطلب الحو للذنوب والغفر لها والوفاة على الإسلام ثم في
هاتين الجملتين وهما قوله يا قوى يا متين اكف شر الظالمين وقوله أصلح الله
أُمُور المسلمين صرف الله شر المؤذنين نوه بأمر الاهتمام بأُمُور المسلمين .
والدعاء بجلب المصالح والمسار والمنافع لهم وبدفع المضار والبلايا والفتن
والأذى عنهم وفي ذلك غاية الاعتناء بشأن أهل الإسلام أينما كانوا كما
هو شأن القطب الوارث، وكان في وقته نفع الله به قد حمل أعباء السعى في
مصالحهم ودفع مضارهم قلباً وحالا وعملاً ولساناً وأركاناً وقلماً فهو معين
لكل من الخواص والعوام والرعاة والمرعيين بالمواد المذكورة وقد عمت
دعوته وشملت بركته وأضاءت أنواره وفاضت أسرارها على كثير من المسلمين
في هذه البلاد وغيرها ، ومن اطلع على ما في مكاتباته مما يدل على ذلك بل
وعلى سائر كتبه مما يتعلق بالأُمُور الخاصة والعامة ومكاتبات السلاطين والأمراء
وغيرهم وارشادهم واستعمال اللين مع البعض منهم وضد ذلك مع البعض علم أنه
الوارث للبعوث رحمة للعالمين صلاة الله وسلامه عليه وخليفة الله في أرضه على
المؤمنين ، وخلفه على مثل ذلك في هذا الوادي المبارك تلميذه الشيخ العارف بالله
تعالى عمر بن عبد الرحمن البار باعلوى وكذا تلميذه العارف بالله تعالى عمر
ابن عبد القادر العمودي نفع الله بهما فقد أعطاها الله في وقتها القبول
عند الولاة والعامة وبذلك استقامت أحوال الناس وإذا جرى ما يخالف
الحكم الشرعى من أحد من الحكام حصلت منهما الغيرة التامة والحمية البالغة
لا سيما من الحبيب عمر البار وكان في وقته أكثر الأشرار والمرتكبين
للمنكرات مقهورين ومغلوبين بما خلاه الله به من حلية الولاية والتجلي على

معانديه باسمه القهار كما قال شيخها المذكور نفع الله به

وقد حما أطراف مملكتي بالقهر حل القاهر الوالي

ثم بعده تغيرت الأحوال كلها وإلى الآن لم يزد الأمر إلا شدة وعناداً للحق وتضييعاً لأحكام الشريعة وتأيداً للباطل والمنكر وأهله مع ما هم فيه من البلاء المبين وتمطل أسباب الدنيا والدين وتسكدر المعيشة وضيقها وتسلبت الأشرار بما لو رآه وشاهده الأعداء لفرحوا وسرّوا بل ربما رحوا وأشفقوا ولكن الأعداء العور لا تبصر ، وانظر وتأمل ما قص الله ورسوله ﷺ في الظلم والعدوان والتعدي على المسلمين والإيذاء والغش والخداع لهم وأن ذلك مما يورث سوء الخاتمة ويؤدي إلى الكفر ولا سيما الإيذاء لأولياء الله وخاصته وحزب الصلاح من المؤمنين فإن من ابتلى بذلك فقد آذنه الله بحربه ، وتأمل أيضاً فيما ورد من الحث على التراحم والتواصل والتزاور بين المسلمين مما يوجب تنزل الرحمت وادرار البركات كما ورد ذلك أيضاً في الآيات والأخبار غير المحصورة المذكورة في مظانها من كتب الحديث والرقائق ، ومن أجمع ذلك تقريراً وتأثيراً وتسهيلاً وتيسيراً كتب صاحب الراتب نفعنا الله به فإنه لا يكاد يتعرض ولا يعرض فيها إلا بما يقرب إلى الله تعالى ويلف إلى الدار الآخرة سواء ما يتعلق بمعاملة الخلق مع الله تعالى أو في معاملتهم فيما يتعلق بمهماتهم الدينية التي شأنها الإعانة على الطاعة والرفق بالمسلمين خصوصاً وعموماً واعلم أنه قد عم الظلم والإيذاء والغش والخداعات والبلاغات بين الناس ولم يبق لسد هذه المفاصد والمضار إلا مقابلتها بعزيمة الصبر والتغافل وكثرة الصمت والاعتزال وخصوصاً لمن اختص بخصوصية أو انفرد بمزية فإنها تتضاعف في حقه الاذية ، قال صاحب الراتب رضي الله عنه إن لأهل هذه الجهة خاصة ضراوة بالغة في إيذاء أهل المراتب وخصوصاً الدينية ، بذلك عرفهم ووصفهم سلفهم فالعقل من أعرض عنهم ولم يحتفل بهم إن هم إلا كالأنعام بل

هم أضل سبيلا، وكتب رضى الله عنه إلى من شكى إليه إيذاء بعض أهل
الرسوم له : وما ذكرت من أمر كذا فما هناك كبير أمر والناس كما تعلم وترى
وعلى ما هو أكثر من ذلك وأنسكروا ينطوون ويضمرون فالتق ما بدا منهم
وما خفي من فتنهم وشرورهم بالرفق واللطف وحسن المداراة عند الملازمة
فاغتنم العافية التي هي أوسع الأشياء والسكون من أفضل أجزاءها كما يقال
السكون عافية ولا تأخذ بشيء ولا في شيء أى شيء كان يؤول إلى تحريك
الطباع وإيحاء القلوب ممن لا يتقن نارا ولا عارا وعامة أهل الزمان كذلك
إلا من رحم الله وقليل ما هم ، ولا تغالب ولا تزاحم ولا تنازع ولا تحاصم واعلم
أنا آخذون بهذا المأخذ في محلنا ومع أصحابنا مع أنه أطيب من محلكم وأظهر
ولولا ذلك لتحرك علينا من شرورهم وفتنتهم ما تضيق به الصدور والأما كن
وينزعج له كل ظاهر وباطن فاسمع ولا تجرب وخذ هذا واقتل النصيحة ممن قامت
عليه غالية وخذها لهذه ولغيرها انتهى كلامه رضى الله عنه.

الذكر الثامن عشر

« يا على يا كبير يا عليم يا قدير يا سميع يا بصير يا لطيف يا خير ثلاثا ».

ثم ألحق ما تقدم من الأذكار والدعوات وختمها بالذكر بهذه الأسماء وهي
من الاسماء التوقيفية التي هي من صفات الذات وحيث يحتاج الداعي بها إلى تقدير
وهو أنه إذا نادى بها فقال يا على أى عن ادراكنا، يا كبير أى عن أن يتعاضمه
شئ من مهماتنا يا عليم أى باحوالنا ومرادنا، يا قدير أى على نجاح طلباتنا ، يا سميع
أى لدعائنا وأصواتنا ، يا بصير أى بأعمالنا وحاجتنا ، يا لطيف يا خير أى يا مشفق
يا رحيم بنا ويا عليم بما تدبرنا عليه وبه وتيسر ناله من الارزاق الحسنيات والمعنويات
ومن الأعمال الصالحات وتيسره لنا نسألك بحق هذه الاسماء وبما فيها من سر

الاسماء أن ثبتنا على ما تضمنه هذا الراتب وغيره من حقائق العقائد التوحيدية والمطالب الدنيوية والأخروية وتنبينا جميع ما أملناه فيك من الخيرات القلبية والبدينية وتصلح لنا الشؤون كلها التفصيلية والاجمالية مما تعلم فيه صلاح عاقبتنا ورضاك عنا .

وقد ورد بهذه الاسماء القرآن قال تعالى (فالحكم لله العلي الكبير) وأنه عليم قدير وهو السميع البصير وهو اللطيف الخبير وتسكير ياء النداء في جميعها تأكيد للمناجاة ولأن كل اسم له تأثير وتجل وتعلق ولقوله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) أي نادوه وقولوا يا الله يا رحمن كما ورد . . .

وجميعها من أسماء الذات العلية والصفات القديمة المقدسة التنزيهية كما مر فأما العلي فقد مر في الكلام على آية الكرسي أن ليس علوه حسيًا بل هو معنوي إذ العلو والسفل جهتان للمخاوق ، قال الإمام الطيبي في شرح المشكاة : هو فاعيل من العلو ومعناه البالغ في علوه الرتبة إلى حيث لا رتبة إلا وهي منحة عنه وهو من الأسماء الإضافية ، قال بعض العلماء العلي الذي علا عن الدرك ذاته وكبر عن التصور صفاته ، وقال آخر هو الذي تاهت الأبواب في جلاله وعجزت العقول عن وصف كماله ، (وحظ العبد منه) أن يبذل نفسه في طاعة الله لينذل جهده في العلم والعمل حتى يفوق جنس الانس في الكمالات النفسانية والمراتب العلمية والعملية ، قال الشيخ أبو القاسم : ومن علوه وكبريائه أنه لا يصير بتسكير العباد له كبيراً ولا باجلالهم له جليلاً بل من وقفه لاجلاله فتوقيفه أجله لا يلحقه نقص فيجبر ذلك بتوحيد عبادته فهو العزيز الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يتوجه عليه سيئة ولا لوم ومن حق من عرف عظمته أن لا ينذل لخلقه ويتواضع لهم وإن من تدلل لله في نفسه رفع الله قدره بين أبناء جنسه وقيل المؤمن له العزة لا الكبر وله التواضع لا المذلة .

وقال في الكبير هو كبيرٌ إما باعتبار أنه أكمل الموجودات وأشرفها من حيث إنه قديم أزلى غنى على الإطلاق وما سواه حادث بالذات في حضيض الحاجة والافتقار وإما باعتبار أنه كبير عن مشاهدة الحواس وإدراك العقول وعلى الوجهين فهو من أسماء التنزيه (وحظ العبد منه) أن يجتهد في تكميل نفسه علماً وعملاً بحيث يتعدى كماله إلى غيره ويتعدى بآثاره ويقتبس من أنواره قال عيسى عليه السلام من علم وعمل فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء اهـ .

وأما العليم فإنه مبالغة في العلم قال الشيخ الطيبي والله سبحانه حقيق بالمبالغة في وصفه وعلمه تعالى شامل لجميع المعلومات محيط بها سابق على وجودها لا تخفى عليه خافية ولا تعزب عنه قاصية ولا دانية ولا يشغله علم عن علم كما لا يشغله شأن عن شأن وهو من صفات الذات (وحظ العبد منه) أن يكون مشغولاً بتحصيل العلوم الدينية لاسيما المعارف الإلهية التي هي باحثة عن ذاته وصفاته فانها أشرف العلوم وأقرب الوسائل إلى الله تعالى مراقباً لحواله محتاطاً في مصادره وموارده لعلمه بانه تعالى عالم بضمائرهم مطلع على سرائره ، وعن بعض الصالحين من عرف أنه عليم بحالته صبر على بليته وشكر على عطيته واعتذر عن قبيح خطيئته ، وقال الشيخ أبو القاسم : من آداب من علم ان الله تعالى عالم بالخفيات خير بما في الضمائر والسرائر من الخطرات لا يخفى عليه شيء من الحوادث في عموم الحالات فبالحرى أن يستحى من مواضع اطلاعه ويرعوى عن الاغترار بحميل ستره ، وفي بعض الكتب إن لم تعلموا أنى أراكم فالحلل في أيمانكم وإن علمتم أنى أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين اليكم اهـ .
وأما التقدير فهو ذو القدرة القادر المقتدر الفعال لما يريد ، وقد مر ذلك في الكلام في بسم الله والحمد لله والخير والشر بمشيئة الله ، قال الشيخ أبو القاسم

ومن عرف أنه قادر على السكال خشى سطوات عقوبته عند ارتكاب مخالفته .
وأمل لطائف رحمته وزوائد نعمته عند سؤاله وحاجته لا بوسيلة طاعته ولا سكن .
باسداء كرمه ومنته وكذلك من عرف أن مولاه قدير ترك الانتقام ثقة بأن .
صنع الحق له وانتصار الحق له وأنه أتم من انتقامه لنفسه اه .

وأما السميع البصير فهما صفتان قديمتان أزليتان منزهتان تنكشف بهما جميع .
السموعات والمبصرات انكشافا تاما ولا يلزم من افتقارنا إلى إدراك النوعين .
بآلة احتياجه إلى ذلك لأن صفاته تعالى مخالفة لصفات الخاوقين كما مر قريبا .

وأما اللطيف الخبير فعنهما متقارب من حيث العلم بحقائق الأمور والأشياء .
والخبرة بخفائها ، قال الحجة الغزالي قدس الله روحه في اسمه اللطيف إنما .
يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما رق منها وما لطف ثم .
سلك في إيصالها إلى المستصالح لها سبيل الرفق دون العنف فإذا اجتمع الرفق بالفعل .
واللطف في الإدراك ثم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلا الله .
فأما إحاطته بالدقائق فلا يمكن تفصيل ذلك فالخفي مكشوف عنده كالجلي من غير فرق .
وأما رفقته في الأفعال ولطفه فيها فلا يدخل تحت الحصر إذ لا يعرف اللطف .
في فعله إلا من عرف تفاصيل أفعاله وعرف دقائق الرفق فيها وبقدر اتساع المعرفة .
فيها يعرف معنى اسم اللطيف وشرح ذلك يستدعى تطويلا ثم لا يتصور أن تنفى .
بعشر عشره مجلدات كثيرة وإنما يكون التنبية على بعض جملة فن لطفه خلق الجنين .
في بطن أمه في ظلمات ثلاث وحفظه فيها وتعذيبه بواسطة السرة إلى أن ينفصل .
فيستقل بالتناول بالفم ثم الهامه عند الانفصال القيام الشدي ولو في ظلمة الليل .
ومشاهدة انقضاء البيضة عن الفرخ وقد اهلهم التقاط الحب في الحال ثم في تأخر .
خلق السن عن أول الحلقة إلى وقت الحاجة للأستغناء باللين عن السن ثم

نبات السن بعد ذلك عند الحاجة إلى طحن الطعام ثم تقسيم الأسنان إلى عريضة للطحن وإلى أنياب للكسر وإلى ثنايا حادة الأطراف للقطع ثم استعمال اللسان الذى الغرض منه النطق فى رد الطعام إلى المطحن كالجرفة ولو ذكر لطفه فى تيسير لقمة يثاقلها العبد من غير كلفة يتجشمها وقد تعاون على اصلاحها خلق كثير لا يحصى عددهم من مصلح الأرض وزارعها وساقها وحاصدها ومنقيها وطاحنها وعاجنها وخازنها إلى غير ذلك من خلق لا يحصيهم إلا الذى خلقهم لكان لا يستوفى شرحها إلى آخر ما ذكره رضى الله عنه وقد ذكر ما يتعلق بهذا المعنى من لطف الله وتديره للخلق فى المنشآت كلها فى كتاب الصبر والشكر وكتاب التفكير والاعتبار بأبسط من هنا مع تفاصيل فى الدقائق وما لله تعالى من الحكمة فى خلق السموات والأرض وما بينهما وكذلك سائر عوالم الملك والملكوت فسبحان اللطيف الخبير .

وأما الخير فهو العلم ببواطن الاشياء من الخبرة وهى العلم بالخفايا الباطنة فاللطيف أعم منه لأنه يتناول معنى الرفيق وما يترتب عليه من الرفق والرحمة فإنه تعالى رؤف رحيم لا سيما بالمؤمنين كما ورد أن له تعالى مائة رحمة منها رحمة واحدة قسمها فى الدنيا بين المخلوقات جميعها فيها يتوادلون وبها يترحمون ويعطف بعضهم على بعض وبها تعطف الأم على ولدها وبها يرزق العباد الأرزاق الحسية والمعنوية فيرزق الأرواح والسرائر كما يرزق الأشباح والظواهر ، وقيل أرزاق القلوب المكشوفات والمعانى كما أن أرزاق النفوس الغضاء وادّخر سبحانه وتعالى تسعة وتسعين رحمة إلى يوم القيامة ويجعل معها هذه الرحمة التى فى الدنيا فيخص بجميعها المؤمنين اللهم يا أرحم الراحمين اجعلنا من عبادك المرحومين فى الدنيا والآخرة .

الذكر التاسع عشر

قوله رضى الله عنه

« يا فارح اللهم يا كاشف الغم يا من لعبده يغفر ويرحم — ثلاثاً »

الفارج : اسم فاعل من فرَجَ يفرِج فرَجاً^(١) وهو فى الأصل الشق .
بفتح الشىء والتوسعة والمراد شرح الصدر وتوسعة الضيق ، اللهم : الحزن ،
والكاشف : اسم فاعل من الكشف وهو كشف السائر ، والغم : شدة
الكرب وقيل اللهم حصول الكدر من أمر مستقبل متوقع والغم من شىء
واقع . ولنا يقال إن الغم قد يقتل وليس كذلك اللهم ، وقد ورد من دعائه
صلى الله عليه وسلم « اللهم فارح اللهم كاشف الغم محب دعوة المضطرين رحمن
الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمنى فارحنى رحمة تغنينى بها عن رحمة
من سواك » رواه الحاكم وغيره عن عائشة رضى الله عنها قالت قال لى أبى ألا
أعلمك دعاء عامنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال كان عيسى عليه السلام
يعلمه للحواريين لو كان عليك دين مثل أحد ثم قلته لفضاه الله عنك قلت بلى
قال قولى اللهم فارح اللهم إلى قوله من سواك ، قال الإمام الغزالي فى المقصد
الاسنى ما حاصله أنه يجوز وصف الله تعالى بكل ما هو موصوف بمعناه من
صفات المدح وبكل ما لا يؤهم معناه نقصاً وإن لم يرد فى هذا كله إذن وتوقيف
وأنه قد يمنع فى حق الله تعالى إطلاق لفظ فإذا قرن به قرينه جاز إطلاقه

(١) يقال فرج القوم لارجل فرجا : أوسعوا له فى الموقف والمجلس . ومنه
الفرجة وهى الخلاص من شدة ، ويقال فرج الله الغم : كشفه .

وأنه سبحانه يدعى بأسمائه الحسنى كما أمر حتى إذا جاوزنا الأسماء إلى أن يدعى بصفاته دعى بأوصاف المدح والجلال فقط ولا يجوز أن يدعى بكل ما يجوز أن يوصف به ويخبر به عنه من الأوصاف والأفعال إلا أن يكون في مدح وإجلال اهـ .
ونشر الخلاف الشيخ ابن حجر رحمه الله في التحفة في قوله الجواد ، وقول الإمام الغزالي المار « وأنه يدعى بأسمائه كما أمر حتى إذا جاوزنا الأسماء إلى أن يدعى بصفاته دعى بأوصاف المدح والجلال فقط » يفهم منه جواز الدعاء بغير التوقيفيات كما قوله يا فارج اللهم يا كاشف الغم كما ورد ذلك فيما مر آنفا . وكما قال الغزالي وكما ورد في الدعاء المعروف يا من أظهر الجميل الخ . أخرج حديثه الحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما وفيما رواه الطبراني عن أنس رضى الله عنه وهو دعاء طويل فيه اللهم كاشف الغم مفرج الهم وفيه يا مؤنس كل وجيد ويا صاحب كل فريد الخ . وما أخرج الطبراني بسند صحيح عن أنس رضى الله عنه وهو دعاء الأعرابي يا من لا تراه العيون الخ . وما أخرج أبو القتيح المقدسي عن ابن عباس رضى الله عنهما عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو دعاء طويل أوله اللهم يا عماد من لا عماد له الخ . وإذا جاوزنا الأسماء إلى أن ندعوه بصفاته دعوانه بصفات المدح والجلال ولا نقول يا موجد يا محرك يا مسكن بل نقول يا مقيل العثرات يا منزل البركات يا ميسر كل عسير وما يجري مجراه وأما قوله « ولا يجوز أن يدعى بكل ما يجوز أن يوصف به ويخبر به عنه من الأوصاف والأفعال إلا أن يكون في مدح وإجلال » أى فلا يقال يا خالق السكب يا رازق الخنزير وإن كان هو سبحانه خالق كل شيء ورازقه . وقال الطيبي في شرح المشكاة بعد أن نشر خلافا في إطلاق غير الأسماء التوقفية عليه تعالى ورجح عدم الجواز مانصه : ولو ترك الإنسان وعقله لما جبر أن يطلق عليه غالب هذه الأسماء التي ورد الشرع بها إذ كان أكثرها على حسب

تعارفنا يقتضى أعراضاً إما كميةً نحو العظيم والكبير وإما كيفيةً نحو الحى القادر
أوزماناً نحو القديم الباقي أو مكاناً نحو العلى المتعالى أو انفعالاً نحو الرحيم
الودود وهذه معان لا تصح عليه سبحانه على حسب ما هو متعارف بيننا وإن
كان لها معان معقولة عند أهل الحقائق من أجلها صح إطلاقها عليه
عز وجل .

وقال الزجاج لا ينبغي لأحد أن يدعو بما لم يصف به نفسه فيقول بدل
يا رحيم يا رفيق ويقول بدل يا قوى يا جليل ، وقال الإمام نضر الدين الرازى
قال أحمنا ليس كل ما صح معناه جاز إطلاقه عليه سبحانه وتعالى فإنه الخالق
للأشياء كلها ولا يقال خالق الثعب والقردة ، وورد وعلم آدم الأسماء كلها وعلمك
ما لم تعلم وعلمناه من لدنا علماً ولا يجوز يا معلم ولا يجوز عندي يا محب ا هو منسج
فيه . وفى التحفة إطلاق ما ورد للمقابلة كقوله أم نحن الزارعون والله خير
المالكين ، قال فى التحفة وقول الحليمى يستحب لمن ألقى بذرا فى الأرض أن
يقول الله الزارع والمنتب والمبلغ — إنما يأتى فى الثلاثة على الرجوح أنه لا يشترط
فيما صح معناه توقيف ثم استدل بعده الإمام النووى أن الجواد ورد فيه توقيف
وكذا الجليل فى قوله صلى الله عليه وسلم إن الله جميل يحب الجمال واعترض بأنه
ورد للمقابلة وأجاب عنه ابن حجر بأن المقابلة إنما نصير إليها عند استحالة المعنى
الموضوع له اللفظ فى حقه تعالى اه ملخصاً .

فائدة

ورد أن من قال اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض
فى حكمك عدل فى قضاائك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته

في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحاً .

وقال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه إذا أردت أن لا يصدأ لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبق عليك ذنب فأكثر من « سبحان الله العظيم وبحمده لا اله إلا الله محمد رسول الله ﷺ » ثبت علمها في قلبي واغفر لي ذنبي واغفر للمؤمنين والمؤمنات والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ « من قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كانت له دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم » .

وأما قوله رضي الله عنه (يا من لعبده يغفر ويرحم) هذه الجملة والتي قبلها فيها تعريض بذكر الصفات التي يتجلى بها المولى الكريم على عبيده الفقراء المحتاجين إلى فضله ورحمته في كل حال وهي كشف الغموم والكروب عنهم وتفريج الهموم وستر العيوب والقبائح والذنوب بأن يسترها في الدنيا ويترك المؤاخذة بها بالعمو عنها في العقب وهو أبلغ من الطلب والدعاء بذلك وكأنه قال يا من شأنه ذلك افعل لي ذلك أي يا فارج الهم فرج همي ويا كاشف الهم اكشف غمي يا من لعبده يغفر ويرحم اغفر لي وارحمي .

وفي قوله (يا من لعبده) تعطف وتلطف إذ العبودية أقرب أوصاف العبد إلى الرب فمن توجه إلى ربه قبله وأقبل عليه كما هو مقام سيد الرسل والأنبياء وأخص السكرام الأصفياء فإنه لما اختار العبودية عندما خيرّه الله تعالى بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً اختار الثاني فكان له بذلك الغاية القصوى من الكرامة والشرف في جميع المواطن من العوالم العلوية والسفلية ولذا

كان ذكره بها في أشرف مقاماته ﷺ كقوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده) (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده) (وأنه لما قام عبد الله يدعوه) .

والغفر كما مر هو الستر وقد جاء من مآذنه في الأسماء التوفيقية ثلاثة أسماء الغافر والغفور والغفار ، قال الشيخ الطيبي في شرح المشكاة والفرق ان الغافر يدل على الاتصاف بالمغفرة مطلقاً والغفار والغفور يدلان على المبالغة والغفار أبلغ لما فيه من زيادة البناء والعمل المبالغة في الغفور باعتبار الكيفية وفي الغفار باعتبار الكمية وهو قياس المشدد للمبالغة من النعوت والأفعال .

قال بعض الصالحين إنه غافر لأنه يزيل معصيتك من ديوانك وغفور لأنه ينسى الملائكة أفعالك وغفار لأنه ينسيك ذنبك كأنك لم تفعله ، وقال آخر إنه غافر لمن له علم اليقين وغفور لمن له عين اليقين وغفار لمن له حق اليقين (وحق العارف منه) أن يستر من أخيه ما يحب أن يستر منه فلا يُفشي منه إلا أحسن ما فيه ويتجاوز عما يبدر منه ويكافي المسيء إليه بالصفح والانعام عليه .

قال الشيخ أبو القاسم في قوله تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله) إن ثم تقتضي التراخي كأنه قال من أرحى عمره في الزلات وأفنى حياته في الخلفات وأبلى شبابه في البطالات ثم ندم قبل المات وجد من الله الغفر عن السيئات اه وهذا القول الذي أخذه أبو القاسم القشيري رضي الله عنه من مفهوم ثم التى للتراخي وإن اقتضى وأفهم التماضى فيما ذكره فيه حت على الرجوع إليه سبحانه بالاستغفار والتوبة فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات والتراخي في ذلك مذموم شرعاً وعقلاً إذ عمر الإنسان ليس معلوماً عنده ولا أجله فإنه لا يدري متى ينزل به الموت إذ ليس يأتيه الموت في وقت مخصوص

ولا سن مخصوصة ولا حال مخصوص وقد مرت الإشارة إلى أنه ﷺ بل وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وكمّل ورثتهم يقدّرون قرب الموت ويتوقعون نزوله في كل وقت ذكر ذلك الإمام الغزالي في كتبه .

وبما أجمع ما ذكره صاحب الراتب رضى الله عنه في نصائحه من ذم طول الأمل والترغيب في قصره ، وفي حديث ابن عمر رضى الله عنهما « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وكان يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، قال ابن حجر وقد أوصى بذلك أى قصر الأمل جميع الأنبياء والرسل أممهم وفي ذلك كله الحث إلى المستعارة للتوبة والاستعداد للموت بالعمل الصالح .

وأما قوله ويرحم فهو من الرحمة التي المراد بها غايتها وهي التفضل والاحسان منه تعالى على عبده وقد وسعت رحمته كل شيء وسبقت رحمته كل شيء وسبقت رحمته غضبه سبحانه فله الحمد والمنة ، ومن رحمته أن كل ما حصل للعبد المؤمن من خير فهو من رحمته أو من شر فهو من رحمته أيضاً لأنه لا يوقع الشر للمؤمن إلا لأجل إيصال الخير له إما لتكفير ذنب أو لتحسين العاقبة كما به على ذلك الإمام الغزالي رضى الله عنه في المقصد الأسنى وأطال فيه فليُنظر فيه والله سبحانه أعلم .

الذكر العشرون

(أستغفر الله ربّ البرايا أستغفر الله من الخطايا — أربعاً)

هذه الصيغة صيغة استفعال وهي للطلب ومعناها أطلب من الله أن يغفر لي ، والغفر هو الستر والصيانة عن إظهار القبائح والفضائح التي تشين العبد (١١ م — ذخيرة المعاد)

حيًا وميتًا ويؤاخذ بها سواء كانت تتعلق بالحق أو الخلق إذ الذنوب عند أهل السنة تغفر بفضل الله تعالى ماعدا الشرك قال الله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وما في آية القتل (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) إلى آخرها مؤول بالمستحل وعند المعتزلة وغيرهم في ذلك تفصيل محله كتب الأصول .

وقوله رب البرايا — الرب المربي لعباده المدبر لأحوالهم وأمورهم وقدم مربيانه في تفسير الفاتحة ، وأتى به بعد اسم الجلالة الشريف لكونه أقرب إلى قبول توبة المستغفر وغفر ذنوبه أى سترها ، وفيه مناسبة من حيث نوع الاشتقاق في الرب والبرية لاسيما وبعض البرية فيه اسم البر والبر مقبول رب أيضاً وهو أقرب أيضاً إلى التعطف إذ الاستغفار موضوع للتوبة والرجوع عن الذنب فينبغي أن يقترب بالذل والخضوع كما اقترن ذلك في موضعهما من الركوع والسجود في إظهار الرب على غيره من الأسماء في قوله في الركوع سبحان ربى العظيم وفى السجود سبحان ربى الأعلى .

والبرأيا: الخلق جمع برية وله جمع آخر وهو بريات وهو بالهمزة وتركها فالهمزة من برأ الله الخلق أى خلقهم وبالباء بلا همزة من البرا وهو التراب . وقوله نفع الله به استغفر الله من الخطايا جمع خطيئة بالهمزة وهى الذنب والأثم .

وأما اختياره رضى الله عنه فى هذا الذكر كونه أربعاً لعله ليكون الذنوب والآثام والخطايا تنقسم إلى كباير وصغائر وتبعات وغيرها فهى أربعة أقسام فجعل لكل قسم مرة كما ورد فى اللهم إني أصبحت أشهدك إلى آخرها فإنه لما كان المطلوب شهادتهم على توحيده تعالى أربعة أنواع هو تعالى وملائكته عموماً وحملة العرش خصوصاً وسائر خلقه رتب الشارع على أن من قال ذلك مرة عتق ربه ومن قالها أربعاً عتق جميعه .

وقد جاءت الآيات القرآنية والأخبار النبوية والآثار المرضية في الترغيب في الاستغفار والالتجاء به وأنه يمحى الذنوب ويفرج الموم والموم ويكثر المال والولد وفيه فوائد لا تحصى دينية ودنيوية وأخروية ، وقد قال صاحب الراتب قدس الله روحه أنه لا أنفع لأحوال هذا الزمان من كثرة الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ أي من حيث كثرة تراكم الذنوب وتحمل الآصار والتبعات وعدم التحري في الأطعمة وغير ذلك ، وهو أي الاستغفار كالغاسول لأوساخ الذنوب وأدران القلوب .

وقال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) . (واستغفر لذنوبك وللمؤمنين والمؤمنات) (والمستغفرين بالأسحار) (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) وآيات الاستغفار كثيرة وقد وعد عباده سبحانه بقبول توبتهم ورجوعهم إليه بالندم والاستغفار . فقال تعالى (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) وقال رسول الله ﷺ في حديث مسلم المروي عن الله عز وجل « يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم » فانظر إلى هذا اللطف العظيم من المولى الكريم لعباده الملائسين للذنوب في أكثر أوقاتهم التي يأنسهم فيها طاعته من أوقات الليل والنهار فدعاهم إلى ما يحبهم وينجحهم بقوله فاستغفروني أغفر لكم وكأنه أيضاً دعاهم إلى محبته ورضائه بقوله تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) ولحبه تعالى التوبة والتواابين . قال ﷺ « لو لا أنكم تذنوبون وتستغفرون لذهب الله بكم وجاء بقوم غيركم فيذنوبون فيستغفرون الله فيغفر لهم » .

تذبيته وإيقاظ للنبيه

اعلم أن هذا الحديث لم يرد للترغيب في غشيان المعاصي وإرتكابها كما يعطيه ظاهره ويفهم العوام منه ذلك جهلا منهم بل للترغيب في التوبة فكيف يفهم المغرور أن ذلك ترغيب في ارتكاب الذنوب والذنوب والمعاصي والمخالفات سبب لغضب الجبار الذي لا يقوم أحد لغضبه وهي يزيد الكفر كما ورد وهي سبب لرين القلوب .

وقد استدلل لذلك صاحب الراتب رضى الله عنه في مبحث تنظيف القلب عما يكدره ويقبحه ويظلم به من الذنوب والمعاصي من مقدمة النصائح قال : وأما النفاق فزيادته بالأعمال السيئة من ترك الواجبات وارتكاب المحرمات كما قال عليه السلام « من أذنب ذنباً نكس في قلبه نكسة سوداء فان تاب وصفا صقل قلبه وإن لم يتب زاد ذلك حتى يسود قلبه فذلك الران الذي قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) فلا شيء أشد وأضر على الانسان في الدنيا والآخرة من الذنوب ولا يكاد يخلص اليه سوء ولا يناله مكروه إلا من جهتها قال الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) فينبغي للمؤمن أن يكون على نهاية الاختراز منها وفي غاية البعد عنها وإن أصاب منها شيئاً فليبادر بالتوبة منه إلى آخر ما قاله في ذلك .

وقال الامام الطيبي في شرح المشكاة نقلا عن التوربشتي قال قوله ﷺ « لو لم تذبوا وتستغفروا لذهب الله بكم » لم يرد هذا الحديث مورد تسلية للمهمكين في الذنوب وقلة الاحتفال منهم بمواقعة الذنوب على ما يتوهم أهل الغرة فإن الأنبياء صاوات الله عليهم إنما بعثوا ليردعوا الناس عن غشيان الذنوب بل ورد مورد البيان

العفو الله عن المذنبين وحسن التجاوز عنهم ليعظموا الرغبة في التوبة والاستغفار والمعنى المراد من الحديث هو أن الله تعالى كما أحب أن يحسن إلى المحسن أحب أن يتجاوز عن المسيئة وقد دل على ذلك كثير من أسمائه الحسنى كالغفار والحليم والتواب والعفو ولم يجعل العباد كلهم كالملائكة مجبولين على التزه من الذنوب بل جعل فيهم من يكون بطبعه ميالا إلى الهوى مفتتنا بما يقتضيه ثم كلفه التوقي عنه وحذره عن موافاته وعرفه التوبة بعد الابتلاء فإن وفى فأجره على الله وإن أخطأ الطريق فالتوبة بين يديه فأراد النبي ﷺ أنكم لو كنتم مجبولين على ما جبلت عليه الملائكة لجاء الله بقوم يأتي منهم الذنب فيتجلى عليهم بتلك الصفات على مقتضى الحكمة فإن الغفار يستدعى مغفوراً كما أن الرازق يستدعى مرزوقاً

أقول في الحديث أنه تعالى يحب من عباده التوبة والاستغفار الذي هو موقع محبة الله تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وإن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار والله أشد فرحاً بتوبة عبده — الحديث ، ولعل السرفى هذا إظهار صفة الكرم والحلم والغفران ولو لم يوجد لا تلم طرف من صفات الألوهية والإنسان إنما هو خلق الله في أرضه يتجلى عليه بصفات الجلال والأكرام بالقهر والالطف ، والملائكة لما نظروا إلى الجلال والقهر (قالوا أتعجل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) والله تعالى حين نظر إلى صفة الأكرام والالطف (قال إني أعلم ما لا تعلمون) وإلى هذا المعنى يباح قوله صلى الله عليه وسلم لذهب الله بكم ولم يكتف بقوله لو لم تذبوا لجاء الله بقوم يذنبون والله أعلم اه ما نقلناه بطوله وحسنه في هذا المقام اشتماله على فوائد عظام تتعلق بما نحن فيه .

وايضاً ففي هذا الحديث غاية الرجاء للمذنبين حتى لا يقف أحد منهم من رحمة الله تعالى لعظم ذنبه كما في حديث الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضى

الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة فقال لا فقتله فأكمل به مائة ثم سأل عن أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناس يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا بلغ نصف الطريق أتاه الموت فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً إلى الله تعالى بقلبه وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو لهما فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد قبضته ملائكة الرحمة ، وفي رواية فسكران إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها وفي رواية فناء بصدرة نحوها هـ .

فالمراد من هذا الحديث أيضاً الترغيب في التوبة والاستغفار من الذنب وأن لا ييأس أحد من رحمة الله تعالى ولا يقنط من عفو الله بسبب الذنوب ، وما يحدث على التوبة والاستغفار ويومئ إلى المسارعة إلى ذلك قوله ﷺ « والله إنني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » رواه البخاري ، وأخرج النسائي وابن ماجه أنه ﷺ قال « إنني لاستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة » ، وأخرج أبو عوانة أنه ﷺ قال « يأيتها الناس توبوا إلى ربكم واستغفروا فإني أتوب إلى الله واستغفره كل يوم مائة مرة » والنسائي « ما أصبحت غداة قط إلا أستغفر الله مائة مرة » وأخرج الامام أحمد وأصحاب السنن الأربعة أنهم كانوا يقولون إنا كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة

يقول « رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم » هذا وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما كان ذلك تعليماً وترغيباً لأمته في التوبة والاستغفار واعتزافاً لربه بعدم القيام بما له من استحقاق الشكر الذي هو عمدته. وأخبر به عائشة رضي الله عنها لما قالت له وقد تورّمت قدماؤه من طول القنوت هكذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال « أفلا أكون عبداً شكوراً » وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً وورقه من حيث لا يحتسب، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من قال استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت له ذنوبه وإن كان قد فرّ من الزحف » وفي رواية تقييدها بثلاث وفي رواية بخمس وفي رواية أخرى وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر ، وزبد البحر هو ما يرى على وجهه عند ضرب الأمواج وقيل المراد ماء البحر مضاف إلى البحر وهو الحفرة هذا حاصل ما ذكره البجيرمي في حاشية شرح المنهج ، وفي رواية رمل عاجل ، وفي رواية تقييدها ببعد الصلوات المكتوبة أو الصبح أو الصبح والعصر ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت « كان رسول الله ﷺ وسلم يكثر أن يقول قبل موته سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه » رواه الشيخان ، وعن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذي .

ومن أحاديث الحصن الحصين للجزري رحمه الله بإسناده الروايات إلى أصحاب السنن وكتب الحديث « ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين

مرة « وأبو داود » والذى نفسى بيده لو أخطأتم حتى عملاً خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتهم الله لغفر الله لكم « وأترمذى والنسائي » من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار « والطبراني في الأوسط » ما من مسلم يعمل ذنباً إلا وقف الملك الموكل به بإحصاء ذنوبه ثلاث ساعات فإن استغفر الله من ذنبه ذلك في شيء من تلك الساعات لم يوقعه أى يكتبه عليه ولم يعذب يوم القيامة « والحاكم في المستدرک » إن إبليس قال لربه عز وجل وعزتك وجلالك لا أزال أغوى بنى آدم ما دامت الأرواح فيهم فقال له الرب فيعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني « والحاكم في المستدرک أيضاً ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل في يوم صحيفته فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفاراً إلا قال تبارك وتعالى قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة « والبرار » من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة « وأترمذى » إن عبداً أصاب ذنباً فقال رب أنى أذنبت فأغفره لي فقال ربه علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مسكت ما شاء الله تعالى ثم أصاب ذنباً فقال رب أذنبت ذنباً آخر فأغفره لي فقال علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مسكت ما شاء الله تعالى ثم أصاب ذنباً فقال رب أذنبت ذنباً آخر فأغفره لي فقال علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء « ويأتى في هذا الحديث من القيد مامر ، وأخرج النسائي « طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً » ، وشكى إليه ﷺ رجل ذرب لسانه فقال أين أنت من الاستغفار اه ، وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال يامعشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإنى رأيتكن أ أكثر أهل النار قالت امرأة منهن ما لنا أ أكثر أهل النار قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت

من ناقصات عقل ودين أغلب لدى لب منمكن قالت ما نقصان العقل والدين ؛
قال شهادة امرأتين بشهادة رجل ، وتمكث الأيام لا تصلى .

سيد الاستغفار

ومرَّ أن سيد الاستغفار من أسباب حسن الخاتمة وهو ما رواه شداد بن
أوس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم
أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت
أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لى فإنه لا
يغفر الذنوب إلا أنت من قالها فى النهار موقناً مات من يومه قبل أن يمسى فهو
من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن فمات قبل أن يصبح فهو من
أهل الجنة » رواه البخارى .

شرح الحديث

قال ابن أبى حمزة جمع النبي ﷺ فى هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ
ما يحق له أن يسمى به سيد الاستغفار فيه الاقرار لله وحده بالألوهية والاعتراف
بأنه الخالق والاقرار بالعهد الذى أخذه عليه والرجاء بما وعد به والاستعاذة
من شر ما جنى العبد على نفسه وإضافة النعماء إلى موجدتها وإضافة الذنب إلى
نفسه ورغبته فى المغفرة واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو ، وفى كل
ذلك إشارة إلى الجمع بين الحقيقة والشرعية فإن تكاليف الشريعة لا تحصل
إلا إن كان فى ذلك عون من الله تعالى وهذا القدر الذى يمكن عنه بالحقيقة
فلو اتفق أن العبد خالف حتى يحرق عليه ما قدر عليه وقامت الحجة ببيان

المخالفة لم يبق إلا أحد أمرين إما العقوبة بمقتضى العدل وإما العفو بمقتضى الفضل انتهى نقله ابن علان عنه في شرح الرياض ، وقال أيضاً من شرط الاستغفار صحة النية والتوجه والأدب اهـ .

وفي كتاب نزهة المجالس قال رجل يارسول الله علمني عملاً يدخلني الجنة قال لا تغضب فأعاد عليه القول فقال لا تغضب ثم قال له استغفر الله تعالى قبل صلاة العصر سبعين مرة ليكفر عنك ذنوبك سبعين عاماً فقال مالى ذلك قال لأملك قال مالها ذلك لأبيك قال ماله ذلك قال لاخوانك قال نعم .

قال الإمام الغزالي رضى الله عنه اعلم أن كل واحدة من سنن الصلاة وأذكارها وتسيبحاتها لها تأثير في تنوير القلب بفاظط علمها جميعها فإن لكل واحدة منهن سرا وشرح ذلك يطول وإذا أتيت بذلك انتفعت به وإن لم تعلم أسرارها كما ينتفع شارب الدواء به وإن لم يعرف طبائع أخلاطه ووجه مناسبتها لمرضه اهـ .

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أنحب الأمان من أهوال يوم القيامة قال نعم قال قل استغفر الله العظيم لى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات فانه من قالها كل يوم وليلة خمسين وعشرين مرة كتب الله له أجر سبعين صديقاً .

(مسئلة)

هل الاستغفار أفضل أم كلمة التوحيد؟ قيل الاستغفار كالصابون فهو أفضل لمن أكثر سقوطه وكلمة التوحيد كالطيب فهي أفضل لمن حفظه المحبوب من

الذنوب ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما من عبد ولا أمة يستغفر الله في يوم سبعين مرة إلا غفر الله تعالى له سبعمائة ذنب وقد خاب عبد أو أمة عمل في يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب رواه البيهقي اهـ .

(تَتِمَّة)

اعلم أنه مر في ذكر التوبة عند قوله « ربنا اغفر لنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم » أنه نفع الله به اختار صيغة الدعاء فيها على صيغة إنشاء التوبة بما نقلناه من أن الاستغفار والتوبة على غير وجه التضرع والدعاء وعدم الاقلاع والإصرار يكون كذبا ، قال الامام الجزري في الحصن الحصين (عندما ذكر الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في المجلس الواحد رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم مائة) وما أحسن قول الربيع بن خيثم رحمه الله لا يهل أحدكم استغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل بل يقول اللهم اغفر لي وتب علي ، وليس كما فهم بعض أئمتنا أن الاستغفار على هذا الوجه لا يكون كذبا بل هو ذنب فإنه إذا استغفر عن قلب لاه لا يستحضر طلب المغفرة ولا يلجأ إلى الله بقلبه فإن ذلك ذنب عقابه الحرمان وهذا كقول رابعة استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير وأما إذا قال أتوب إلى الله ولم يتب فلا شك أنه كذب وأما الدعاء بالمغفرة والتوبة فإنه وإن كان غافلا فقد يصادف وقتا فيقبل فمن أكثر طرق الباب يوشك أن يلج ، ويوضح ذلك كثاره صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد منه مائة مرة وقطعه لمن قال استغفر الله وأتوب إليه بالمغفرة وإن كان قد فر من الزحف مرة أو ثلاث

مرات فيها قد كشف لك الغطاء فاجتر لنفسك ما يحلو (١).
وفي كتاب الزهد عن لقمان عوّد لسانك اللهم اغفر لي فإن الله تعالى
ساعات لا يرد فيهن سائلاً . اه من الحصن الحصين .

قال الشيخ ابن حجر في الفتح المبين فغير المعصوم والمحفوظ لا ينفك غالباً
عن المعصية فيعتقد يلزمه أن يحدد لكل ذنب ولو صغيراً توبة وهي البراد هنا
من الاستغفار إذ ليس فيه مع عدمها كبير فائدة وشتان بين ما يحجوه بالكسبية
وهو التوبة النصوح وبين ما يخفف عقوبته أو يؤخرها إلى أجل وهو مجرد
الاستغفار وفي هذا من التوبيخ ما يستحى منه كل مؤمن لأنه إذا لمع أنه
عز وجل خلق الليل ليطاع فيه سرّاً ويسلم من الرياء يستحى أن ينفق أوقاته
إلا في ذلك وأن يصرف ذرة منها للمعصية كما أنه يستحى بالجلبلة والطبع أن
يصرف شيئاً من النهار حيث يراه الناس للمعصية اه من الكلام على قوله
يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار الخ .

وقال ابن علان في شرح الرياض على قوله تعالى (ومن يغفر الذنوب إلا
الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) أى لم يقيموا على ذنوبهم بل اقروا

(١) في شرح ابن علان على الرياض نقلاً عن صاحب الفتح المبين أن من قال
أستغفر الله وأتوب إليه وهو مصر بقاءه على المعصية كاذب آثم لأنه أخبر أنه نائب وليس
حاله كذلك . فإن قال ذلك وهو غير مصر بأن أقلم بقلبه عن المعصية فقالت طائفة من
السلف يكره له ذلك لانه قد يعود إلى الذنب فيكون كاذباً في قوله وأتوب إليه والجمهور
على أن لا كراهة لأن العزم على أن لا يعود واجب عليه فهو إخبار عما عزم عليه في الحال
فلا يناق وقوعه منه في المستقبل فلا كذب بتقدير الوقوع اه من الخصا وكراهة الربيع
قول استغفر الله وتسميته كذباً غير مسامة له لأن معنى أستغفر الله أطالب مغفرته وليس
هذا كذباً وبكفي في رده حديث ابن مسعود من قال أستغفر الله الخ . وأما كراهته قول
وأتوب إليه لأنه كذب فمسامة إذا لم تحصل منه توبة وغير مسامة إذا أراد بها لإنشاء
توبة في الحال وقد أنشأها في نفيه اه مصححة .

واستغفروا وفي الحديث ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة . قال الحافظ في فتح الباري وفيه إشارة إلى أن شرط قبول الاستغفار الإقلاع عن الذنب وإلا فلاستغفار باللسان مع التلبس بالذنب كالتلاعب ، وقال في أثناء كتاب التوحيد : ويشهد لهذا أى اعتبار التوبة في نفع الاستغفار ما أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث ابن عباس رضى الله عنه مرفوعاً « التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالسهم زىء بره » اه ، وقال في قوله (وهم يعلمون) أى يعلمون أنها معصية أو أن الإصرار ضار أو أن الله يملك مغفرة الذنوب أو أنهم إن استغفروا غفر لهم ، وقال أيضاً فيما كتبه على الحديث القدسي « يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى أى تبت توبة صحيحة غفرت لك وأن تكرر الذنب والتوبة في اليوم الواحد » والذنوب وأن تكاثرت وبلغت ما عسى أن تبلغ تلاشت عند حلمه وعفوه فإذا استقال منها العبد بالاستغفار غفرت لأنه طلب الإقالة من كريم والكريم محل إقالة العثرات وغفر الزلات » .

قال صاحب الفتح المبين وما ذكرناه من أن المراد بالاستغفار التوبة لا مجرد لفظه هو ما ذكره بعضهم وهو الموافق للقواء ، بالنسبة للكبائر اذ لا يكفرها إلا التوبة بخلاف الصغائر فإن لها مكفرات أخرى كاجتناب الكبائر والوضوء والصلوات وغيرها فلا يبعد أن يكون الاستغفار مكفراً لها أيضاً وينبغي أن يحمل على هذا أيضاً تفهيد بعضهم جميع ما جاء في نصوص الاستغفار المطلقة بما في آية آل عمران من عدم الإصرار فإنه تعالى وعد فيها بالمغفرة من استغفره من ذنوبه ولم يصبر على ما فعله قال فتحمل نصوص الاستغفار المطلقة على هذا القيد اه . من شرح الرياض .

والحاصل أن الاستغفار إذا صاحبه ندم من الوقوع في الذنب فهو نافع

ماحق للذنوب وإن لم يستشعر المستغفر باقى شروط التوبة من العزم على عدم
العود إلى الذنب لأن فى ذلك اعترافاً بالذنب وتوحيداً وإقراراً
باعتقاد العبد أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ولكن الدعاء بقوله اللهم
اغفر لى وتب علىّ أولى لما مر عن الحصن عند قولنا « ربنا اغفر لنا وتب
علينا إنك أنت التواب الرحيم » ولذا تمحض الثواب الجزيل وعظم فى قول
استغفر الله للمؤمنين والمؤمنات لأنه مجرد دعاء لمن ذكر من غير إشعار
بإخبار عما قد يسمى كذباً وزوراً وإن لاقى ذلك نوع من الرياء وإظهار
التفجع والخوف بغير مبالاة فى السر والباطن كان ذلك من أعظم الذنوب
الموجبة لغضب من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور فقد يقع لكثير من
الناس هذا الحال لاسيما بمن هو عليم اللسان وجاهل القلب فإنه يراعى أمر
الظاهر ومجاملة الخلق من غير التفات إلى أمر الباطن وإطلاع من لا تفوته
لفتة ناظر ولا فلتة خاطر ، قال صاحب الراتب رضى الله عنه فى النصائح : ومن
المأثور أن من استغفر الله كل يوم للمؤمنين والمؤمنات سبعاً وعشرين مرة
صار من العباد الذين بهم يرحم الخلق وبهم يمحطون وبهم يرزقون وهذه صفة
الأبدال من رجال الله تعالى وعباده الصالحين اه . قال وبلغنا أن الإمام أحمد
ابن حنبل رحمه تعالى رأى بعد موته فى المنام فذكر أن الله تعالى نفعه كثيراً
بكلمات كان يسمعها من سفيان الثوري رحمه الله تعالى وهى هذه اللهم يارب
كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لى كل شيء ولا تسألن عن شيء اه .
معناه فعليك أيضاً بالإكثار من هذه الكلمات المباركات اه . وهو أيضاً من
صيغ الاستغفار وكان يرتبه بعد سنة العصر وقبل الفرض .

وأما الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات سبعاً وعشرين مرة فإنه يعمل عليه
. ويأمر به بعد كل صلاة مع لا اله الا الله أربعين مرة وتكرير الجلالة احدى

وعشرين مرة واستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحى القيوم خمساً وعشرين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم خمساً وعشرين مرة وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم خمساً وعشرين مرة واللهم صلى على محمد وعلى آله وصحبه وسلم خمساً وعشرين مرة وبعد الصبح والعصر خاصة استغفر الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم الحى القيوم الذى لا يموت وأتوب إليه رب اغفر لى خمساً وعشرين مرة اه ذكرنا ذلك تكميلاً للفائدة وأكثر هذه الصيغ من الوارد وقد علمت ما فى الاستغفار والتوبة مما مر فى شرح قوله ربنا اغفر لنا وتب علينا أنك أنت التواب الرحيم وقوله يا ربنا واعف عنا وامح الذى كان منا وقوله استغفر الله رب البرايا استغفر الله من الخطايا وكرر نفع الله به هذا النوع من الأذكار تنويعاً بشأن التوبة والاستغفار كما يعلم ما فيه من الفضائل مما مر من الآيات والأخبار والآثار .

وأما سره الذى منه إليه يضار وعليه المشغول به فى جميع أحواله المعول والمدار فذلك أمر لا ينكشف الا لدوى النور والاستبصار والوارثين للقائل أنه ليغان على قلبي وأنى لاستغفر الله فى اليوم أكثر من مائة مرة .

خاتمة

فى بيان هذا المقام الحاصل لسيد الأنام والمسك الختام يستأنس بها أهل الذوق والأهلام .

قال الامام الطيبي قدس سره شيخ الطريقين وأمام الفريقين تلميذ أبى حفص السهروردى صاحب العوارف (فى شرح هذا الحديث انه ليغان على قلبي قال محيى السنة ذكر فى الغين وجوها ، أحدها قال القاضى عياض المراد به

فترات وغفلات عن الذكر الذى شأنه الدوام فإذا فتر عنه أو غفل عنه عد ذلك ذنباً واستغفر منه ، وثانيها هو همه بسبب أمته وما اطلع عليه من أحوالهم بعده ويستغفر لهم ، وثالثها سببه اشتغاله بالنظر فى مصالح أمته وأمورهم وامداداتهم ومحاربة العدو وتأليف المؤلفة ونحو ذلك من معايشرة الأزواج والأكل والشرب والنوم وذلك مما يحجبه ويحجزه عن عظم مقامه فيراه ذنباً بالنسبة إلى ذلك المقام العلى وهو حضوره فى حظيرة القدس ومشاهدته ومراقبته وفراغه مع الله تعالى مما سواه ويستغفر لذلك ، ورابعها أن الاستغفار لإظهار العبودية والافتقار والشكر لله أولاً ، وخامسها يحتمل أن الغين هو حالة خشية وإعظام فالاستغفار شكر لها قال المحاسبي خوف المقرين خوف إجلال وإعظام ، وسادسها ، هو شيء يعتري القلوب مما تتحدث به النفس كل ذلك فى شرح مسلم وقال التوربشى سئل الأصمعى عن هذا الحديث فقال عن قلب من يروى فقال عن قلب النبي ﷺ فقال لو كان عن قلب غيره لكنت أفسره لك ، والله دره لا تنهاجه منهج الآداب واجلال القلب الذى جعله الله موضع وحيه ومنزل تنزله وبعد فإن قلبه مشرب سدت عن أهل اللسان موارده وفتيح لأهل السلوك مسالكه وأحق من يعرب أو يعبر عنه مشايخ الصوفية الذين نازل الحق أسرارهم ووضع الذكر أوزارهم ، ومن كلمات شيخنا شيخ الإسلام أبى حفص السهروردى قدس سره ينبغي أن لا يعتقد أن الغين نقص فى حاله ﷺ بل هو كمال أو تنمة كمال وهذا السر دقيق لا ينكشف إلا بمثال وهو أن الجفن المسبل على حدقة البصر وإن كانت صورته صورة نقصان من حيث هو إسبال وتغطية على ما من شأنه أن يكون بادياً مكشوفاً فإن المقصود من خلق العين إدراك المدركات الحسية وذلك لا يتأتى إلا بانبعاث الأشعة الحسية من داخل العين واتصالها بالمرئيات على مذهب قوم وبانطباع صور المدركات فى السكر.

الجلدية على مذهب آخرين فكيفما قدر لا يتم المقصود إلا بانكشاف العين وعراؤها عما يمنع من انبعاث الأشعة عنها ولكن لما كان الهوى محيطاً بالأبدان الحيوانية ولا يتخلو من الأغبرة الثائرة بحركة الرياح فلو كانت الحدقة دائماً الانكشاف لاستتضرت بملاقاتها وتراكبها عليها فأسبلت أغطية الجفون عليها وقاية لها ومصقلة لها لتصل الحدقة بإسبال الأهداب ورفعها لحفة حركة الجفن فيدوم جلاؤها ويحدد نظرها فالجفن وإن كان نقصاً ظاهراً فهو كمال حقيقة فكذا لم تزل بصيرة النبي ﷺ معرضة لأن تصدأ بالأغبرة الثائرة من أنفاس الأغيار فلا جرم دعت الحاجة إلى إسبال جفن من العين على حدقة بصيرته سترأ لها ووقاية وصقلاً عن تلك الأغبرة المثارة بروية الأغيار وأنفاسها فصيح أن العين وإن كانت صورته نقصاً فمعناه كمال وصف حقيقة ، ثم قال رضى الله عنه. وأيضاً إن روح النبي ﷺ لم تزل في الترقى إلى مقامات القرب مستتبعة للقلب في رفقها إلى مركزها وهكذا القلب كأنه يستتبع نفسه الزكية ، ولا خفاء أن حركة الروح والقلب أسرع وأتم من نهضة النفس وحركتها فكانت خطى النفس تقصر عن مد الروح والقلب في العروج والولوج في حريم القرب ولحوقها بهما فاقضت العواطف الربانية على الضعفاء من الأمة إبطاء حركة القلب بالقاء العين عليه لئلا يسرع القلب ويسرح في معارج الروح ومدارجها فتقطع علاقة النفس عنه لقوة الانجذاب فيبقى العباد مهملين محرومين عن الاستئثاره بأنوار النبوة والاستضاءة بمشكاة مصباح الشريعة وحيث كان يرى ﷺ غطاء القلب بالعين الملقى عليه وقصور النفس عن شأو رقى الروح إلى الرفيق الأعلى كان يفرع إلى الاستغفار إذ لم تف قواها في سرعة الحقوق بها وهذا من أعز مقول القول في هذا المعنى وأحسن مشروح فيه والله أعلم اهـ . وهذا وإن كان ثقلنا له مع عدم ذوقه كما قال صاحب الزايت نفع الله به .

إنا لنعلمه ولم نخط به ذوقاً لنا معنا من التشبث

لكنه يفيد الوقف عليه معنى رفعة مقامه ﷺ ويشير إلى ما يليق بكأله .

وقد سئل الشيخ أبو الحسن الشاذلي قدس الله روحه عن الغين المذكور في الحديث فأجاب بأنه غين أنوار لا غين أغيار وهذا الجواب يغني إجماله عن جميع ما مر من التفصيل لكن التفصيل فيه دلالة على أن تلك الأقاويل لا ينحصر فيها التأويل لأن العلوم والمعارف التي هي من كلمات الله لو كانت البحار مداداً لها لا تنفذ ولا تنهاى وليست لها غاية ولا نهاية ولهذا من كان أكثر علماً بها كان أكثر فضلاً وأزيد شرفاً فإنه ﷺ لما أعطى علم الأولين والآخرين كان بذلك مع فضل الله عليه أشرف المخلوقين وأفضل السابقين واللاحقين ، ومادة هذه العلوم الدنية من سرِّ قوله سبحانه وتعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) وقوله عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم وهذه العلوم الدنية هي علوم النوق للسادة الصوفية الذين أجود ما قيل في تسميتهم صوفية أن الصوفي هو العامل بعلمه والله أعلم .

الذكر الحادي والعشرون

«لا إله إلا الله» تهليلتين في نفس واحد أقله خمس وعشرون لا ينقص ليتم بذلك خمسون تهليلة بلا نقصان — كذا في المنقول عن جامعته رضي الله عنه ، وفي القرطاس للعارف بالله الحبيب علي بن حنين العطاس في ترجمة جامعته "رضي الله عنهما ثم يقول لا إله إلا الله مائة أو خمسين أو خمسا وعشرين اهـ ، ولا حد لاكثره كما مر :

واعلم أن هذه السكامة المشرفة المعظمة هي نور الله الذي أفاضه على قلوب

من اختارهم واختصهم لمراده كما في حديث إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور هدى ومن أخطأه ضل ، وإيمان كل عبد على قدر ذلك النور . وهى أيضا مفتاح الجنة ، قال بعضهم وهى كلمة الإخلاص وكلمة التقوى والكلمة الطيبة وهى دعوة الحق والعروة الوثقى وكلمة الرحمة وكلمة الفوز وكلمة الإسلام وكلمة القرب وكلمة التقريب وكلمة النجاة وهى كلمة الله العليا وهى ثمن الجنة قال الله عز وجل (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) فقيل الإحسان فى الدنيا لا إله إلا الله وفى الآخرة الجنة ومعناها لا إله مستغنيا عما سواه ومفتقرا إليه كل ماعداه إلا الله أولا إله معبود بحق فى الوجود إلا الله .

مبحث إعرابها

ووقع خلاف فى إعرابها على أقوال الراجح منها أن «لا» نافية للجنس و«إله» اسمها مبنى على الفتح وخبرها محذوف تقديره موجود و«إلا الله» مرفوع على البدلية من الخبر المحذوف — وخلاف آخر فى «إلا الله» هل هو استثناء متصل أو منقطع فمن قال إنه منقطع جعل المنفى ماهو فى ذهن المؤمن وهو كل معبود بباطل لأنه فى ذهن المؤمن معبود بباطل فالمؤمن لا يتردد فى كونه أى المنفى غير الله تعالى معبوداً بحق أو باطل وإلا كان كاذباً أو ينفى من حيث وجوده فى ذهن الكافر بوصف كونه معبوداً بحق وهذا هو الاستثناء المتصل عند من قال به لأنه يقدر أن هناك معبوداً بحق فى اعتقاد عابده كالأصنام والشمس والقمر وغيرها من سائر المعبودين فالمنفى حينئذ المعبود بحق فى ذهن الكافر من حيث أنه عنده وفى اعتقاده بوصف كونه معبوداً بحق أما من حيث كونه معبوداً

باطل فلا ينفي وإلا كان كذباً لأن ما هناك معبود وتسمية عابده له إلتها غير معتبر فهو من حيث وجوده في الخارج في نفسه لا ينفي وكذا من حيث وجوده في ذهن المؤمن بوصف كونه باطلاً إذ كونه معبوداً باطلاً أو حق لا يصح نفيه وإلا كان كاذباً كما مر .

وقال السحيمي في شرح عبد السلام على الجوهرة وإنما ينفي من حيث وجوده في ذهن الكافر بوصف كونه معبوداً بحق فلم ينف لا إله إلا الله إلا المعبود بحق غير الله على التحقيق والمعنى لا معبود بحق موجود إلا الله اهـ . وهذا على قول من يقول الاستثناء متصل ، والأسلم قول من قال أن النفي إنما تسلط على الآلهة المعبودة بباطل بتزيلها منزلة العدم أى فلا إثبات لألوهيتها ووجودها لا حكماً ولا حقيقة وإنما وجودها في الخارج صورة في ذهن الكافر فافهم — هذا عند علماء الكلام نحواً وأصولاً وأما عند علماء التجريد والتفريد لاثبات حقيقة إلا وجوده تعالى وكل ما سواه عديم لأن قيامه وظهوره به تعالى .

مبحث فضلها على سائر الأذكار

وأما فضلها وشرفها على سائر الأذكار وخاصيتها في تنوير القلب وصلاحه وعموم نفعها حتى المنافق إذا قالها عن غير تصديق وإيمان بمقتضاها فإنها تعصم دمه وماله كما في الحديث وسياقاً فإنها تجمع جميع العقائد البار تفصيلها في قوله آمنا بالله واليوم الآخر ويأتي فيه زيادة بيان وقد تكررت في الكتاب العزيز في آيات كثيرة قال تعالى (وإلهمسك إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) (فاعلم أنه لا إله إلا الله) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة

وأما الأخبار ففي الحديث القدسي « لا إله إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي » ، وقال صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » وهي أفضل الذكرك كما قال صلى الله عليه وسلم « أفضل الذكرك لا إله إلا الله » وقال « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور كآني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رءوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » وقال « إنها أفضل الحسنات » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أباهريرة إن كل حسنة توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أباهريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تهديم الذنوب هدماً قلت يارسول الله هذا للموتى فكيف الأحياء قال هي أهدم وأهدم » وقال صلى الله عليه وسلم « كلكم لتدخلن الجنة إلا من أبى وشرد على الله شرود البعير على أهله فقيل يارسول الله من الذي يأبى فقال من لم يقل لا إله إلا الله فأكثر من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها » وقال صلى الله عليه وسلم « جددوا إيمانكم فقالوا يارسول الله كيف نجدد إيماننا قال أكثروا من قول لا إله إلا الله ليس لها من دون الله حجاب حتى تخلص إليه ، قولها لا يترك ذنباً ولا يسبقها عمل » وروى أن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت على صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس معها ، وفي الخبر ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصاً إلا صعدت ولا يردّها حجاب فإذا وصلت إلى الله سبحانه وتعالى نظر سبحانه وتعالى إلى قائمها وحق على الله تعالى أن لا ينظر إلى موحد إلا يرحمه ، وحديث البطاقة المشهور عن عبد الله بن عمرو بن

العاص رضى الله عنهما والسجلات التسعة والتسعون المذكورة إلى أن قال في آخرها فتخرج بطاقة بيضاء فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع لا إله إلا الله شيء ، وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال إن نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمرتك باثنتين وأنها كما عن اثنتين أنها كما عن الشريك والكبر وأمرتك بلا إله إلا الله فان السموات والأرض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت لا إله إلا الله أرجح منها ولو أن السموات والأرض وما فيهما كانت حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لتقسمتها وأمرتك بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل نبي وبها يرزق كل شيء ، ويروى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ما على الأرض أحد يقول لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كفرت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحار ، وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « أفضل الذكر لا إله إلا الله » ، قال بعض المحققين إنما جعل التهليل أفضل الذكر لأن له تأثيراً في تطهير الباطن عن الأوصاف الذميمة التي هي معبودات في باطن الذاكِر قال تعالى (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) فيفيد نفى عموم الألوهية بقوله لا إله ويثبت الواحد بقوله إلا الله ويعود الذَكَر من ظاهر لسانه إلى باطن قلبه فيتمكن فيه ويستولى على جوارحه — وجد حلاوة هذا من ذاق — قال وقال المظهر إنما كان التهليل أفضل الذكر لأنه لا يصح الإيمان إلا به وإنما جعل الحمد أفضل الدعاء لأن الدعاء عبارة عن ذكر الله تعالى وأن يطلب منه حاجته والحمد لله يشملها فإن من

حمد الله إنما يحمد على نعمته والحمد على النعمة طلب مزيد قال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) اه . .

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله لا إله إلا الله من الحسنات قال هي من أحسن الحسنات ، وعن أبي سعيد رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ ، قال قال موسى عليه السلام يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به قال قل يا موسى لا إله إلا الله ، قال موسى يا رب كل عبادك يقول هذا قال يا موسى قل لا إله إلا الله قال لا إله إلا أنت إنما أريد شيئاً تخصنى به قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهن لا إله إلا الله ، وعن عياض الأنصارى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا إله إلا الله كلمة كريمة على الله تعالى ولها عند الله مكان من قالها صادقاً من قلبه دخل الجنة ومن قالها كاذباً حقت دمه وأحرزت ماله ولقى الله فحاسبه » وعن سهيل بن البيضاء رضى الله عنه قال بينا نحن مع رسول الله ﷺ فقال ياسهيل بن البيضاء ورفع صوته مرتين أو ثلاثاً فعرف من أمامه ومن قدماه أنه يريدهم جالس من كان بين يديه ولحقه من كان خلفه حتى اجتمعوا فقال رسول الله ﷺ « من شهد أن لا إله إلا الله حرم الله عليه النار وأوجب له الجنة » وعن عمرو بن عبسة رضى الله عنه أن شيخاً كبيراً أتى النبي ﷺ وهو يدعم على عصا فقال يا نبي الله إن لى غدرات وجفرات فهل تُغفر لى فقال أليس تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قال بلى يا نبي الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن الله قد غفر لك غدراتك وجفراتك فانطلق الرجل يقول الله أكبر الله أكبر ، وعن أبي ذر رضى الله تعالى عنه قال أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو

فَأَمَّ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقِظَ فَقَالَ «مَامِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ
إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ كَرَّرَهَا ثَلَاثًا وَقَالَ
فِي الثَّلَاثَةِ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغَمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ» فَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ، وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَامَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ حَقًّا
مَنْ قَلْبُهُ فِيَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا حَرَّمَ عَلَى النَّارِ وَهِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي حَدِيثٍ
أَبَى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَبَى سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «مَنْ قَالَ فِي مَرَضٍ
مُوتَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَمَاتَ مِنْ مَرَضِهِ
لَمْ تَطْعَمَهُ النَّارُ» وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «إِنْ لَمْ يَمُودَا
مِنْ نُورٍ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ اهْتَزَّ ذَلِكَ الْعَمُودُ
فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ اسْكُنْ فَيَقُولُ كَيْفَ اسْكُنْ وَلَمْ تَغْفِرْ لِقَائِلِهَا فَيَقُولُ
قَدْ غَفَرْتُ لَهُ فَيَسْكُنُ عِنْدَ ذَلِكَ» وَعَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّوْرَةِ لَوْ لَا مَنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
لَسَلَّطْتُ جَهَنَّمَ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي يَوْمِهِ كَانَتْ كَفَّارَةً لِكُلِّ ذَنْبٍ لَصَاحِبِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ» وَذَكَرَ
ابْنُ أَبِي الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ سَمِعُوا
أَشْجَارَهَا وَأَنْهَارَهَا وَجَمِيعَ مَا فِيهَا يَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
كَلِمَةً نَغْفُلُ عَنْهَا فِي الدُّنْيَا وَحَدَّثَ أَيْضًا يَهْتَزُّ الْعَرْشُ لثَلَاثَ إِحْدَاهَا لِقَوْلِ الْمُؤْمِنِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قُلْتُ وَهَلْ اهْتَزَّاهُ لِقَوْلِ كُلِّ مُؤْمِنٍ لَهَا أَمْ يَخْتَصُّ بِذَوِي الْكَمَالِ
وَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ يَحْتَمِلُ أَنْ اهْتَزَّاهُ يَكُونُ اسْكُلُ مُؤْمِنٍ مُطْلَقًا فَيَكُونُ

تعظيماً لهذه الكلمة الشريفة ، ويحتمل أن يختص ذلك بكل مؤمن عارف لخروجها مع كمال ومعرفة كما ورد اهتزاز لموت سعد بن معاذ رضي الله عنه خاصة ، وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه ومدّها بالتعظيم غفر له أربعة آلاف ذنب من الكبائر قيل فإن لم تكن له هذه الذنوب قال غفر له من ذنوب أبويه وأهله وجيرانه

ولما ذكر الإمام النووي رضي الله عنه في المجموع تدبّر الذكر قال ولهذا كان المذهب الصحيح المختار أن مدّ التذكير قوله لا إله إلا الله أفضل من حذفه لما في المدّ من التدبر اهـ ونقل الإمام محمد بن علان رحمه الله تعالى هذا الأثر عن شرح العقيدة السنوسية قال ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم المرفوع ، قال وقال في الحزب الثمين المراد أن يعد في موضع يجوز مدّه كألف لا ولا يزيد على قدر خمس ألفات فإنه أكثر ما نقل عنه عليه السلام عند القراءة مع تجويز القصير في الأداء وأما مدّ «إله» فلحن لا يجوز زيادة على قدر ألف ويسمى مدّاً طبيعياً وكذلك في لفظ الجلالة وضلاً وأما وقفاً فيجوز طوله وتوسطه وقصره والأول أولى لكنه قدر ثلاث ألفات ، ويجب أن يقطع همزة إله وكثيراً ما يلحن فيه بعض العامة فيبدلون ياء ، ولا يجوز الوقف على إله لأنه يؤهم الكفر ، قال بعض العلماء بعض الكلمة الطيبة كفر وبعضها إيمان ، وليلاحظ في النفي نفي ما سواه من سائر الأكوان والأحوال وفي الاستثناء شهود الإله فالكلمة الشريفة جامعة بين التخلية والتحلية «بالمعجمة ثم بالمهملة» والتقدير لا إله معبود أو موجود أو مطلوب أو مشهود إلا الله بحسب مقامات أهل الذكر وحالات ذوى الفكر ثم لا يلزم من مدّ التذكير رفع الصوت فإنه قد ينهى عنه بأن شوش على مصل أو نائم أو نحوه ، قال الشيخ إبراهيم اللقاني

في شرح جوهره التوحيد له قال ابن ناجي قد اختلف العلماء هل الأفضل للمكلف عند التلفظ بلا إله إلا الله المد للآلف من لا النافية أو القصص فمنهم من اختار المد ليستشعر التلفظ بها نفي الألوهية عن كل موجود سواء تعالى ومنهم من اختار القصص لئلا تخترمة النية قبل التلفظ بذكر الله تعالى ، وفرق الفخريين أن تكون أول كلام فتقصر وإلا فتمد اه وأما حذف ألف الله فهو لحن لا ينعقد معه يمين ولا يصح ذكر اه ، وقال الشيخ علي بن عبد البر الوائلي رحمه الله تعالى في رسالة سماها نجاة الروح وكثر الفتوح فيما يتعلق بالذكر في شروط الذكر وآدابه : وأن يجتنب الخطأ كاللحن فلا يبذل حرفاً بحرف آخر ولا يسقطه ولا يزيد المد من لا على أربعة عشر حركة وأقل المد حركتان فلا يجوز النقص عنهما لأنه يصير الكلام إثباتاً وهو كفر عند قصده ويمد لفظ الجلالة حركتين فأكثر إلى ست ويسكن نهاءها ويقطع الهمزة من إله ويمد اللام فيه قدر حركتين اه ومرة في المقدمة التنبيه على المحافظة على تأدية هذه الكلمة الشريفة ومراعاة لفظها على وجه الإحسان .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه قال الشيخ الغريبي رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بهجة الأنوار بعد أن روى بعض هذه الأحاديث قد انكشف لأهل البصائر والأنوار والمعارف والأسرار أن جميع العاوم فروع لعلم لا إله إلا الله وما من علم من علوم الغيب والشهادة إلا وهو منتظم في سلك لا إله إلا الله مستثمر من ثمار أسرارها ولذلك اكتفي

بعامها للنبي ﷺ إجمالاً وتفصيلاً فقال تبارك وتعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله) اهـ .
ففي ضمير الشأن أى شأن لأن المنوه به فى الاعلام هو الحكم الذى ترتبت عليه
جميع الأحكام والعنوان الذى شرف به أهل الإسلام والإيمان والإحسان وحصل
لهم به الأمان والرضوان فى غير موقف . ومكان إلى دخول الجنان ، وقال الشيخ
صاحب الراتب نفغنا الله به فى كتابه « اتحاف السائل فى جواب المسائل » سألت
أكرمك الله باللهم النورانى عن معنى لا إله إلا الله فاعلم أن جميع العلوم الدينية
ووسائلها ترجع إلى شرح معنى هذه الكلمة وشرح حقها الذى هو الأمر
والنهى والوعد والوعيد وما يتبع ذلك وما كان شرحاً لحقها أى لما يلزم بها
ويتعلق بالمكلف . بسببها كان شرحاً لها بحكم التبعية ، والقصد التعريف بأنه
لا سبيل إلى الإحاطة بشرح علومها فضلاً عن إirاده اهـ . فافهم كلامه رضى
الله تعالى عنه أن كل فرد فرد من أهل ملة الإسلام فى مراتب الإيمان ودرجات
الإحسان يكون له من علم لا إله إلا الله ولوازمها وأحكامها ما لا يحاط به لأنه
لا يزال فى كل وقت وفى كل مكان تتعاور عليه الأحكام لأنه فى كل ما توجه عليه
من أحكام الدين ولوازم الشرع من الأوامر والنواهى فهو ملترئمه بمقتضى
لا إله إلا الله هذا فيما يتعلق من الأحكام بالجنان واللسان والأركان ، وأما فيضان
علومها الذى هو ثمرة ووجدان فهو من خبر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر حققنا الله بحقائقها ، ثم قال صاحب الراتب فى الكتاب
المذكور بعد كلام طويل : واعلم أن هذه الكلمة أجمع الأذكار وأنفعها وأقربها
إلى الفتح وصلاح القلب واستنارته بنور الله وأولاها بكل أحد وذلك لتضمنها
معانى جميع الأذكار من التمجيد والتسبيح وغيرها ، وينبغى لسلك مؤمن أن
يجعلها ورده اللازم وذكره الدائم ومنع ذلك فلا ينبغى له أن يهجر بقية الأذكار

بل يجعل له من كل منها ورداً اه ، وقوله إنها تتضمن جميع معانى الأذكار
قال الحجة الغزالي رضى الله عنه ما فى القرآن من شىء إلا وهو هدى ونور
وتعرف من الله سبحانه وتعالى إلى خلقه فتارة يتعرف إليهم بالتقديس فيقول (قل
هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) وتارة يتعرف إليهم
بصفات جلاله فيقول (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر)
وتارة يتعرف إليهم بأفعاله الخوفاً والرجوة فيتلو عليهم سنته في أوليائه وأعدائه
فيقول (ألم تركب مع ربك أصحاب الفيل) ولا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة
وهى الإشارة إلى معرفة ذات الله وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة
أفعاله وسنته مع عباده ، ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام
وازنها رسول الله ﷺ بثلاث القرآن لأن منتهى التقديس أن يكون واحداً فى
ثلاثة أمور — لا يكون حاصلها منه ما هو شبهه ومن نوعه ودل عليه قوله «لم يلد»
— ولا يكون هو حاصلها من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله «ولم يولد» — ولا يكون فى
درجته من هو مثله وإن لم يكن له أصلاً ولا فرعاً ودل عليه قوله «ولم يكن له
كفواً أحد» ويجمع جميع ذلك «قل هو الله أحد» ويجمع جميع هذا التفصيل قولك
لا إله إلا الله ، وقال سفيان بن عيينة رضى الله عنه يقال لا إله إلا الله فى الآخرة
بمنزلة الماء فى الدنيا لا يخبى شىء فى الدنيا إلا على الماء قال الله تعالى (وجعلنا من
الماء كل شىء حى) فلا إله إلا الله بمنزلة الماء فى الدنيا من لم يكن معه لا إله إلا الله
فهو ميت ومن كانت معه فهو حى وقال ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من
أن عرّفهم لا إله إلا الله ، وقال الشيخ العرينى رحمه الله تعالى بعد أن نقل
كلام الأحياء وهذه الكلمة الشريفة لها خاصية فى تنوير الباطن وجمع الهمة
إذا داوم عليها صادق وهى من مواهب الحق جل وعلا وفيها خاصية لهذه الأمة ،

وروى أن عيسى عليه السلام قال يا ربّ انبئني عن الأمة المرحومة قال
أمة محمد ﷺ علماء حلماء أتقياء حكماء كأنهم أنبياء يرضون مني بالقليل من
العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله ، يا عيسى
هم أكثر سكان الجنة لأنهم لم تذلل ألسن قوم قط بلا آله إلا الله كما ذلت ألسنتهم
ولم تذلل رقاب قوم بالسجود كما ذلت رقابهم اه ، وقوله رضي الله عنه أيضاً
وشرح حقها الذي هو الأمر والنهي إلى آخره يقتضى أن من قالها ولم يقم بما
هو من حقها ولا عامل بها بل يقولها بلسانه ويرتكب المحرمات ويتساهل
بالواجبات فذلك غير نافع له كما ذكر معنى ذلك الإمام الغزالي رضي الله عنه في
الاحياء واستدل له بقوله ﷺ لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله
ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم ، وفي لفظ آخر ما لم يبالوا ما نقص من
دينهم بسلامة دنياهم فإذا لم يفعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم
لستم بها صادقين . وفي حديث آخر من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة
قيل وما إخلاصها قال أن تحرزه عما حرم الله تعالى ، وقال صلى الله عليه وسلم
ما آمن بالقرآن من استحل مخارمه .

وقال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي قدس الله سره في كتاب
تحفة الراغبين وتذكرة السالكين واعلم أن الواجب على كل إنسان
يقول لا إله إلا الله أن يسأل الله تعالى في آناء الليل والنهار أن لا ينزع هذا
القول عنه وأن يحفظ نفسه من المعاصي فإن كثيراً من الناس يقولون هذا
القول وينزع منهم في آخر أعمارهم بسبب أعمالهم الخبيثة فيخرجون من الدنيا
على الكفر فأى معصية أعظم من هذا أن يكون الرجل اسمه من المسلمين جميع
عمره فيبعث يوم القيامة واسمه من الكافرين وذلك كله بسبب ارتكاب

المحرمات في السرائر والتهاون بالدين اهـ ، وقد مرّ عن النصائح لصاحب
الرائب أن كثيراً ما يختتم لهم بخاتمة السوء بسبب تضييعهم لبعض الأوامر مع
ارتكابهم لبعض المذاهب الشرعية وهذا كثيراً ما يقع لأهل الغفلة الذين يرتكبون
المنهيات ويتركون المأمورات غير محتفلين بجانب الدين وليس لهم التفات إلى
ما يترتب على ذلك من العقوبات ولا يخطر ببالهم الخوف من الله تعالى فذلك

من عدم استقرار الإيمان وثبوته في القلب بل هو إلى التزلزل والشك أقرب
فبعد الموت يكون كذلك ، وأما من له إيمان وإن ضعف غير أنه يقع في المحرمات
وهو مستشعر أن ذلك فيه مخالفه لربه ونقص في دينه وضعف في إيمانه [فإيمانه
ناقص وهو إلى الخير أقرب] ولهذا المعنى قيد بالاختصاص حديث من قال لا إله إلا
الله خلاصاً من قلبه دخل الجنة وفسر اختصاصها بأن يحزره عما حرم الله تعالى فهذا في
حق الإيمان الكامل ، وأما الناقص فقد يقع معه الذنب والوقوع في المعصية ولكنه
كما مر يكون معه نوع من الخوف والوجل والإيمان بيوم الحساب فيأتي بما أتى به
من المأمورات مع قصد الامتثال والاحتراز عن الإهمال بخلاف مامر من حال الأول
من أنه يأتي بما أتى به من الأوامر الشرعية على ضفة العادة والموافقة غافلاً عما يراد
منه وبه من الأمور المستقبلية من الموت وما بعده وإن ارتكب منها فكذلك حال
هذا الرجل خطر إن لم يتداركه الله بالتوبة النصوح ، وأما الأول فهو وإن
جرت منه الطغوات والتبعات فإيمانه نافعه يوم القيامة كما في حديث الشفاعة أنه
صلى الله عليه وسلم بعد السجدة الأولى يقول أمّتي أمّتي فيقال له انطلق فمن كان
في قلبه مثقال حبة من برة أو من شعيرة من إيمان فأخرجه منها فانطلق فافعل
وبعد السجدة الثانية يقال له انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من
إيمان فأخرجه منها فانطلق فافعل وبعد الثالثة يقال له فمن كان في قلبه

أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فافعل
وبعد الرابعة أقول يا رب ائذن فيمن قال لا إله إلا الله قال ذلك ليس ذلك أوليس
ذاك إليك ولكن وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي لأخرجن من النار من
قال لا إله إلا الله . والحديث مذکور بطوله في صحيح مسلم .

فهذا كله فيمن مات على الاسلام وإن عظمت سيئاته ومعاصيه فإن حاله
أنه من أهل الجنة بعد ما يؤخذ ويعاقب بما جناه على نفسه وارتكبه من
المخالفات كما حكى في الاحياء عن الحسن البصري رضى الله عنه أنه لما روى
حديث آخر من يخرج من النار بعد ألف سنة قال وياليتنى ذلك الرجل أى أنه
محقق لموته على الاسلام دخوله الجنة فهكذا كان خوف العارفين إنما هو من
سوء الخاتمة كما ذكر ذلك صاحب الزايت نفع الله به في أوائل النصائح .

وأعلم أن ما ذكره الأئمة العارفون من تأثير هذه الكلمة في تطهير
القلب وتنويره وسعادة قائلها والعاكف على تلاوتها وتكريرها
في الآخرة إنما هو مع الأخلاص والحضور مع ما ذكره أيضا من شروط
وآداب وإلا كانت قليلة التأثير والجدوى ، قال محمد بن عبد الله الدميري في
« سفينة النجاة إلى طريق معرفة الآله » في ذكر الحضور فإذا قلت لا إله
إلا الله وانت غافل القلب ساهى السر فلست بذاك فويل للمصلين الذين هم
عن صلاتهم ساهون فإذا ذكرته كن كلك قلبا وإذا نطقته به كن كلك
لساناً وإذا سمعته كن كلك سمعاً وإلا فانت تضرب في حديد بارد فما احترق
لسان أحد بقوله نار ولا استغنى أحد بقوله ألف دينار ، القول قشر والمعنى لب فما
يصنع بالقشر مع فقدان اللب ، القول صدف والمعنى در فما يصنع بالصدف مع فقدان
الدر ، القول بمنزلة الورق من الشجرة وكلمة التوحيد بمنزلة الشجرة ومثل كلمة طيبة

كشجرة طيبة فعروق هذه الشجرة التصديق وساقها الاخلاص وأغصانها الأعمال وأوراقها الأقوال فكما أن أدنى ما في الشجرة الأوراق كذلك أدنى الإيمان الأقوال فهي شجرة السعادة إن غرستها في منبت التصديق وسقيتها من ماء الاخلاص وراعيها بالعمل الصالح رسخت عروقها وثبت ساقها واخضرت أوراقها وأينعت ثمارها وتضاعفت ثؤتى أكلها كل حين يأذن ربها فثمرتها التوبة واليقظة والزهد والورع والتوكل والتسليم والتفويض وكل صفة من الصفات الالهية وكل خصلة من الخصال الجنانية الطاهرة إلى آخر ما ذكره. وقد مرت الإشارة إلى أن شرح هذه الكلمة العلوم من الأحكام والمعارف والحقائق وغيرها فلا مطمع إلا في الرمز والإشارة إلى ما بينه اللبيب العاقل الموفق ليلمسك بها علما وعملا وذوقا كما قال الشيخ عبد الله في النصائح وما ورد في فضل هذه الكلمة كثير شهير ، والقصد الإشارة دون الاستقصاء. ويكفي في معرفة فضلها أنها الكلمة التي بها يدخل الإنسان في الاسلام ومن ختم له عند الموت بها فاز بالسعادة الأبدية التي لا شقاوة بعدها ؟ اللهم يا كريم نسألك أن تحيينا وتميتنا وتبعثنا على قول لا إله إلا الله مخلصين ووالديننا وأحبائنا والمسلمين آمين اهـ .

الذكر الثاني والعشرون

خاتمة أذكركم هذا الراتب المبارك وهو أن يقولوا بعد العدد المراد من كلمة الشهادة « لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ورضى الله تعالى عن أهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الأكرمين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وعلينا معهم وفيهم

برحمتك يا أرحم الراحمين » أتى فيه بهذه الصيغة لأنه لا يصح إيمان عبد وإن كرر لا إله إلا الله وآمن بمقتضاها إلا إن آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام لأن الإيمان به يتضمن الإيمان بسائر الأنبياء والرسل والملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر وما فيه وأيضاً التصريح برسالة ﷺ يستلزم تصديقه في كل ما جاء به وفي الاتيان بها في آخرمرة إشارة إلى تأكد تكرير لا إله إلا الله مجردة لقوله ﷺ في الحديث المار جددوا إيمانكم بلا إله إلا الله وفي الحديث الآخر « من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة ، قال في التحفة أى مع المقربين وإلا فكل مسلم يدخل الجنة لكن بعد ما يؤخذ بقدر ما عليه من العقوبة المرتبة على الذنب إذا لم يغفر له اهـ . وينبغي أن تقترن بها في بعض الأحيان ليكون التجديد للشهادتين مع استحضار معناهما ومعرفة ، وقد روى القاضي عياض في الشفاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : مكتوب على باب الجنة أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها ، وفي شرح الحبيب أحمد بن الحسن حفيد صاحب الراتب : وفي بعض الآثار روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ولا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفاً فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كفر كل حرف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب إذا قالها كل يوم مرة أى أو كل ليلة .

وقوله وشرف وكرم ومجد وعظم أى وزاده شرفاً وكرماً ومجداً وتعظيماً وقد قرر العلماء أنه يجوز أن يقول الواهب اللهم اجعل ذلك زيادة في شرفه ﷺ قالوا وذلك لأن الكامل يقبل التكميل كما مر في مبحث الترقى ، والمجد هو السعة في الكرم والجلالة والعز والشرف ، ثم عقب ذلك بالترضى عن صحابته رضى الله عنهم لاستحقاقهم الدعاء لهم من الأمة لكونهم

(م ١٣ — ذخيرة المعاد)

حملة نصوص الشريعة وحافظيها ومؤديها إلى من بعدهم فهم آباء من بعدهم أبوة
أخص من أبوته ﷺ فهم أنصار الله تعالى ورسوله والدين على اختلاف مراتبهم،
ثم خاصة المشايخ والوالدين والمعارف والمحبين فكل ذلك من القيام بالحقوق
لهم قال الله تعالى (أن أشكر لى ولوالديك) فإنه يشمل جميع الوسائط في الدين
والطين ولا أحوج للصلة والدعاء من الإنسان بعد موته ، قال صاحب الراتب
في كتابه «سبيل الإدكار» بعد أن حث ورغب في القيام بحق الأقربين بعد الموت
والتصدق عليهم والدعاء لهم ، وروى عنه عليه الصلاة والسلام « لولا الأحياء
لهلك الأموات » أى لما يصل إليهم من دعائهم واستغفارهم والترحم عليهم
وقال عليه الصلاة والسلام أمقى مرحومة تدخل قبورها بذنوب ، كالجبال
وتخرج من القبور وقد غفر لها باستغفار الأحياء للأموات اهـ . ويقال بعد
ذلك أيضاً « وعن التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين وعنا وعن الدنيا وعن
مشايخنا وعن جميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين » وفي ذلك تعميم جامع
إذ الصحابة رضى الله عنهم الذين مات عنهم عليه الصلاة والسلام كعدد الأنبياء
وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ولكل صحابي تابعون ولكل ولى
كذلك وقد صح أيضاً أن لكل نبى من هذه الأمة تابعاً في كل زمن وبهذا
التعميم فيما ذكر من الحتم يحصل الشمول ويرجى القبول والله أعلم .

الذكر الثالث والعشرون

« قراءة سورة الإخلاص » ثلاثاً « والمعوذتين مرة مرة » وهذه السور
الثلاث من أجمع ما ورد في التحصينات وأنفعها وفيها من قواعد التوحيد
ما يكفي الفطن اللبيب وقد شرعت قراءتها صباحاً ومساءً وفيه فضل عظيم

وثواب كثير وحينئذ نسلك في السلام عليها ما سلكناه في الآيات المتقدمة أول الراتب .

فضل سورة الإخلاص

فأما فضلها فلو لم يكن في فضلها إلا أنها تسمى سورة نسبة الرب تعالى (الكافي) وذلك لما روى أبو العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا الرسول ﷺ أنسب لنا ربك فنزلت. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن عامر بن الطفيل وأزيد بن ربيعة أتيا النبي ﷺ فقال عامر إلى من تدعونا يا محمد فقال إلى الله تعالى قال صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت وأهلك الله تعالى أزيد بالصاعقة وعامرا بالطاعون ، وفي رواية إن ناساً من أجبار اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فإن الله تعالى أنزل نعمته في التوراة فاخبرنا من أى شيء هو وهل يأكل ويشرب ومن ورث ومن يرثه فنزلت قل هو الله أحد .

(تنبيه)

مرّة عن الإمام الغزالي رضي الله عنه ما حاصله أنه سبحانه غني عن أن يكون حاصلًا من هو شبهه ونظيره ولا يكون حاصلًا منه ما هو كذلك ولا يكون في درجته ما هو مثله ودل على ذلك قوله (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن كفوًا أحد) وذلك أجمع في الحجة بما نزل في جواب فرعون من موسى عليه السلام عندما سأله عن ماهية الرب جل وعلا إذ قال (وما رب العالمين) فأجاب عليه السلام بقوله (رب السموات والأرض) إجابة بتعريفه بالأفعال وهو خلق السموات والأرض إذ كانت الأفعال أظهر عند السائل فقال فرعون ابن حوله ألا تستمتعون كالنكر عليه في عدوله

عن جوابه عن طلب الماهية فقال موسى (ربكم ورب آبائكم الأولين) فنسبه فرعون إلى الجنون إذ كان مطلبه المثال والماهية وهو يحجبه عن الأفعال فقال (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) هذا حاصل ما ذكره الغزالي في مشكاة الأنوار .

ولهذه السورة أسماء كثيرة منها سورة التفريد وسورة التجريد وسورة التوحيد وسورة الإخلاص وسورة النجاة وسورة الولاية وسورة المعرفة وسورة الجمال وسورة القشقة وسورة المعوذة وسورة الأحد وسورة الصمد وسورة الأساس ، قال عليه السلام أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد والمائة لأنها تمنع فتنة القبر ولفحات النار وسورة المخضر لأن الملائكة تخضر لاستماعها إذا قرئت والمنفرة لأن الشياطين تنفر عند قرائتها وسورة البراءة لأنها براءة من الشرك وسورة النور لأنها تنور القلب وسورة الأمان قال ﷺ إذا قال العبد الله قال الله دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي . فهذه عشرون اسماً ، وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « يقول الله كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذبيه إياي يقول لن يعيدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون على من إعادته وأما شتمه إياي فبقوله اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد » ، وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك وكان الرجل يتقلمها فقال له رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن وقد مر في فضل الذكر حكمة كونها ثلث القرآن ، وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ

بعث رجلاً في سرية فكان يقرأ في صلاته فيختم بـ (قل هو الله أحد) فلما
رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال سلوه لأى شيء يصنع ذلك فسألوه
فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها فقال ﷺ أخبروه أن الله يحبها،
وروى الترمذى عن انس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً
يقرأ قل هو الله أحد فقال ﷺ وجبت قلت وما وجبت قال الجنة، وروى
انس أيضاً أن رسول الله ﷺ قال من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة
غفرت ذنوبه، وعن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال من قرأ
قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة بنى الله له قصراً في الجنة ومن قرأها عشرين
مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور
في الجنة فقال عمر رضى الله عنه إذن تكثر قصورنا فقال ﷺ جنة الله أوسع من
ذلك، وروى الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ قال من قرأ
قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح إثنى عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع
مرات وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى، وروى أنه ﷺ قال من قرأ
قل هو الله أحد في مرضه الذى يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر
وحملته الملائكة بأ كفها حتى تخرجه الصراط إلى الجنة، ونقل السجاعي عن
شرح العباب لابن حجر رحمه الله تعالى قال من قرأها مائتي مرة غفر الله له
ذنوبه مائتي سنة ومن قرأها ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله، وقد أفرد
فضلها بالتأليف.

وقد وردت السنة بكثرة قرائتها في أوقات مخصوصة كليلة الجمعة ويومها
ويوم عرفة وغير ذلك وفي صلوات كذلك مذكورة في كتب الفروع قال
السجاعي:

(فائدة)

قال الزركنى ما اعتيد من تكرير سورة الإخلاص عند ختم القرآن نص الإمام أحمد على منعه أى فينبغى تركه كذلك نقله الشهاب ابن حجر كالسيوطى اهـ . وقد رأيت فى شرح الفصول لأبى شبيب الخصومى توجيه ذلك بأن تكريرها أربعاً مرة للختمه وثلاثاً لتحصيل ثواب ختمه أخرى لما ورد أن المرة متها تعدل ثلث القرآن .

معنى سورة الإخلاص

وأما معناها فقوله (بسم الله) أى الذى له جميع الكمال والجلال والجمال (الرحمن) الذى أفاض على خلقه سوانح الافضال (الرحيم) الذى خص أهل وداده من نور الإنعام بالإتمام والإكمال (قل هو) أى الشأن أو المسئول عنه أى الذى سألتهمونى عنه كما فى الأخبار قريباً (الله) فضمير الشأن مبتدأ والله مبتدأ ثان و (أحد) خبر عنه أو ضمير الشأن مبتدأ وخبره الله وأحد خبر ثان أو بدل ، وقوله أحد أى فى الذات إذ الوحدة تطلق على عدم التجزى والانقسام وعلى عدم النظير فى الأفعال ، قال السجاعى : وهمة أحد إن كانت أصلية لم تستعمل إلا فى النفي وإن كانت منقلبة عن واو استعملت فى الإثبات أيضاً وقال فى المصباح يكون أحد مرادفاً لواحد فى موضعين أحدهما وصف اسم البارئ تعالى فيقال هو الواحد وهو الأحد والثانى أسماء العدد فيقال أحد وعشرون وواحد وعشرون وفى غير هذين يفرق بينهما بأن الأحد لا يستعمل إلا فى الجحد لما فيه من معنى العموم أو فى الإثبات مضافاً نحو قام أحد الثلاثة ، والواحد اسم المفتتح العدد ويستعمل فى الإثبات مضافاً

وغير مضاف اهـ . ، وكلاهما أى الأحد والواحد كما مر عن المصباح فى وصفه تعالى مترادفان ولهذا فسرهما الخطيب بتفسير واحد ، والأحد يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال إذ الواحد الحقيقى ما يكون منزّه الذات عن التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية الثابتة للألوهية اهـ . (الله) أى الذى ثبتت ألوهيته وأحديته لا غيره مبتدأ خبره (الصمد) ولم يأت بالواو العاطفة لتكون هذه الجملة معطوفة على الأولى لأنها كالنتيجة للأولى أو الدليل عليها ، والصمد السيد الصمد إليه فى الحوائج ، والمعنى هو الله الذى تعرفونه وتعترفون أنه خالق السموات والأرض وخالقكم وهو واحد متوحد بالألوهية لا يشارك فيها وهو الذى يصمد إليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغنى عنهم (لم يلد) أى لم ينشأ عنه مولود لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلى من يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه بدوامه فى أبديته وذلك لأن من يلد يموت ومن يرث يورث (فإن قيل) إن لم إذا دخلت على المضارع قلبت معناه إلى الماضى فيكون المراد نفي الولد فى الماضى مع أن المقصود نفيه فى جميع الأحوال (أجيب عن ذلك) بأن الاقتصار عليه للرد على من قال الملائكة بنات الله أو المسيح ابن الله أو ليطابق قوله (ولم يولد) أى لم يلد أحد أى لم يسبقه عدم ولا يفتقر إلى شىء (ولم يكن له كفواً أحد) أى لم يكن أحد له مكافئاً ومماثلاً من صاحبة لأنه لو ساواه أحد فى وجوده ذلك لكانت مساواته باعتبار الجنس والفصل فيكون وجوده متولداً عن الازدواج الحاصل من الجنس الذى يكون كالأم والفصل الذى يكون كالأب وقد ثبت أنه لا يصح بوجه أن يكون فى شىء

من الولادة لأن وجوب وجوده لذاته ، قال السجاعي في شرح حزب الإمام النوى واحد بالرفع اسم يكن وكفوآ خبر قدم لأن المقصود نفي المسكافة عن ذاته تعالى فقدم للاهتمام ونفي الكفو في الماضي للرد على الكفار في زعمهم وجود الآلهة في ذلك ولم يزعم أحد حدوثها في الحال أو الاستقبال ومر في معنى لا إله إلا الله ما يتعلق بذلك .

وأما مطاوبيتها في قوله ثلاثاً فلما ورد « قل هو الله أحد » والمعوذتان ثلاثاً صباحاً وثلاثاً مساءً تكفيك من كل شيء ، وسميتا معوذتين بكسر الواو لأنهما يعيدان قارئهما ويصح فتحها لأنه يتعوذ بهما فإذا زيدت معهما الإخلاص قيل المعوذات .

الكلام على المعوذتين

وسبب نزول المعوذتين ما روى من طرق متعددة أنه ﷺ سحره رجل من اليهود في مشط ومشاطة من شعر رأسه ووضع في جف طلع في ذكر ووضع في بئر ذي أروان حتى كان مأوها كنفاعة الحناء وكان ذلك معبوداً في وتر إحدى عشرة عقدة فأ نزل الله هاتين السورتين وهما إحدى عشرة آية : سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات ؛ فكلمنا قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام ﷺ كأنما نشط من عقال ، وقد قرر الأئمة أن المستعاذ منه والألم واقعان بقضاء الله تعالى وقدره كما مر البرهان على ذلك في الكلام على قوله الخير والشر بمشيئة الله بأن كل ما وقع في الوجود من خير وشر فهو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ والرقى والطب من قضاء الله وقدره ولما روى الترمذي عن أبي خزيمة عن أبيه قال سألت النبي ﷺ

«قلت يا رسول الله أرأيت رقىا يسترقى بها ودواء يتداوى به وتقاة تقيتها هل
يرد من قضاء الله شيئاً قال هو من قدر الله ، قال عمر رضى الله عنه نفر من
قدر الله إلى قدر الله .

تنبیه

قال ابن علات في شرح الرياض من باب التوكل وذكر الرقى قال
القرطبي : الرقى والاسترقاء ما كان منه بقاء الجاهلية أو بما لا يعرف فواجب
اجتنابه على سائر المسلمين واجتنابه حاصل من أكثرهم فلا يكون اجتناب ذلك
هو المراد هنا ولا اجتناب الرقى بأسماء الله وبالمروى عن رسول الله ﷺ لأن
ذلك إلتجاء إلى الله تعالى ويظهر لى والله أعلم أن المقصود اجتناب رقى خارجة
عن القسمين كالرقيا بأسماء الملائكة والأنبياء والصالحين كما يفعله كثير ممن
يتعاطى الرقى فهذا ليس من قسم المحذور الذى يلزم اجتنابه ولا من قبيل
الرقيا التى فيها اللجوء إلى الله تعالى فهذا القسم المتوسط يلحق بما يجوز فعله
غير أن تركه أولى من حيث أن الرقى بذلك تعظيم وفيه تشبيه للرقى بأسمائه
تعالى وكلماته فينبغى اجتنابه كاجتناب الحلف بغير الله تعالى اه ، وهذا هو
الحق وطريق العارفين بالله أن لا يكون اللجوء منهم إلا إلى الله وروى عن أبي سعيد
الخدري رضى الله عنه قال لما سحر النبي ﷺ آتاه جبريل عليه السلام فقال
يا محمد شكيت قال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك ومن شر
كل نفس أو عين حاسد والله يشفيك بسم الله أرقيك وتفسير السورتين
بالاختصار (بسم الله) المستعاذ به من كل سوء (الرحمن الرحيم) هو الخير
لعباده بلطفه من البلاء (قل) يا محمد (أعوذ) أى استجير وألتجى واعتصم

واحترز (برب الفلق) أى الصبح على قول الأكثرين ومنه فالق الإصباح والرب هنا أوقع من سائر أسمائه تعالى لأن الإعاذة من المضار تربية (من شر ما خلق) خص عالم الخلق بالاستعاذة منه لإنحصار الشر فيه لأن عالم الأمر خير كله وقد مر بيان عالم الأمر وعالم الخلق فى الكلام على آية النكرسى و « ما » لمن يعقل وما لا يعقل فتشمل جميع من يتأتى منه الشر مع الاختيار كالإنس والجن والشياطين ونهش السباع ولدغ ذوات السموم ومع عدم الاختيار مثل الطيعى كإحراق النار وإهلاك السموم أى موافقة القضاء والقدر كما مر التنبيه على ذلك (ومن شر غاسق) هو القمر (إذا وقب) خسف وأسود وذهب ضوءه أو دخل فى المحاق وهو آخر الشهر وفى ذلك الوقت يتم السحر المؤثر للتفريص وقيل هو الثريا إذا سقطت وغابت ويقال إن الأسقام تسكر عند وقوعها وترفع عند طلوعها فلهاذا أمرنا بالتعود من الثريا عند سقوطها (ومن شر الفئات فى العقد) أى النساء أو النفوس أو الجماعات السواجر اللاتى يعقدن عقداً فى خيوط وينفثن عليهما ويرقن ، والنفت النفث مع ريق ، فلاستعاذ هنا من سحرهن ومما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ، قال الخطيب واختلف فى النفت فى الرق فجوزة الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم واستدل لذلك بأحاديث ومحدث أصحاب القطيع من الغنم المار وأنكر جماعة النفت والتفل فى الرق وأجازوا النفث بلا ريق ، قال عكرمة لا ينبغى للراق أن ينفث ولا يمسح ولا يعقد ، وقيل إن النفت فى العقد إما يكون مذموماً إذا كان سحراً مضرراً بالأرواح والأبدان وأما إذا كان النفت لإصلاح الأرواح والبدن فليس بمذموم ولا مكروه بل هو مندوب إليه اهـ ملخصاً ، وفى الأذكار أنه ﷺ كان إذا أخذ من ضجعه ينفث فى كفيه بلا ريق ويقرأ الإخلاص والمعوذتين ويمسح بهما ما استطاع من بدنه يفعل ذلك ثلاثاً وفى رواية أن النفت بعد القراءة وأنه لا يثام حتى يفعل ذلك ولما

مرض كان يأمر عائشة رضى الله تعالى عنها تفعل ذلك وأخذ من الروائين أن
النفث قبل القراءة وبعدها جمعاً بين الروائين (ومن شر حاسد إذا حسد)
أى إذا ظهر حسبه لأنه لا يضر إلا مع بغية وعدم أمن المحسود من غائلته وأشد
الحساد وأعظمهم كيداً الشيطان وأعوانه من الجن والإنس لمحبتهم زوال الإيمان
وما يقتضيه من دوام الطاعات لأنه لا يحسد إلا على الطاعة وما يعين عليها ،
وقد قيل خير الناس من عاش ومات محسوداً .

وقد ورد في الحسد وذمه آيات وأخبار وآثار لا تحصى وإن كان من غير
بغى كما مر كان أخف قال عليه السلام إذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت
فلا تحقق وإذا تطيرت فامض .

ولما أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بالاستعاذه مما تقدم أمره أيضاً أن
يستعين من شر الوسواس فقال (بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب
الناس) أى خالقهم (ملك الناس) أى الذى له التصرف المطلق فيهم ونفوذ
القدر عليهم (إله الناس) الذى لا يشاركه فى ألوهيته أحد (من شر
الوسواس) هو الشيطان العين المغوى (الخناس) الذى يخنس أى يتأخر
عند الذكر (الذى يوسوس) أى يحتال بالمعانى الضارة (فى صدور الناس)
الغافلين عن الذكر (من الجنة) أى الجن المتمردين (والناس) أى أهل الاضطراب
والذنب والشرك من الإنس لأنهم ضربان كما فى الآية (شياطين الإنس والجن) .
وروى مسلم أنه ﷺ قال لقد أنزلت علىَّ سورتان ما أنزل مثلهما وروى
ابن ماجه أنه ﷺ قال وإنك إن تقرأ سورتين لا أحبَّ ولا أرضى عند الله
منهما يعنى المعوذتين وفى خبر آخر أنهما أفضل ما تمعوذ به المتعوذون .

ترتيب الفواتح بعد ما تقدم

وأما ترتيب الفواتح فهو وإن لم يذكره سيدى الحبيب أحمد فى شرحه
لكنه ثابت مشهور

وكيفية ترتيبها « الأولى » الفاتحة لسيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوى وأصوله وفروعهم وكافة ساداتنا آل أبي علوى بأن الله يعلى درجاتهم وينفعنا بهم وبعلمهم وأسرارهم وأنوارهم وبركاتهم في الدنيا والآخرة ، « الثانية » لجميع السادة الصوفية أينما كانوا وحلت أرواحهم بأن الله يعلى درجاتهم وينفعنا بهم وبعلمهم وأسرارهم ويلحقنا بهم في خير وعافية « الثالثة » لصاحب الراتب الشيخ الكبير والقطب الشهير الحبيب عبد الله بن علوى الحداد باعلوى وأصوله وفروعهم بأن الله يعلى درجاتهم إلى آخر مامر ، « الرابعة » لكافة عباد الله الصالحين والوالدين وسائر المسلمين ويأتى بما أحب مما يجمع المصالح الخاصة والعامة ولا خرج في الزيادة والاختصار .

وقد خص الفقيه المقدم من بين سائر الأصول الأئمة العارفين من لدن زين العابدين إلى الشيخ المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى وغيره ممن بعده ممن جمع العلوم والأعمال والمقامات والأحوال لكونه مظهر الطريقة العلووية ومشيد بنيانها وموطد أركانها كما هو معلوم في محله ومعروف عند أهله وقوله (وأصوله وفروعهم) يجمع جميع الأصول والفروع ويشمل حق الآباء من الأنبياء وسائر المؤمنين ثم تخصيص آل باعلوى لكونهم أصوله وأقرباءه وأرحامه وأبوتهم الفاتحة جامعة للشرفين وفضيلة الأصلين اللذين من جمعهما لا يضاهاى كما حقق ذلك الإمام أحمد زروق في قواعد الصوفية في مبحث النسب الروحى وقوله عليه السلام « سلمان منا أهل البيت » قال لا تصافه بمجوامع النسب الدينية حتى لو كان الإيمان بالثريا لأدركه .

وقد قيل في قوله عليه السلام الأقربون أولى بالمعروف إنه يعنى إلى الله إذ لا يتوارث أهل ملتين فالمعتبر أهل النسب الدينى وفرعه مجرداً ثم إن انضاف

إلى الطيبي كان له مؤكداً فلا تلحق رتبة صاحبه بحال اه ، كلام زروق وإلى ذلك المقام يشير قول القطب أبي بكر العيدروس العدني نفع الله به .

فُتقنا على العشاق بكل مشهد ، من مثلنا ولو يطول من طال وجد من جد
ما نالنا ، وقول صاحب الراتب نفع الله به :

سقى الله بشاراً بوابل رحمة يجود عليها بالصباح وبالإمسا
مرابع أحباب الفؤاد ومن لهم بها صدق ود في سرائره أرسي
وحياهم الرحمن بالعفو والرضا وأولاهم الإحسان والقرب والانس
فثم أحبابي وأهلي وسادتي وأشياخنا المحسنون لنا غرسا
غرائس مجد في حقائق نسبة مطهرة سدنا بها الغير والجنس

وقوله في بعض كلامه فرش بساط للشيخ عبد القادر وطوى ثم للشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس وطوى ثم فرش لنا ويطوى ولا يفرش إلا للمهدي وذلك أن الشيخ عبد الله العيدروس كان مظهراً عظيماً من مظاهر آل باعلوي وهو أول من صنف في طريقهم وصاحب الراتب كان كالحاتم لتلك المظاهر العلوية القدسية كما قاله شيخنا العارف بالله الشيخ بن محمد الجفري جواباً عن سؤال عن ترتيب الفاتحة بعد الصلوات وفي المجموعات فقد قال بعد أن بسط النقل في بعض ماورد في ترتيبها وقراءتها بعد المكتوبات وبعد الجمعة وغير ذلك «وبالجملة فيستحب قراءتها بعد الصلوات ، وقراءة الناس لها عقب الصلوات دليل على توفيق الله تعالى لهم لينالوا فضيلة هذه السورة التي هي أعظم سور القرآن ولم يزل العلماء يواظبون على قراءتها وقد صنف في فضائلها كتب كثيرة وألهم الله تعالى هذه الأمة العظيمة قراءة هذه السورة والإكثار منها عند حضور الجماعات وعند افتراقها من غير استشعار منهم بما فيها من الفضل.

وكثرة الثواب ودفع الضرر وغير ذلك من الفوائد والأسرار المودعة .
فالحمد لله على توفيقه لهم على ذلك اه .

وقال الإمام زروق في كتاب البدع والحوادث : ما اعتاده أهل الحجاز واليمن
ومصر ونحوها من قراءة الفاتحة في كل شيء لا أصل له ولكن قال الإمام
الغزالي رحمه الله تعالى في الانتصار فاستنزل ما عند ريك وخالقك واستجلب
ما تؤمله من هدايه وبر بقراءة السبع المثاني التي أمرت بقراءتها في كل
صلاة وأكد عليك أن تعيدها في كل ركعة وأخبر الصادق أن ليس في التوراة
ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها وفي هذا تنبيه بل تصريح أن تسكثر منها
لما تضمنته من الفوائد وخصت به من الدخائر والعوائد ما لو سطر كان فيه
أوقار الجبال فافهم وانتبه واعقل اه ، ووجدت معزوا للإمام الحبيب
عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه بأعلى فوائد .

«الفائدة الأولى» في ذكر أسماء الفاتحة وقد مر في أول الشرح بعضها .

«الفائدة الثانية» جميع الدين في الفاتحة وجميع القرآن بيان وشرح لها
وجميع الأحاديث بيان وشرح للقرآن وجميع كتب العلماء وكلامهم بيان
وشرح للأحاديث فيرجع الكل إلى الفاتحة ولذلك تسمى الأساس ،

«الفائدة الثالثة» أوجب الله قراءة الفاتحة في كل ركعة لأنها جمعت
الأمر كله فإذا قرأها العبد في صلاة فقد عبد الله تعالى بالدين كله
والعلم كله .

«الفائدة الرابعة» ورد في الحديث أن الفاتحة أفضل السور وأنها شفاء من كل
علة وأنها شفاء من السم وأنها لما قرئت له من قرأها بقصد شيء يحصل له .
«الفائدة الخامسة» ، ينبغي للمؤمن أن يجعل الفاتحة وردة وذكره

وعلمه وعمله لذلك فإن من قرأ أولها يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بقصد اتحصن بالله من الشيطان وضره وشره ثم يقرأ من أول الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم بقصد اتحصن وأتبرك وأستعين وأحصل مطلوبى بسم الله وبرحمته الله لأنه الرحمن الرحيم ، والحمد الشكر له لأن كل مقصود لا يحصل إلا بفضل ورحمته يقرأ هذا عشر مرات أو مائة ثم يقول يا مالک يوم الدين إياک نعبد وإياک نستعين عشرا أو مائة ويقصد الطلب من مالک الملک والعطاء والجزاء أن يجعله من عباده الصالحين فى كل حين ويعينه على كل خير وعلى مقصوده فى قلبه ثم يقرأ اهدنا الصراط المستقیم إلى آخرها ويطلب من الله أن يهديه الطريق المستقيمة فى الدين والدنيا وفى الأمر الذى يقصده فى قلبه وأن يهديه طريق الدين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لا طريق الدين غضب الله عليهم من الكفار والفجار ولا طريق الضالين من الغافلين والغالين آمين ومعناه يارب استجب لنا دعاءنا اه نقلته من خط العارف بالله تعالى طاهر بن الحسين ابن طاهر باعلوى قال وهو نقله من خط الشيخ عبد الرحمن بن أحمد وزير صاحب عینات وهو نقله عن سیدی عبد الرحمن المذكور نفع الله بالجميع ونقل عن الشيخ الحبيب أحمد بن زین الحبشى باعلوى نفع الله به ما نقله عن الإمام زروق وهو ما ذكره فى کتاب البدع والحوادث وهو أنه قال ما اعتاده أهل الحجاز والعین ومصر ونحوها من قراءة الفاتحة فى كل شىء الخ ما مر إلى هنا .

ومن فوائد الشيخ محمد بن عبد الرحمن الكزبرى الدمشقى رحمه الله تعالى قال ومنها ختم المجلس بقراءة سورة الفاتحة فينبغى المواظبة عليها لكل مؤمن راغب فى الخير وقد ذكر الأئمة لها قصة غريبة وحكاية عجيبة اه وما ذكره

ابن زياد من قراءة الفاتحة بعد الصلاة وبعد الجمعة فأما بعد الصلاة فقد مر في أول هذا الشرح وأنه يسن فيها وصل البسجلة والمحمدلة وأما بعد صلاة الجمعة فاجمع ما تتبع فيه الروايات مذكره الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى في التحفة فإنه قال فيها .

فائدة

ورد أن من قرأ عقب سلامه من الجمعة قبل أن يثني رجله الفاتحة والاخلص والمعوذتين سبعاً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأعطى من الأجر بعدد من آمن بالله ورسوله وفي رواية لابن السني بإسقاط الفاتحة أعيد من السوء إلى الجمعة الأخرى ، وفي رواية وزيادة قبل أن يتكلم حفظ الله له دينه وديناء وأهله وولده ، ومن الفوائد العظيمة ما عزي إلى الإمام الغزالي رضي الله عنه من ترتيب الفاتحة بعد المكتوبات مائة مرة إحدى وعشرون بعد الصبح واثنان وعشرون بعد الظهر وثلاث وعشرون بعد العصر وأربع وعشرون بعد المغرب وعشر بعد العشاء ، ولسيدي صاحب الراتب نفع الله به هذا الدعاء بعد ترتيب الفاتحة «الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى أهل بيته وصحبه وسلم اللهم إني أسألك بحق الفاتحة المعظمة والسبع المثاني أن تفتح لنا بكل خير وأن تجعلنا من أهل الخير وأن تعاملنا يا مولانا معاملة لك لأهل الخير وأن تحفظنا في أدياننا وأنفسنا وأولادنا وأهلينا وأصحابنا من كل محنة وشدة وبؤس وضيق إنك ولي كل خير ومتفضل بكل خير ومعط لكل خير يا أرحم الراحمين يكرر الدعاء ثلاث مرات والله أعلم .

الذكر الرابع والعشرون

الدعاء بعد ترتيب الفواتح فيدعو بالجوامع السكامل بعد أن يستجمع من شروط الدعاء وآدابه ما أمكنه وأهم ذلك وأقربه إلى الإجابة تحرى الحلال مع الحضور واستقبال القبلة وحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ قبله وأثناءه وبعده وورد أن الدعاء لا يُرد بل إن الله سبحانه وتعالى لا يدعوه داع إلا استجاب له فإما أن يجعل له ما سأل وإما أن يدفع عنه من البلاء أعظم من ذلك وإما أن يدخر له في الآخرة ما هو أفضل وأكمل ، قال صاحب الراتب قدس الله سره في النصائح فينبغي للعبد أن لا يزال داعياً ومتضرعاً في زخائنه وشدته ويسره وعسره ولا يستبطن الإجابة ولا ييأس فقد يكون لله تعالى سرٌّ وخيرةٌ في تأخير بعض الأمور ويكون للعبد في ذلك صلاح ونفع من حيث لا يشعر فليدع وليفوض وكلما سأل ربه شيئاً فليسأله مع اللطف العاقبة وصلاح العاقبة وليسأل الله ما يشاء مما فيه رضاه من أمور الآخرة والدنيا ومن كل جليل وحقير ، وقد آتى بحملة من الدعوات النبوية الجامعة لخيرات الدنيا والآخرة ثم ختم هذا الراتب الشريف بدعاء جامع لخيرات الدنية والآخرة وهو .

الذكر الخامس والعشرون

وهو (اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار — ثلاثاً) سؤال الجنة ورضا الله فيها وفي جميع الأحوال هو الشأن كله لأن الله سبحانه وتعالى إذا رضى عن عبد اختاره لنفسه وخصه بالتوفيق لطاعته واجتهابه (م ١٤ — ذخيرة المعاذ)

لحبته ونعمه في الدنيا باتباع محاببه واجتناب محارمه وأزلفه في الآخرة إلى جنته ومجاورته فيها مع خاصته وصفوته فهذا هو الفوز العظيم والسعادة الأبدية والعيشة الراضية المرضية والاستعانة من النار ومن سخط الله فيها من الأمور المهمة التي هي من غايات المطالب السنية والموارد السنية فقد جمع عليه السلام سؤال ذلك في دعائه الجامع .

دعاء نبوي جامع

وهو « اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار .
وفي الدعاء الآخر اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك ، وورد أن من سأل الله الجنة ثلاثاً قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ومن استجار بالله من النار ثلاثاً قالت النار اللهم أجره من النار .

فائدة

قال بعضهم خلق الله الجنة والنار وجعلهما دارين وجعل القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار فليس بعد الدنيا إلا الجنة أو النار فالناس بعد الموت منهم منعم ومنهم معذب في جنة أو نار فالناس وقوف في الدنيا بين الجنة والنار حقيقة وهم لا يشعرون . والجنة والنار داران موجودتان مخلوقتان في عالم المسكوت ، والأولى دار النعيم والملئ بالمقيم والقرب والرفق من الله الكريم ومجاورة أنبيائه وأوليائه وأحبابه أبداً سرمداً خسرنا الله في زميرهم ، وقد ورد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة من وصف الجنة والنار ونعت فريقيهما ما هو معروف

وقد ذكر صاحب الراتب في كتابه المسمى «سبيل الادكار والاعتبار فيما يمر
بالإنسان ويمضي له من الأعمار» طرفاً صالحاً من ذلك ومما يتعلق بالموت وما
بعده، وقد نقلت منه ومن غيره في خاتمة كتاب سميته «الدرر الفاخرة» ما يصلح
لى ولثلى من العوام من التنبهات على ما نحن فيه وأهل زماننا من الغفلة
والتساهل بحقوق الموت والموتى وغير ذلك، والحمد لله رب العالمين وصلى الله
على سيدنا ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه والتابعين
ونسأله تعالى أن يرزقنا رضاه والنظر إلى وجهه الكريم فى دار الجزاء والنعيم
مع أحبائنا ومن له حق علينا وسائر المسلمين .

قال جامعه الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن
عبد الرحمن بأسودان عفا الله عنه وعنهم فرغت من تعليق هذا الشرح لإثني عشر
من شهر المحرم الحرام سنة ست وأربعين ومائتين وألف راجياً قبوله والدعاء
لى ولوالدى وأحبائى بالمغفرة ممن وقف عليه وانتفع به معترفاً بأننى تهدفت
لما لم أكن أهلاً له إلا أن يعفو الكريم منة وفضلاً وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم .

ويليه

الراتب المشروح نقلاً عن وسيلة العباد للعلامة السيد علوى

بن محمد بن طاهر الخداد .

الى ائب الشهير للحبيب

عند الله بن علوى الحداد نفع الله تعالى به

يبدأ بقرائة الفاتحة وآية الكرسي وآمن الرسول إلى آخر السورة ثم يقول :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ * لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي

وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (ثلاثاً) * سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ (ثلاثاً) * سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ

سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ (ثلاثاً) رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (ثلاثاً) * اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ

وَسَلِّمْ (ثلاثاً) * أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ

(ثلاثاً) * بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ

وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (ثلاثاً) * رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا

وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا (ثلاثاً) * بِسْمِ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِمَشِيئَةِ

اللَّهِ (ثلاثاً) * آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ بِاطْنًا وَظَاهِرًا

(ثلاثاً) * يَا رَبَّنَا وَاعْفُ عَنَّا وَامْنَحْ الَّذِي كُنَّا مِنْكَ (ثلاثاً) *

يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ أَمِئْتَنَا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ (سبعاً) يَا قَوِي

يَا مَتِّينُ اكْفِ شَرَّ الظَّالِمِينَ (ثلاثاً) * أَصْلَحِ اللَّهُ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ
صَرَفَ اللَّهُ شَرَّ الْمُؤْذِينَ (ثلاثاً) * يَا عَلِيُّ يَا كَبِيرُ يَا عَلِيمُ يَا قَدِيرُ
يَا سَمِيعُ يَا بَصِيرُ يَا لَطِيفُ يَا خَبِيرُ (ثلاثاً) * يَا فَارِجَ الْهَمِّ يَا كَاشِفَ
الْغَمِّ يَا مَنْ يَعْبُدُهُ يَغْفِرُ وَيَرْحَمُ (ثلاثاً) * أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ رَبَّ الْبَرِّ يَا
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنَ الْخَطَايَا (أربعاً) * لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (خمسین مرةً وإن
بلغها إلى ألف كان حسناً) ثم يقول : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ وَجَّهَ وَعَظَّمَ وَرَضَى عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ الْمُطَهَّرِينَ
وَأَصْحَابِهِ الْمُهْتَدِينَ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

(ثم يقرأ سورة الإخلاص (ثلاثاً) * والمعوذتين (مرة مرة))

ثم يقول :

الفتحة

إِلَى رُوحِ سَيِّدِنَا الْفَقِيهِ الْمُقَدَّمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بَاعْلَوِي وَأُصُولِهِ
وَفُرُوعِهِمْ وَكَافَّةِ سَادَتِنَا آلِ أَبِي عَلَوِيٍّ أَنَّ اللَّهَ يُعَلِّي دَرَجَاتِهِمْ وَيَنْفَعُنَا
بِهِمْ وَيَأْمُرَ بِهِمْ وَأَنْوَارِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ *

الفتحة

إِلَى أَرْوَاحِ سَادَتِنَا الصُّوفِيَةِ أَيْنَمَا كَانُوا وَحَلَّتْ أَرْوَاحُهُمْ أَنْ

اللَّهُ يُعَلِّي دَرَجَاتِهِمْ وَيَنْفَعُنَا بِهِمْ وَيُخَلِّقُنَا بِأَسْرَارِهِمْ وَيُلْحِقُنَا بِهِمْ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ *

الفاتحة

إِلَى رُوحِ صَاحِبِ الرَّائِبِ قُطْبِ الْإِرْشَادِ وَغَوْثِ الْعِبَادِ
وَالْبِلَادِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوَى الْخُدَّادِ وَأَصُولِهِ وَفُرُوعِهِمْ أَنَّ اللَّهَ
يُعَلِّي دَرَجَاتِهِمْ وَيَنْفَعُنَا بِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ وَأَنْوَارِهِمْ وَبَرَكَاتِهِمْ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ *

الفاتحة

إِلَى أَرْوَاحِ كَافَّةِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَالْوَالِدِينَ وَبَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ وَيَنْفَعُنَا
بَأَسْرَارِهِمْ وَبَرَكَاتِهِمْ (وَيَدْعُو الْقَارِئُ بِمَا يَشَاءُ مِنْ جَوَامِعِ السَّكَمِ
وَكَوَامِلِ الثَّنَاءِ) وَيَقُولُ فِي آخِرِ الْفَاتِحَةِ « وَإِلَى حَضْرَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » ثُمَّ يَسْكُتُ هَنِيئَةً يَدْعُو اللَّهَ فِيهَا رَافِعًا يَدَيْهِ ثُمَّ يَضَعُهُمَا
وَيَقُولُ « اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ
وَالنَّارِ » (ثلاثاً)

الفهرس

صيفة

٣ الخطبة
٨ المقدمة الأولى في معنى الذكر وسر تأثيره الخ
٨ الغاية التي شرع لها الذكر
١٠ الذكر اللساني والقلبي وتعريفهما
١١ الاشتغال بالعلم من أعظم أنواع الذكر
١٢ أثر الذكر في الأعمال والقلوب
١٨ آداب الذكر
١٩ الإسرار بالذكر والجمهور به
٢٠ تنبيهه في ضابط الإسرار والجمهور به
٢١ فضل الذكر
٢٣ الذكر لا يتحقق أثره إلا مع الطاعة والحضور الخ
٢٩ المقدمة الثانية في فضيلة مجالس الذكر
٣٢ الاجتماع للذكر والجمهور به وما ورد فيه
٣٣ من حقوق الذكر حسن تأديته
٣٤ اتخاذ السبحة وأصله التشريعي
٣٨ ذكر أسماء الأعداد من غير استقصاء للغدد
٤٣ المقدمة الثالثة في وضع الأحزاب والأورد
٤٥ حقيقة الحزب والورد والراتب

٤٦	شروط وضع الأحزاب والأوراد وواضعها
٤٧	آداب المرتبين لها
٤٨	ما يتعلق بالراتب المشروح ..
٥١	الذكر الأول — فاتحة الكتاب
٥١	معنى الفاتحة
٥٨	فضل الفاتحة
٦٣	تتمة في وصل البسملة بالحمدلة
٦٣	الذكر الثاني — آية الكرسي
٦٣	معنى آية الكرسي
٦٩	السلام في الكرسي والعرش
٧٠	الحكمة في خلق العرش والكرسي
٧٢	فائدة في أن آية الكرسي مشملة على أمهات الآلهيات
٧٣	فضل آية الكرسي وخواصها
٧٥	فائدة تتعلق بفضل آية الكرسي
٧٨	الذكر الثالث — آخر سورة البقرة
٧٨	معنى الآية
٨٠	فضل الآية وخواصها
٨١	فضل ترتيب هذه الأذكار الثلاثة
٨٣	الذكر الرابع — لا إله إلا الله وحده الخ
٨٩	السلام في الأعداد الواردة في الأذكار

صحيحة

- الذكر الخامس — سبحان الله والحمد لله الخ ٩١
- معنى الكلمات الأربع في هذا الذكر وفضلها ٩٢
- فائدة تتعلق بالباب قبلها ٩٨
- الذكر السادس — سبحان الله وبحمده الخ ٩٨
- الذكر السابع — ربنا اغفر لنا الخ ١٠١
- الكلام في التوبة وطلب المغفرة ١٠٢
- الذكر الثامن — اللهم صل على محمد الخ ١٠٥
- معنى حديث لا تتخذوا قبوري عيداً ١٠٨
- الصلاة على النبي غوث من الله لعباده المؤمنين ١٠٩
- تنبيه يتعلق بما قبله ١١٢
- تخصيص الأنبياء بالصلاة عليهم ١١٣
- تنمية في ترتيب الأذكار الخمسة الأخيرة ١١٣
- الذكر التاسع — أعوذ بكلمات الله التامات الخ ١١٤
- الذكر العاشر — بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء الخ ١١٥
- الذكر الحادي عشر — رضينا بالله رباً الخ ١١٦
- الذكر الثاني عشر — بسم الله والحمد لله الخ ١١٨
- أفعال العباد بمشيئة الله تعالى وما يترتب على ذلك ١٢٠
- المعجزات والكرامات من فعله تعالى ١٢٣
- اعتقاد العامة في الأولياء ١٢٤
- العامة موحدون ١٢٥
- زيارة الأولياء وأثرها في النفوس ١٢٦

صفحة	
١٢٦	كلام الشيخ أحمد زروق في نفع زيارة القبور.....
١٢٧	» » الفخر الرازي » »
١٢٨	التوسل بالأنبياء والأولياء
١٢٩	عقيدة آل باعلوى سنية
١٣٠	الذكر الثالث عشر — آمنا بالله واليوم الآخر الخ
١٣٢	التوبة باب الأبواب ، وأثرها والحث عليها
١٣٤	الذكر الرابع عشر — يا ربنا واعف عنا الخ
١٣٧	الذكر الخامس عشر — ياذا الجلال والإكرام الخ
١٤٠	الكلام في سؤال الموت على الإسلام
١٤١	الحكم بالسوء للمتهاونين في الفرائض
١٤٢	من أسباب الختم بالخير قراءة الفاتحة بعد كل صلاة الخ
١٤٤	الذكر السادس عشر — يا قوى يا متين الخ
١٤٦	دعاء الشاذلي للنصر على الأعداء
١٤٧	الذكر السابع عشر — أصلح الله أمور المسلمين
١٥١	الذكر الثامن عشر — يا على يا كبير الخ
١٥٢	معاني هذه الأسماء الواردة به وحظ العبد منها
١٥٦	الذكر التاسع عشر — يا فارح الهم الخ
١٥٧	دعاء الله بصفاته الكمالية
١٦٠	الكلام في المغفرة
١٦١	الذكر العشرون استغفر الله رب البرايا الخ
١٦٤	تنبيه وإيقاظ للنبيه في تفسير حديث لولا تذبذبون وتستغفرون الخ

١٦٩	مبحث الاستغفار
١٦٩	شرح حديثه
١٧٠	الاستغفار أفضل أم كلمة التوحيد
١٧١	تتمة لمبحث الاستغفار
١٧٥	الكلام في حديث (انه ليغان على قاي)
١٧٨	الذكر الحادى والعشرون (لا إله إلا الله)
١٧٩	مبحث إعرابها
١٨٠	مبحث فضلها على سائر الأذكار
١٨٥	كيفية أدائها
١٨٦	جميع العلوم فروع للعلم بها
١٨٧	تضمنها جميع معانى الأذكار وهى أجمع الأذكار وأنفعها
١٨٨	الكلمة الشريفة خاصة فى تنوير الباطن
١٩٠	الخوف من سوء الخاتمة بسبب المعاصى
١٩١	تأثير كلمة التوحيد إنما يكون مع الإخلاص الخ
١٩٢	الذكر الثانى والعشرون
١٩٤	الذكر الثالث والعشرون — قراءة المعوذات
١٩٥	فضل سورة الإخلاص
١٩٥	كلام الغزالي فيها
١٩٧	ورود السفة بكثرة قراءتها فى أوقات مخصوصة
١٩٨	معنى سورة الإخلاص
٢٠٠	الكلام على المعوذتين

صحة

٢٠١	تفنيته — كلام الترمطي في البرقي والاسترقاء
٢٠١	تفسير السورتين باختصار
٢٠٢	مبحث النفث في الرقي
٢٠٣	ترتيب الفواتح الأربع
٢٠٥	استحباب قراءة الفاتحة بعد الصلوات
٢٠٦	فوائد ذكرها الشيخ عبد الرحمن بالفيق بالعلوي
٢٠٨	فائدة متعلقة بما تقدم
٢٠٩	الذكر الرابع والعشرون — الدعاء
٢١٠	الذكر الخامس والعشرون سؤال الرضا والجنة الخ
٢١٠	دعاء نبوي جامع
٢١٠	فائدة في الجنة والنار
٢١٢	الراتب المشروح نقلا عن وسيلة العباد

تم بحمد الله وتوفيقه طبع هذا الكتاب على نفقة ثري وجهه تقى صالح
 محب للعلم وأهله ، وتم ضبطه وتنقيحه وتصحيحه ووضع فهرسه وتراجمه بيد الفقير
 إلى عفوره الرؤف حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق وعضو
 جماعة كبار العلماء بالأزهر ، عفا الله عنه ، في اليوم الثلاثين من شهر المحرم
 من سنة ١٣٧٩ هـ (الموافق ٤ من أغسطس سنة ١٩٥٩ م) بالقاهرة